

بمصر  
١٩١٦ هـ

# تاريخ مصر الى الفسحة لعشمانى

مع نبذ فى أخبار الأمم التى ارتبطت بمصر الى ذلك العهد

تأليف

عمر الاسكندرى و الميجر ا. ج. سقندج

الموظفين بوزارة المعارف العمومية

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

« حقوق الطبع محفوظة للوفلين »

( الطبعة الثانية )

مطبعة المعارف شارع البخاري بمصر

١٩٣٥ - ١٩١٦ م

بمصر  
١٩١٦ هـ

# تاريخ مصر الى الفسحة لعشمانى

مع نبذ فى أخبار الأمم التى ارتبطت بمصر الى ذلك العهد

تأليف

عمر الاسكندرى و الميجر ا. ج. سقندج

الموظفين بوزارة المعارف العمومية

---

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

---

« حقوق الطبع محفوظة للوفلين »

( الطبعة الثانية )

---

مطبعة المعارف شارع البخاري بمصر

١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م



Digitized by Google

Original from  
UNIVERSITY OF MICHIGAN

بوسلف وفا

١-٥



# تاريخ مصر الى الفتح لعشمانى

مع نبد في أخبار الأمم التي ارتبطت بمصر الى ذلك العهد



تأليف

عمر الاسكندرى و الميخرا. ج. مفتح

الموظفين بوزارة المعارف العمومية

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين »

( الطبعة الثانية )

منطبعة المعارف بشابغ الفيحاء بمصر

١٣٢٥ هـ - ١٩١٦ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

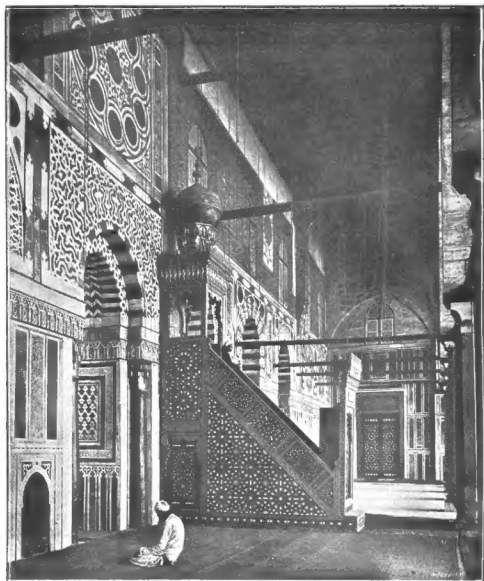
الحمد لله جاعل الأولين سلفاً ومثلاً للآخرين ، والصلاة والسلام على محمد وآله هداة المصلحين . وبعد فهذا كتاب وجيز يتضمن تاريخ مصر من أقدم عصورها المعروفة الى فتح العثمانيين لها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) . واذ كانت البلاد المصرية لا تكاد تضارعها بلاد في طول تاريخها المغمم بالحوادث ، لم يعد في امكان امرئ أن يدون في مثل هذا الكتاب الصغير تاريخاً لمصر في مدة لا تقل عن خمسة آلاف سنة إلا مجتلاً ، فكيف به اذا أودع خلاله بُدْأً في أخبار الأمم المرتبطة الشؤون بمصر — من فينيقيين وفُرس وإغريق ومقدونيين ورومان وعرب — لتوضيح التاريخ المصري الذي هو المقصد المراد . وان وضع الكتاب على هذا النمط يطابق منهاج دراسة التاريخ لتلاميذ السنة الأولى من المدارس الثانوية المصرية ، وان كان بمزاياه العديدة يبعث على الأمل بأن يصادف قبول غيرهم من القراء .

أما المصادر التي استقى منها الكتاب فهي صحاح كتب التاريخ المعتمدة ، عربية وفرنجية مثل : تاريخ قدماء المصريين للأستاذ برستيد ، وتاريخ الفراعنة لبروكش ، وبعض مؤلفات بيري ومسيريو ، ثم تاريخ دولة البطالسة تأليف مهنّي ، ومثله تأليف بنديج ، ثم تاريخ مصر في عهد الرومان تأليف ميلن ، ثم تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ أبي الفداء ، وحسن المحاضرة للشبلي ، وفتح مصر والاسكندرية تأليف بتلر ، وتاريخ مصر في القرون الوسطى تأليف ستانلي لينبول ، وخطاط المقرئ ، وتاريخ ابن إياس ، وغيرها

هذا وإن الشكر الخالص لمن كان لهم آثار مساعدة في هذا الكتاب ، من حضرات أصحاب الرسوم المنشورة فيه ، وحضرة صاحب العزة العالم المفضل اسماعيل رأفت بك

وهذا الكتاب يُعتبر كجزء أول لثان متمم له هو « تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر »

وحرر بالقاهرة في ١٤ شوال سنة ١٣٢٣ هـ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩١٥ م



داخل جامع المنيرة

(رسم لكجيان)





# فهرست

## كتاب تاريخ مصر الى الفتح العثماني

صفحة		صفحة	
	﴿ الباب الاول - قدماء المصريين ﴾		
٧٣	الفصل التاسع - الفرس وفتحهم لمصر	١	الفصل الاول - مقدمة
	الاسرة الثامنة والعشرون الى الاسرة	١	مصادر تاريخ قدماء المصريين
٧٧	الحادية والثلاثين	٥	تمهيد
	الفصل العاشر - كلمة في الحضارة المصرية		الفصل الثاني - مصر قبل الاسرات
٧٨	القديمة		المكية
٩١	الفصل الحادي عشر - كلمة في الفينيقيين	٦	الفصل الثالث - تأسيس الاسرات الملكية
	ملخص أهم الحوادث التاريخية		واتحاد الشمال والجنوب
٩٥	في عهد الفراعنة	٩	الفصل الرابع - عصر بناء الاهرام
	﴿ الباب الثاني - عهد الاغريق والرومان ﴾	١٢	الفصل الخامس - الدولة الوسطى
	الفصل الاول - كلمة في الاغريق وحروبهم		( العهد الاقطاعي )
١٠٠	مع الفرس	٢٥	مجل حالة مصر في العهد الاقطاعي
١٠٢	ولايات بلاد الاغريق	٢٩	الاسرة الثانية عشرة
	علاقة فارس بالولايات الاغريقية	٣١	اضمحلال الدولة الوسطى
١٠٤	( الحروب الفارسية )	٣٦	الفصل السادس - الدولة الحديثة
١٠٨	عصر بركليس	٣٩	الاسرة الثامنة عشرة
١١١	الاسكندر الاكبر وفتح مصر	٣٩	حروب نحتس الثالث
١١٧	الفصل الثاني - البطالسة	٤٢	الاسرة التاسعة عشرة
١٢٢	اضمحلال البطالسة	٥٢	رئيس الثاني وحروبه
١٢٣	حالة مصر في زمن البطالسة	٥٣	الفصل السابع - ابتداء اضمحلال مصر
١٢٨	الفصل الثالث - كلمة في الرومان	٥٩	اشتراك الكهنة وامراء تنيس في الملك
١٢٨	أطوار تاريخ الرومان - طور الملكية	٦٣	حكم اللويين في مصر
	نمو سلطان رومية وامتداده على غيرها	٦٤	اغارة الاتيويين والاشوريين
١٣٠	من البلدان	٦٥	الفصل الثامن - النهضة المصرية
	النزاع بين رومية وقرطاجنة - الحروب	٦١	استيطان الاغريق الاوائل في مصر
١٣٢	البونية	٦٩	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٠٢	الراشدين وبنى أمية و صدر بنى العباس	١٣٨	فتوح الرومان
٢٠٢	شكل الحكومة	١٣٨	اضمحلال الجمهورية وتأسيس الامبراطورية
٢٠٥	الخراج والنفقات	١٤٢	الفصل الرابع - علاقة الرومان بالبطالسة
٢٠٦	القضاء والشرطة والمظالم	١٤٤	كليوباترة
٢٠٨	المقاتلة	١٤٧	الفصل الخامس - كلمة في الامبراطورية الرومانية
٢٠٩	أهل البلاد	١٥٠	قل العاصمة الى القسطنطينية
٢١٠	اشهر الولاة وأهم الحوادث	١٥٢	الفصل السادس - مصر في عهد الرومان
٢١٨	الفصل الثالث - الطولونيون والاششيديون	١٦٢	استياء المصريين في عهد الدولة الرومانية الشرقية
٢١٨	( ا ) الدولة الطولونية	١٦٤	ملخص أهم الحوادث التاريخية من عهد دخول الفرس في مصر الى أن فتحها العرب
٢٢٣	( ب ) الدولة الاششيدية	١٦٤	﴿ الباب الثالث - عهد الدول الإسلامية ﴾
٢٢٦	الفصل الرابع - الدولة الفاطمية	١٦٧	الفصل الاول - العرب وفتوحهم
٢٢٦	الفصل الخامس - تأسيس الامارات الصليبية بالشام وعلاقتها بمصر	١٦٧	( ا ) العرب قبل الاسلام
٢٣٧	حالة الامارات اللاتينية	١٦٧	( ب ) تأثير بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في تأسيس مجد الامة العربية وانتشار الملة الاسلامية
٢٤٢	مصر والصليبيون	١٧٠	( ح ) حالة الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
٢٤٤	دخول شركوه مصر وانقراض الدولة الفاطمية	١٨٠	( د ) الفتوح الاسلامية ( التحام العرب مع الفرس والروم )
٢٤٨	مزايا الفاطميين وأسباب سقوطهم	١٨٤	( ١ ) فتح فارس
٢٤٨	الفصل السادس - كلمة في الحضارة العربية بالشرق	١٨٥	( ٢ ) فتح الشام
٢٥٢	الفصل السابع - الدولة الايوبية	١٨٧	( ٣ ) فتح مصر
٢٦٠	( ا ) صلاح الدين	١٨٩	( هـ ) كلمة في الامويين والعباسيين
٢٦٠	( ب ) خلفاؤه من الدولة الايوبية	١٩٤	( ١ ) دولة بنى أمية
٢٦٧	الفصل الثامن - دولتنا المماليك	١٩٤	( ٢ ) الدولة العباسية
٢٧٤	دولة المماليك البحرية	١٩٨	ملخص أهم حوادث الدولة الاسلامية
٢٧٤	فشل الحروب الصليبية ونتائجها		
٢٨١	دولة المماليك الشراكسة أو المماليك البرجية		
٢٨٤			
٢٩١			

# الباب الأول قدماء المصريين

## الفصل الأول مقدمته

المصريون الأولون من أقدم أم الأرض. وكانت لهم حضارة عظيمة قبل الميلاد المسيحي بألاف من السنين ويحسن بنا قبل الكلام عليهم أن نبين كيف وصلنا الى معرفة تاريخهم ، مع تطاول العصور بعد انقضاء أيامهم ، وتعاقب الدهور على اقراض دؤولهم

### ﴿ مصادر تاريخ قدماء المصريين ﴾

تاريخ قدماء المصريين كغيرهم من الأمم القديمة مستمد من مصدرين أصليين :

(١) الآثار  
القديمة

الأول ( وهو أوثقهما ) آثارهم القديمة وما عاينها من الكتابة والنقوش والثاني ما وصل الينا مما كتبه الأقدمون في تاريخهم فن الأول يتيسر لنا أن نعرف كثيراً من حظهم من الحضارة ومبلغهم من العلم

فثلاً مبانيم الهائلة وما عليها من النقوش البديعة ، تدلنا على مقدار نبوغهم في فني البناء والتصوير . وجثت موتاهم المحنطة الخالدة منذ أزمان سحيقة والأصباغ الثابتة الجميلة التي استعملوها في تصاويرهم وتهاويلهم ، تدلنا على براعتهم في علم الكيمياء العملي . على أنهم لم يقصروا في تدوين بعض حوادثهم العظيمة ووقائعهم الجسيمة وفصصهم المعجبة وأدعيتهم الغريبة ، مع بيان عصورها وأسماء الملوك القابضين على أزمّة الملك في إبّانها . فتراهم كتبوا هذه الحقائق على مبانيم وآثارهم ، وتراهم أعادوها بمينا على قطع الخزف وأوراق البردى التي وصلت إلينا من تلك الأيام الغابرة

كيفية استنباط التاريخ من الآثار القديمة

وأما ثاني المصدرين وهو ما كتبه قدماء المصريين أو معاصروهم في تاريخ وادي النيل ، فنقول بكل أسف : انه لم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير ، وأكثره يفتقر إلى إثبات ، بحيث لا يحمل بنا الاعتماد على شيء منه ما لم يكن قد أيدته الاستكشافات العديدة ، أو استنبط صحته كبار المؤرخين والأثريين

(٢) ما كتبه القدماء

وأقدم الكتابات التي وصلت إلينا من تاريخ مصر هو ما كتبه المؤرخ الإغريقي « هيرودوت » في سنة ٤٥٠ ق . م . ذلك بأنه حضر إلى مصر ، وكتب تاريخاً لها باللغة الإغريقية ، فكان وصفه للبلاد غاية في بابه جديراً بالثقة به ، غير أن ما كتبه في التاريخ ذاته ، على ما به من الإمتاع والتشويق ، غير موثوق به ، إذ كان أكثره مستمداً من الأقاصيص الشائعة على ألسنة العامة في ذلك العصر

« هيرودوت »  
المؤرخ الإغريقي

وبعد ذلك بنحو مائتي سنة قام كاهن وطني يدعى « مانيتون » بتأليف

كتاب  
« مانيتون »

كتاب في تاريخ مصر كتبه باللغة الإغريقية . وكان ذلك في عصر « بطليموس فيلادلف » حوالي سنة ٢٦٣ ق . م

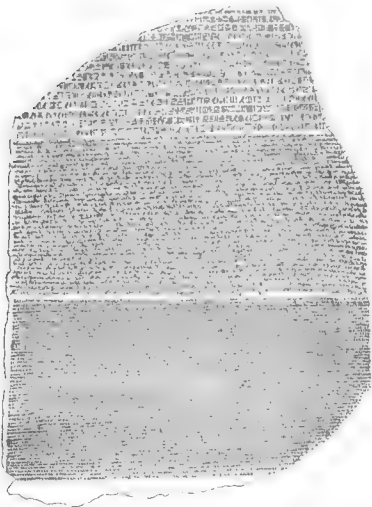
ومما يؤسف له أيضاً أن معظم هذا الكتاب قد ضاع ، ولم يصل إلينا منه إلا ما عني بنقله وحفظه مؤرخو المصور الأولى بعد الميلاد . ولا يعتمد المؤرخون على ما جاء بهذا الكتاب إلا في الوقائع التي أثبتوها من المصادر الأخرى . فأهم ما انتفعوا به منه حصرة ملوك مصر . وكان يشك في ذلك أيضاً ، لولا أن الاستكشافات الحديثة أثبتت صحته . وعند كلامه على ذلك بدأ بالملك « مينا » ، وقسم الملوك الذين من بعده إلى ٣١ أسرة حكمت مدة ٣٥٥٥ سنة

ثم كتب في تاريخ مصر في أوائل ظهور المسيحية « ديودور » و « إسترابون » الإغريقيان ، ولكن كلامهما أيضاً جاء محتاجاً الى برهان ولو لم يعرف الناس بعد قراءة النقوش والرسوم التي على تلك الآثار ، لبقيت أبد الدهر قليلة الجدوى في ارشاد المؤرخين الى الحقيقة . فقد كانت الكتابة الهيروغليفية قد نسيت أيما نسيان ، ولم يكن في العالم أجمع من يستطيع فك طلاسمها وحل رموزها ، الى أن جاء « نابليون بونابرت » الى مصر في غارته المشهورة ، فعثر أحد ضباطه سنة ١٧٩٩ م على الحجر المشهور المسمى بحجر رشيد

اهمية فك  
الحروف  
الهيروغليفية

حجر رشيد ويوجد هذا الحجر الآن بين نفائس دار التحف والمعاديات بمدينة لندن . ويحتوي على عبارة مكتوبة بثلاث لغات : أولاها بالهيروغليفية ، وثحتها ترجمتها بالديموتيقية ( وهي اللغة المصرية القديمة الدارجة ) ، وثحتها ترجمتها باللغة الإغريقية . فتمكن الباحثون من مقارنة أسماء الأعلام الواقعة

في المبارتين المير وغلفية والديموقية بنظائرهما في الترجمة الإغريقية. ومن ذلك الحين ابتدأ المؤرخون والأثريون في اوربا يشتغلون بحل رموز الكتابة المصرية القديمة. واستعانوا على ذلك بالآثار الأخرى. وأول من خطا الخطوة الأولى في ذلك هو «تومس بينج» الانجليزي (١٧٧٣ - ١٨٢٩م)،



حجر رشيد

ولكن الذى يُنسب اليه التغلب النهائى على هذه الصعوبة هو « فرانسوا شمبليون » الفرنسى ( ١٧٩٠ - ١٨٣٢ م ) . ومن ذلك الوقت الى الآن ازدادت معرفة العالم بتاريخ مصر القديم ولاسيما فى العشرين سنة الأخيرة

### \* تمهيد \*

كانت مصر فى أول عهدنا تشمل عدة ممالك صغيرة تكوّنت منها بعد مملكتان عظيمتان : الأولى فى الوجه القبلى ، والثانية فى الوجه البحرى . ثم ظهر من الوجه القبلى رجل يُدعى « مينا » ، ضم القطرين بعضهما الى بعض ، وجعلهما مملكة واحدة تحت سلطانه سنة ٣٤٠٠ ق . م . \* وهذا هو ابتداء العصر التاريخى لمصر الذى تكاد أكثر أخباره تكون معروفة مستيقنة ، وافتتاح العصور التى تكلم عليها « مانيتون » فى تاريخه وقد نهج المؤرخون منهج « مانيتون » فقسموا الملوك المصرىين الذين أولهم « مينا » الى ٣١ أسرة ، وتلك الأسرات الى ثلاث طبقات ، تُعرف بالدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، والدولة الحديثة

\* تواريخ العصور الأولى من تاريخ مصر القديم ليست معروفة يقيناً ، بل يقدرها المؤرخون بمقتضى فروض لهم . وقد قدر كل منهم لسنة تولى « مينا » مثلاً تاريخاً يختلف عما قدره الآخر . والذى اتبعناه فى هذا الكتاب هو رأى الأستاذ « برستيد » معلم التاريخ المصرى القديم وتاريخ المشرق بجامعة شيكاغو . وهالك آراء بعض مشاهير المؤرخين الآخرين عن سنة تولى « مينا » : بترى ٥٥٠٠ ق . م . - مريت ٥٠٠٤ ق . م . - بروكش ٤٤٥٥ ق . م . - إرمين ٣٣٠٠ ق . م . على أن المؤرخين يكادون يتفقون على تواريخ العصور التى تبتدى من الدولة الوسطى



وبعد اضمحلال الدولة الحديثة غزا الفرس مصر، ولبثوا فيها حتى دخلها عليهم الاسكندر المقدوني . وبعد وفاة ذلك الفاتح العظيم الذي لم يكن له وارث لملكه، اقتسم قواداً أملاكه، فكانت مصر نصيب أحدهم المدعو « بطليموس الأول » ، وهو مؤسس دولة البطالسة التي حكمت مصر مدة انتهت باستيلاء الرومان عليها سنة ٣٠ ق . م

## الفصل الثاني

### مصر قبل الاسرات الملكية

تدل الآثار المصرية ، ولا سيما التي كشفت حديثاً، على أن الجنس الإنساني قطن مصر منذ أزمان متوغلة في القدم . وقد عثر الباحثون على آلات من الظِرَّان\* دقيقة الصنع وعلى آنية فخارية مزخرفة وغير مزخرفة وعلى غير ذلك من الآثار القديمة جداً ، مما يدل على وجود حضارة بمصر قبل الميلاد بنحو ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ سنة . وأرجح الآراء الحديثة أن مؤسسي تلك الحضارة قوم لوبيثو الأصل ، غير أن حضارتهم ليست هي أساس مدينة المصريين الذين تكوَّنت منهم الأسرات المختلفة التي سنتكلم عليها ، والذين وصلوا بمصر إلى أعظم درجات الرقي ، بل كانت لهم حضارة قديمة مستقلة بذاتها

وجود حضارة  
بمصر قبل الميلاد  
بنحو ٨٠٠٠  
سنة

أما الحضارة التي ابتدأ ظهورها بإبتداء الأسرات الملكية فيعزى

في أن حضارة  
الاسرات الملكية  
أصلها من آسيا

\* ظِرَّان وظِرَّان : جمع ظِرٍ وظِرَّر . وهو الحجر الصلب الرقيق الذي حده كحد السكين وقد استعمله الانسان قديماً للقتال

أصلها الى القوم الفاتحين أجداد « مينا » ذلك الملك الشهير . وقد ثبت أن أصل هؤلاء الفاتحين قوم ساميو الجنس قدموا إلى مصر من آسيا . ولا يُعلم بعدُ علم اليقين من أين دخلوا البلاد ، فمن قائل إنهم جاءوا من برزخ السويس ( وهو الأرجح ) ومن قائل إنهم عبروا البحر الأحمر ، ووفدوا على مصر من جهة بلاد الحبشة . وعلى كل حال نعلم يقيناً أن القوم الذين نشأ من بينهم « مينا » كانوا قبل ظهوره يقطنون الجهة الجنوبية من مصر . ومما يدل على أن الفاتحين أجداد « مينا » من الأجناس السامية أن أقدم ما وصل إلينا من لغتهم مُشاهد فيه العنصر الإفريقي والسامي ، وأن الأخير غالب على الأول . دخل هؤلاء الفاتحون ومعهم حضارة أرقى من التي كانت بمصر في ذلك الوقت : فهم الذين جاءوا بفن التحنيط وبالكتابة الهيروغليفية ، ومنذ دخولهم درجت مصر في طريق الرقي شيئاً فشيئاً ، إذ كان لحضارتهم تأثير في السكان الأصليين ، ونشأت من اتحاد العنصرين في ذلك العصر ( أى الذى قبل زمن الأسرات ) حضارة لا بأس بها . فكانوا يصنعون آنية جميلة من الفخار ، ثم صنعوها من الأحجار ، فأجادوا فيها كل الإفادة . وفي ذلك العصر ابتداء فن عمل التماثيل يظهر بينهم ، فصنعوا تماثيل من الخشب والعاج والحجر متلائمة الصنع ، واتخذوا من الطران قوُساً وحراباً وغيرها من الآلات ، ثم تقدموا فصنعوا أمثالها من النحاس . وفي الجملة كان هذا العصر دور انتقال من العصر الحجري الى عصر المعادن . أما أهم ما اشتغلوا به في ذلك الوقت فكان الزراعة ، التي لفتهم إليها خصب وادى النيل . وكان بالبلاد إذ ذاك كثير من الغابات تأوى إليها الفيلة والزرافة وأفراس الماء وغيرها ، وكان من

الحضارة في مصر  
قبل الاسرات  
الملكية

المصريين عدد وافر يشتغل بصيدها وصيد سباع الصحراء التي هي أشد  
منها بأساً كالأسد والثور البري، يرمونها بالسهام والنشاب. أما التماسيح  
وأفراس الماء، فكانت تُرمى من القوارب بالحرايب والخطافات. وكان صيد  
هذه السباع يُعدّ من المآثر العظيمة التي يخلدونها بالنقش على الصخور

وكانوا يشتغلون في ذلك العصر أيضاً بقليل من التجارة، واتخذوا  
لهم سفناً شراعية عابها أعلام مختلفة، يقول المؤرخون انها رموز للممالك  
الصغيرة التي كانت تحتوى عليها مصر اذ ذاك، والتي انتهى أمرها بانضمام  
بعضها إلى بعض وتكوين مملكتين عظيمتين منها: احدهما في الشمال،  
هي مصر السفلى، والأخرى في الجنوب، هي مصر العليا. وتمّ ذلك  
الاتحاد في عصر بعيد (أى قبل سنة ٤٠٠٠ ق. م)، ولا نعرف شيئاً  
عن الرجال الذين سعوا فيه، أو الحروب التي نشبت من أجله، بل لا نعرف  
شيئاً كثيراً عن المملكتين اللتين نشأتا من هذا الاتحاد لبعدهما

اقسام مصر في  
الأزمنة الفارة  
الى اقسام عديدة

ومما نعرفه عنهما أن كليهما كانت لها صفات وشارات تميزها عن  
الأخرى: فمن ذلك أن أهل الشمال كانوا يتخذون رمزاً لهم حُرْمة من نبات  
البردى النبات بكثرة في منافع الوجه البحرى. وكان ملكهم يتخذ النحلة  
رمزاً له ويلبس تاجاً أحمر ذا شكل خاص. أما أهل الجنوب فكان رمزهم  
الزئبق، ورمز ملكهم نبات من نبات الجنوب، وشارته تاج طويل أبيض  
ولما كانت مصر السفلى عرضة للوبيين القاطنين في غربها كان يرد  
عليها العدد العظيم منهم فيقيمون بها، حتى أخذ الجزء الغربى منها صبغة  
لوية بقيت ظاهرة فيه زمناً طويلاً، على حين ان مصر العليا كانت  
مصطبغة بالصبغة المصرية البهجة

مملكتنا الشمال  
والجنوب ورمز  
كل منهما

ومما يؤسف له أن مصر السفلى طالما غمرها النيل بفيضانه المتكرر على مرّ الدهور، فاندثرت آثار تلك المملكة الشمالية، مع أن الظاهر أنها أقدم في الحضارة من أختها الجنوبية

أما عاصمة هذه المملكة الشمالية فكانت مدينة « بوتو »<sup>(١)</sup> يقابلها مدينة « نَحْب »<sup>(٢)</sup> عاصمة المملكة الجنوبية

ولم يصلنا شيء يذكر من أخبار ملوك ذلك العصر، ولم نعثر بعد على قبورهم، بل لم تقف إلا على أسماء نفر منهم منقوشة على الحجر المعروف بحجر « بلّرم »<sup>(٣)</sup>

وكان الذين خلفوا هؤلاء الملوك يلقبونهم « بنصف آلهة »، ثم قيل عنهم فيما بعد إنهم آلهة حكموا مصر قبل أن يحكمها الإنسان

## الفصل الثالث

### تأسيس الاسرات المالكية

واتحاد الشمال والجنوب

بقي كل من إفليحي الشمال والجنوب (مصر السفلى والعليا) مستقلاً بذاته الى أن تولى حكم مصر العليا رجل عظيم يدعى « مينا » جمع بين

اتحاد الشمال  
والجنوب

(١) في شمالي الدلتا (٢) مقرها قرية «الكاب» الحالية الواقعة بين اسنا وادفو  
(٣) «حجر بلّرم» ووجد ضمن الآثار المصرية. نُقش في أيام الأسرة الخامسة ومكتوب عليه أسماء ملوك مصر الأوائل، وبه أسماء ١٣ ملكاً حكموا مصر من عهد الأسرة الأولى الى عهد الخامسة مع بيان مدة كل منهم. وبه أيضاً بيان ارتفاع النيل في كل سنة منها. وهذا الحجر الآن بمدينة « بلّرم »

تاريخ (٢)

المهارة الحربية والمقدرة السياسية، فقبض على جميع أزمّة الاقليم الجنوبي، ثم تمكن بذلك من غزو مصر السفلى وضمها الى ملكه، فكوّنت من الاثنتين مملكة مصرية عظيمة كان هو أول الفراغنة الذين جلسوا على عرشها. ولما كان منشؤه في مدينة « طينة »<sup>(١)</sup> لم يرَ أن موقعها بحيث يسهل جعلها مركزاً لإدارة مملكته الواسعة الجديدة. فحول مجرى النيل من الجبل الغربي الى مجراه الحالي<sup>(٢)</sup>، وبني عاصمته « منف » (منفيس)<sup>(٣)</sup> في الفضاء الذي تخلف من ذلك. ثم سنّ القوانين ونظم البلاد. ومن أعماله أيضاً أنه ردّ أهل النوبة الى الجنوب بعد أن كانت بلادهم الشمالية واصله الى مقاطعة ادفو

مينا

ومات بعد أن حكم طويلاً، ودُفن بالقرب من « طينة » مسقط رأسه فخلفه ابنه « تيتي »، وكان مولعاً بالعلوم، فألف كتاباً في الطب به عدّة أوصاف لعلاج أنواع شتى من المرض خصوصاً داء البرص. وله كتابان في الفلك وغير ذلك من العلوم

وبقى الإقليمان من بعده يحكمهما ملك واحد. وكانت كل شارات الملك ورموزه تدل على أنه حاكم المصريين، فكان يسبق اسمه في جميع الكتابات الرسمية بصورة النحلة رمز الشمال مشفوعة بنبات الجنوب. وكان تارة يلبس تاج الوجه القبلي الأبيض، وأخرى يلبس تاج الوجه البحري الأحمر، وطوراً يلبس تاجاً جمع بين الشكلين، هكذا:

(١) موقعها الآن « العرابة المدفونة » بالقرب من جرجا

(٢) بعض المؤرخين ينكر هذه الرواية

(٣) موقعها الآن البدرشين ومنية رهينة



(تاج الوجه القبلي الأبيض) (تاج الوجه البحري الأحمر) (تاج الوجهين)

انفصال  
الاقليمين في  
الادارة الداخلية

فكان ظهوره بهذه الهيئة في أيام الزينة، كفتح الترع وهو أكب النصر وما شاكل ذلك من الحفلات الرسمية، عنواناً على أنه ملك الوجهين البحري والقبلي، غير أن هذه الرموز الرسمية كانت في الحقيقة دليلاً على أن كلا من الاقليمين شاعر بوجوده بذاته، وأنه لم يندمج ويتلاش في الآخر، وفي الحقيقة كان الاقليمان منفصلاً أحدهما عن الآخر في الإدارة الداخلية وكان أصعب عمل أمام ملوك الأسرتين الأولى والثانية هو إرضاء اقليم الشمال وجعله يندمج تماماً في اقليم الجنوب. وكثيراً ما شق أهل الشمال عصا الطاعة فنشبت بسبب ذلك حروب أريققت فيها الدماء. وما زلنا نرى تذكارات الانتصارات عليهم منقوشاً على جدران معبد «هوروس» بجهة «هيراقتبوايس»\*

ولا شك أن هذه الحروب أثرت في حالة مصر السفلى، ولكنها لم تمنع مجموع المملكة من التقدم، بدليل أن حفر الترع وما شاكله من المنافع العامة كان آخذاً في الازدياد، وكذلك أخذت طوالع النبوغ تظهر في فن الهندسة، وارتقى نظام الحكومة وكثر بناء القصور، وعظم تشييد المقابر والنواويس، وابتدأت أيضاً التجارة بين مصر وما جاورها من البلاد مثل شبه جزيرة بلاد العرب. ويغلب على الظن أن المصريين ابتدءوا

\* بالقرب من الكاب

منذ ذلك العهد البعيد يتجرون مع سكان جزائر « بحر إيجة » ، بدليل أنه  
قد وُجدت في قبور ملوكهم أوانٍ من الفخار شبيهة جداً بأواني سكان  
تلك الجزائر

## الفصل الرابع

### عصر بناء الأهرام

( ٢٨٩٠ - ٢٤٧٥ ق . م )

الأسرة الثالثة ٢٩٨٠ - ٢٩٠٠      الأسرة الخامسة ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥  
» الرابعة ٢٩٠٠ - ٢٧٥٠      » السادسة ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥

يطاق هذا الاسم على العصر الممتد من منشأ الأسرة الثالثة الى منتهى  
الاسرة السادسة ، وذلك لانتشار بناء الأهرام فيه انتشاراً كبيراً أدى الى  
تلقبيه « بعصر بناء الأهرام » ، وإن كان تشييد الأهرام لم يبطل بته إلا  
في أواخر أيام الدولة الوسطى . وهذا العصر يمثل طوراً هاماً من الأطوار  
التي تقلبت فيها مصر . ويأخص وصفه فيما يأتي :

كان ملوك الأسرتين الأولى والثانية على جانب عظيم من القوة  
وشدة البأس ، فكانت جميع السلطة في قبضة الملك لا ينازعه فيها منازع .  
وقد يهب جانباً كبيراً منها لحكام الأقاليم مختاراً ، ولكنه يستأثر بالسيطرة  
العليا فيعزلهم من مناصبهم اذا هم أساءوا استعمالها أو حادوا عن الخضوع  
لسلطانه . استمرت هذه الحالة في أيام الأسرة الثالثة ، حتى وصلت قوة  
الملك فيها الى منزلة لم يسبق لها مثيل ، يدل على ذلك الآثار الهائلة التي  
أقيمت في أيام هذه الأسرة وما بعدها ، اذ لم يكن يتسنى تشييدها الا في

عهد ملك قوى قبض على كل السلطة في أنحاء البلاد ، حتى تمكن من إنفاق تلك الفناطير المقنطرة من الثروة في بناء هرم هائل لا داعي لإقامته سوى رغبته الخاصة . ويظهر أن قوة الملك بلغت أقصاها في أوائل أيام الأسرة الرابعة ، أى في الوقت الذى شيّد فيه «خوفو» هرم الجيزة الأكبر ومن بعد عهده أخذت السلطة تتسرب من يد الملك . ويرجع ذلك الى أمرين : الأول أن حكام الأقاليم استبدّوا بجانب كبير من القوة ، والثانى أن كهنة عين شمس ( مقر عبادة « رع » ) أخذوا يتدخّلون فى الأمور السياسية حتى صار لهم نفوذ كبير ، فأضعف ذلك قوة الملك من جهة ، وزاد فى شوكة حكام الأقاليم من جهة أخرى . وما زال نفوذ الكهنة يزداد شيئاً فشيئاً حتى قضوا على الأسرة الرابعة ، وأسسوا الأسرة الخامسة . وانتهز حكام الأقاليم هذه الفرصة فجعلوا مناصبهم وراثية ، وإن لم يجيدوا عن الولاء للملكهم . واستمرت البلاد آخذة فى أسباب التقدم ، فزاد فرعون من نفوذ مصر فى بلاد النوبة ، وأرسل البعثات التجارية الى بلاد « بَنْتْ \* » و« سيناء » و« فينيقية » و« بحر إيجة » . ومع كل هذا أفضت مزاحمة الأمراء والولاة للملك الى ارتباك عظيم فى سياسة البلاد وانتشار الفوضى فيها ، وعند وفاة آخر ملوك الأسرة السادسة رجعت مصر الى تلك الفوضى التى أتقدها منها مينا قبل ذلك بنحو ١٠٠٠ سنة

بناء القبور  
والأهرام

ولكى نفهم الغرض من بناء الأهرام والمقابر عند قدماء المصريين يجب علينا أن نعرف شيئاً من معتقداتهم فيما يختص بالحياة بعد الموت . كان المصريون يعتقدون أن من عاش عيشة طاهرة فى هذه الحياة الدنيا

\* موقعها الآن بلاد الصومال وشواطئ خليج عدن



يعيش بعد الموت عيشة رغداً في أرض أخرى يتخيّلون موقعها بالإجمال في الجهة الغربية . وكانوا يعتقدون أيضاً أن الإنسان مكوّن من جزأين : الجسم والروح ( المسمى عندهم « كا » ) . ولكي يبقى الروح متمتعاً بالحياة يجب أن يكون الجسم بعد الموت باقياً على صورته ، ولذلك عملوا على تحنيط الموتى وبناء المقابر الحصينة كي يُحفظ الجسم بها من يد العابثين والصوص . وكانوا يضمون في القبور الطعام والشراب ليتناول الروح منهما ما ينتعش به . وكثيراً ما كانوا ينقشون على جدران المقبرة المناظر التي كان يعيش بينها الميت والخيرات التي كان يتمتع بها ، مثل صورة منزله وحدائقه ومزارعه وخدمته على اختلاف أنواعهم ، كلٌ يشغل بعماله ، ومثل أشكال الرياضة التي كان يروض نفسه بها وغير ذلك ، زعموا منهم أن الروح يستأنس بهذه الصور ، فتذهب عنه الوحشة

وكانت حالة القبور في الأمرين الأولى والثانية تقرب الى الفضاضة وقلة التأنق ، فان الجنة كانت توضع في حجرة تحت الأرض توصل اليها زلافة منحدره . وكانت بالمقبرة حجرتان أخريان فوق الأرض : إحداهما توضع فيها المطايا المقدمة للروح ، والأخرى توضع فيها تماثيل الميت ( وتسمى الآن عند علماء الآثار سرداباً ) . وكان يُصنع في الجدار الغربي من كل مقبرة فجوةٌ غائرة في الحائط تحاكي الباب ، ترد الروح منها على زعمهم لتتناول ما تريد من المطايا . وكانت القبور في أول الأمر تُبنى من اللبن المجفف في الشمس وتشيّد على شكل هرم ناقص أضلاعه قليلة الميل . ولوجود شيء من الشبه بين هذا الشكل وبين المصاطب التي بمدخل منازل القرى في الوقت الحاضر أصبحت كل مقبرة من هذا النوع تسمى « مصطبة » .

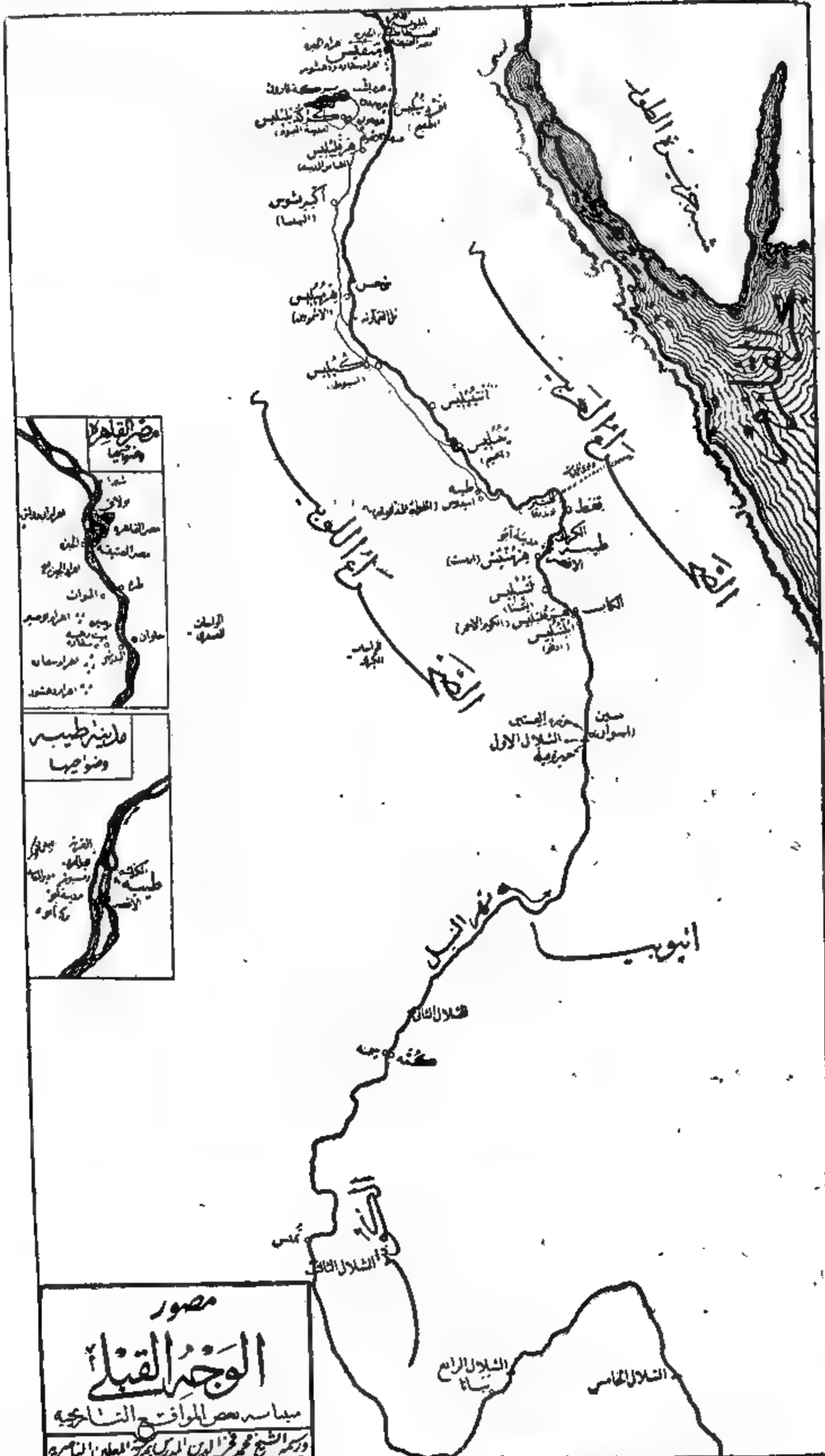
ثم ارتقت المقابر شيئاً فشيئاً ، فصار يُبنى فوق المِصطبة مِصطبة أصغر منها وقد يبنى فوق هذه أخرى أصغر منها وهكذا ، فينشأ من ذلك ما يسمى « بالهرم المدرج » . وأول من شيد هرمًا بهذه الصفة هو « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة ، فإنه شيد « هرم سقارة المدرج » حوالي سنة ٣٠٠٠ ق . م من خمس مصاطب إحداها فوق الأخرى ، فكان هرمه هذا أقدم بناء كبير من الحجر عُرف في التاريخ . وقد اتبع هذه الخطة العامة بناة الأهرام من بعده ، غير أنهم زادوا في أهرامهم ما جعلوا به أضلاعها مستوية . وفي المقابر الهرمية كانت توضع الجثة في حجرة خفية داخل الهرم أو تحته ، وبذلك كان الهرم والحجرة التي به بمثابة الحجرة التي كانت توضع فيها الجثة في العصور الأولى . أما العطايا التي تقدم للروح فكان يبنى لها معبد ملاصق للهرم من الجهة الشرقية يسكنه كهنة قومة بشؤون هذه العطايا . ولا تزال آثار هذه المعابد ظاهرة بالجزيرة وبوصير

وصلت « منف » ( منفيس ) في أواخر أيام الأسرة الثانية الى درجة الاسرة الثالثة من الرقي كادت تخنى على عظمة « طينة » التي يُنسب اليها ملوك الأسرتين الأولى والثانية . ولما انتهت الأسرة الثانية أسس « زوسر » الأسرة الثالثة فكانت أيامه المبدأ الحقيقي لعظمة منف . وفي عهده استمر استخراج معدن النحاس من شبه جزيرة سيناء وأخضعت قبائل بلاد النوبة الشمالية المجاورة للجنادل الأولى . وقد ساعد « زوسر » على نجاحه العظيم وزيره المدعو « إِمْتِيب » الذي كان على جانب عظيم من الحكمة وطول الباع في فلسفة الدين والسحر والحكم والأمثال والطب وفن البناء و « زوسر » هو أول من شيد من الحجر مباني عظيمة كثيرة



(هرم سقارة المدرج)

العدد، وأول من حسن صناعة القبور، فبنى بجمه « بنى خلاف » بالقرب من « أيدوس » مصطبة عظيمة من الطوب، ثم شيد في الصحراء بالقرب من منف تربة من الحجر أعظم من هذه، بل أعظم من أى تربة بنيت قبلها، وهى الهرم المدرج المذكور آنفاً المعروف بهرم سقارة المدرج. وبعد أن توفى « زوسر » بقيت البلاد آخذة في أسباب التقدم الى أن تولى الملك « استنفرو » آخر ملوك الأسرة الثالثة، وكان بصيراً ساهراً على ما فيه الصالح لبلاده، فشيد الطرق التجارية وبنى السفن العظيمة. ومن أعماله أنه فتح باب المتاجرة مع الممالك الشمالية وأرسل أسطولاً مكوثاً من أربعين سفينة الى الشاطئ الفينيقى لإحضار خشب الأرز من جبال لبنان، فكان ذلك أول بعثة بحرية أرسلت داخل البحار. ومن أعماله أيضاً أنه نظّم حدود القطر الشرقية وحصنها، وقاد حملة حربية على بلاد النوبة الشمالية فعاد ومعه الألوف من الأسرى والماشية



مصور  
**الوجه القبلي**  
 مبناه مصر المواقف السياحية  
 ورسمه الشيخ محمد فوزي الدين المرعي بمصر العظمى القاهرة

وقد شيد تربتين احدهما يجمه « مِيدُوم » على شكل هرم مدرج  
والأخرى يجمه « دَهْشُور » على شكل هرم كامل ، وكلا الهرمين بين  
منف والقيوم

وكانت مصر في أيام « اسنفرو » قد وصلت الى درجة كبيرة من  
الرقى مهدت لها طريق السير الى تلك العظمة الهائلة التي بلغت في أيام  
الأسرة الرابعة وما بعدها . وتقوم في أيامه طائفة الأشراف الموظفين في  
حكومة الملك ، وجعلوا ينون لأنفسهم المصاطب العظيمة من الحجر  
المنحوت ، ويختارون مواضعها حول قبر مليكهم الذي يخدمونه

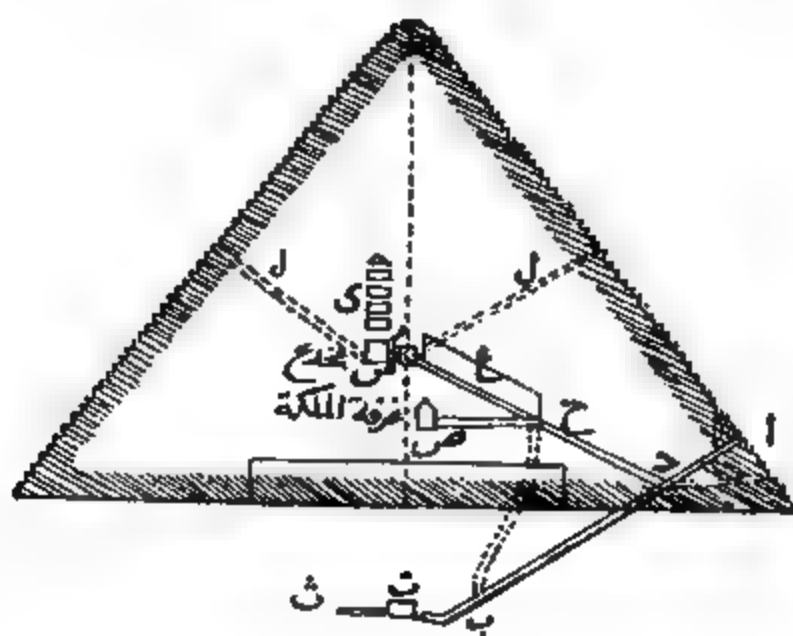
وبعد وفاة « اسنفرو » انتهت أيام الأسرة الثالثة ، وتولى الملك  
« خوفو » مؤسس الأسرة الرابعة التي يُعدّ عصرها أزهى عصور للدولة  
القديمة . وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنه أزهى عصور الحضارة المصرية  
بأجمعها . ولا غرو فإن دقة البناء ونخامته وجمال التماثيل وروعها في تلك  
الأيام لتكفي لإثبات ما كان المصريون عليه من الحضارة العظيمة في عصر  
هذه الدولة

خوفو مؤسس  
الأسرة الرابعة

ومؤسس الأسرة الرابعة هو الملك « خوفو » ، وكان يسميه اليونان  
(كبيس) . وقد عرّف هذا الملك كيف يتخذ اسمه في التاريخ ، فشيّد هرم  
الجيزة الأكبر الذي لم ير العالم بناء أكبر منه . ولا يزيد التمرّض لموضوع  
فائدة ذلك الهرم أو غيره ، وإنما تؤكد أنه من أجله صار اسم « خوفو »  
أظهر اسم بين أسماء الملوك الذين حكموا في الشرق الى وقتنا هذا . وان  
ضخامة هذا البناء الهائل جعلته احدى عجائب الدنيا ، فقد قرّر المؤرخون  
والمهندسون ان بناءه يشمل نحو ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجر ، متوسط وزن الحجر

هرم الجيزة  
الأكبر

منها طنان ونصف . وقد قال «هيردوت» المؤرخ اليوناني : إنه كان يشتغل في بناء الهرم مائة ألف رجل<sup>(١)</sup> يُستبدل بهم غيرهم كل ثلاثة أشهر ، وان بناءه استغرق عشرين عاماً . وقد أثبت أعظم المؤرخين المُحدثين أن ذلك تقدير معتدل . وليست غرابة الهرم في حجمه فقط ، بل من حيث دقة صناعته ، كاختخاب الأحجار وجودة نحتها وضبط زواياها وحسن رصفها ورقة المَلَاط الذي بينها ، مما أدهش أعظم مهندسي الوقت الحاضر . أما ارتفاع الهرم فكان وقت تشييده ١٤٥ متراً ، ثم تناقص بتهدم قته في السنين الطوال حتى صار ١٣٧ متراً . وأما قاعدته فربعة الشكل وطول كل ضلع من أضلاعها يبلغ الآن ٢٣٣ متراً<sup>(٢)</sup> ومسطحها يبلغ ١٢ فدانا تقريباً



( بيان الهرم الأكبر من الداخل )

أ : المدخل — ادب : زلاقة الى أسفل ، منها اد مفرغ في بناء الهرم والباقي مفرغ في الصخر — ت : حجرة تحت الأرض — ث : سرب أفقي — د ح س : زلاقة صاعدة — ع : ابوان مرتفع على عيني الزلاقة — س : دكة — م : ممر من الدكة الى مخدع الملك — ح ص : سرب أفقي موصل الى الحجرة المعروفة الآن بشرفة الملكة — ل ، ل : ممران لدخول الهواء — ي : خمس غرف صغيرة أفرغت في البناء فوق مخدع الملك لتخفيف الثقل عن سقفه — ح ب : بئر

(١) قيل إن معظمهم كان من الاسرى (٢) ألف شبر

وكان القصد من بناء الأهرام إيجاد مكان حصين خفي يوضع فيه تابوت الملك بعد مماته ، ولذلك شيدوا الهرم وجعلوا فيه أسراباً خفية زلقة صعبة الولوج لضيقها وانخفاض سقفها واملأوها ، حتى لا يتسنى لأحد الوصول الى المخدع الذي به التابوت . ومن أجل ذلك أيضاً سد مدخل الهرم بحجر هائل متحرك لا يعرف سر تحريكه إلا الكهنة والحرس ، ووُضعت أمثال هذه الأحجار على مسافات متتابعة في الأسراب المذكورة ، وبهذه الطريقة بقي المدخل و منافذ تلك الأسراب مجهولة أجيالاً من الزمان ﴿وجميع هذا الهرم مشيد من الحجر الجيري الصلب ما عدا المخدع الأكبر فانه من الصخر المحبب ( الجرانيت ) . وكان يحيط بقاعدة الهرم طَوَّار ( رصيف ) عرضه يترب من الثلاثة الأمتار ، وكان الهرم مغطى بطبقة من الصخر المحبب فوقها أخرى من الحجر الجيري المصقول . ووُضع الملاط بين الأحجار في غاية الدقة حتى كان الناظر إلى الهرم يكاد يظنه صخرة واحدة . ثم انكشف هذا الغطاء بعد أن كان ساتراً لمدخل الهرم وهو عند المدماك الثامن عشر في الجانب الشمالي )

ومما يلاحظ فيه أن جوانبه مواجهة للجهات الأربع الأصلية بالضبط ، وقد ذهب بعضهم إلى أنه كان لذلك أهمية فلكية في ذلك العصر

ومع اننا لم يصلنا شيء كثير من أخبار « خوفو » وملكه الزاهر فوق بنائه لهذا الهرم العظيم ، يسهل علينا أن ندرك مقدار نظام الحكومة ورخاء البلاد في أيامه بالتأمل في الكيفية التي تم بها بناء الهرم ، إذ أنه ليس من السهل اطعام مائة ألف عامل وايواؤهم وكلهم عالة على الأمة لا يفيدون ثروة نافعة ، كما أنه من الصعب تنظيم تلك الحركة الهائلة عند



اهرام الجيزة (منظر عام)  
(رسم على احدى يوسف)



ابو الهول  
(رسم لكحيان)





مقاطع الأحجار بحيث لا ينشأ عنها عطله في البناء.

وبعد أن توفي خوفو خلفه « خفرع »<sup>\*</sup> فشيّد هرم الجيزة الثاني  
وهو أصغر قليلاً من هرم خوفو وأقل جودة في صناعته. ومما يجدر ذكره  
هنا أنه كان لهذا الهرم كما كان للهرم الأكبر معبد ملتصق بجانبه الشرقي،  
الذي شيده



(تمثال خفرع)

رسم ف ٥٠٠ . بيوت

بدار الآثار المصرية

\* معنى « خفرع » (المتبس من نورع). ولعل هذا دليل على ابتداء ظهور  
القوة في يد كهنة « رع ». ويلاحظ مثل هذا الاشتقاق في كثير من أسماء الملوك  
من بعده في الاسرات الرابعة والخامسة والسادسة

وكان يوصل لذلك المعبد طريق مرتفع ، في طرفه الأسفل بناء من المحجب ما  
زلنا نراه الآن بجوار أبي الهول العظيم ، وقد أطلق عليه «معبد أبي الهول»  
مع انه لم تثبت بعدُ علاقته بهذا التمثال

« معبد  
ابن الهول »

أما أبو الهول ذاته فلم يُعلم صانعه بعدُ يقيناً . وإنما الأرجح انه عمل  
في زمن الأسرة الرابعة ، وقيل قبلها . وهو تمثال هائل حفر من الصخر  
الطبيعي ، وجهه وجه انسان وجسمه جسم أسد ، ارتفاعه نحو ٢٠ متراً  
وطوله نحو ٤٦ متراً ، ولم يعلم الغرض الحقيقي من صنعه الى الآن

أبو الهول

وبعد أن توفي « خفرع » خلفه « منقرع » مشيد هرم الجيزة  
الأصغر . وفي أيامه حافظت مصر على عظمتها ، غير أن شوكة الملك ابتدأت  
تضعف قليلاً ، وزادت قوة كهنة « أون » ( عين شمس ) واكتسبوا جانباً  
عظيماً من السلطة السياسية .

لاحظنا أن كهنة « أون »<sup>(١)</sup> أخذوا يستبدون بالأمر في أوائل أيام  
الأسرة الرابعة ، وبقوا كذلك نحو ١٢٠ سنة وصلوا بعدها الى درجة من  
القوة مكنتهم من إسقاط تلك الأسرة وتأسيس أسرة جديدة هي الخامسة .  
ولما كان الفضل في تأسيس هذه الأسرة راجعاً الى الكهنة كان ملوكها  
أضعف ممن قبلهم ، فاتهمز حكام الأقاليم ورؤساء الحكومة هذه الفرصة ،  
واكتسبوا لأنفسهم تولى المناصب بالوراثة . فمن ذلك أن منصب « قاضي  
القضاة وكبير الوزراء » بعد أن كان يُسند الى أسن أولاد الملك أصبح  
حقاً خاصاً لأسرة جديدة هي أسرة « طاحتب الشهيرة »<sup>(٢)</sup> . وحدث مثل

الاسرة الخامسة

(١) يسمون « كهنة أون » أو « كهنة رع » (٢) لأحد أفرادها مقبرة بسقارة

تعرف « بمقبرة طاحتب » ويدل حجمها وضخامتها على ما كان لصاحبها من العظمة

ذلك في الأقاليم أيضاً، فإن كل حاكم كان يزداد في القوة عن سلفه على أن هؤلاء الحكام حافظوا بالرغم من ذلك على الولاء للملكهم، ولم يألوا جهداً في مساعدته بالنفس والنفيس على ما فيه تقدم البلاد ورفقها ولا غرو فان مصر في عهد هذه الأسرة حافظت على ينايع ثروتها، وقامت بمشروعات تجارية وحرية نافعة زادت من ثروتها وكانت لها أثر ظاهر في رفاهتها ونمو حضارتها. فمن ذلك أن « أوسركاف » أول ملوك هذه الأسرة مد سلطانه الى الجنادل الأولى ( حوالى سنة ٢٧٥٠ ق . م . ) وأن خلفه « سَحُورَع » أرسل حملة بحرية الى الشواطئ الفينيقية، واخرى الى بلاد « بُنت » وشواطئ خليج عدن الجنوبية، واخرى برية الى شبه جزيرة سيناء. ومن ذلك أيضاً أن الملك « إيسى » أرسل حملة حوالى سنة ٢٦٨٠ ق . م لفتح محاجر وادى الحمامات<sup>(١)</sup> وأرسل حملة أخرى الى بلاد « بُنت » أيضاً. ثم ان الملك « أوناس » آخر ملوك هذه الأسرة أيد سلطانه في الجنوب الى الجنادل الأولى حيث وُجد اسمه منقوشاً على الصخور مشفوعاً بلقب « رب البلاد ». وقد تركت هذه الأسرة مقابر عديدة على غاية من الابداع في النقش<sup>(٢)</sup> بعضها بمنف وبعضها في جهات شتى في الوجه القبلى. وآخر أهرامها هرم « أوناس » بسقارة، وهو منقوش من الداخل بالألوان وحافظت مصر في أيام الأسرة السادسة أيضاً على حضارتها. غير أنه

(١) هذا الوادى يمتد بين قنا على النيل وبين القصير على البحر الأحمر

(٢) قارن هذه باهرام الأسرة الرابعة التى لم تتوقف عظمتها على جمال نقشها بل على ضخامة احجارها ودقة صنعها

في عهدا زاد استقلال حكام الأقاليم، فصاروا يُعرفون «بالأمرء العظام» وأصبح كل منهم يُدفن بموطنه بعد أن كانت قبورهم ملتقطة حول قبر مليكهم. ومع هذا لم تزل للملك الكلمة العليا عليهم، بل تمكن بمساعدتهم من تنفيذ سياسة خارجية ما كانت تتم إلا بالقوة والبأس الشديد. فن ذلك أن «بيي الأول» ثالث ملوك هذه الأسرة (٢٥٩٠ - ٢٥٧٠ ق. م) بسط نفوذه في بلاد النوبة حتى جمعها تحت جيشها بالرجال. وقد أرسل حملة الى فلسطين وفينيقية وعدة حملات أخرى لتأديب قبائل البدو الشمالية الذين تعدوا حدود مصر الشرقية. ثم حذا حذوه ابنه «مرزوع» فتمكن بمساعدة امرء «إلفتين» الأشداء من حفر قناة في حجر الصوان بالقرب من الجنادل الأولى تسهيلاً لإرسال الحملات الى بلاد النوبة. وكانت فائدة هذه البلاد لمصر قد زادت، لاستخراج معدن الذهب منها ولكونها الطريق الموصل إلى بلاد بنت والسودان، ولذلك قام «مرزوع» بالاستكشاف عن تلك الجهات بنفسه، فوفد اليه كثير من رؤسائها لتقديم الطاعة وفي عهد «بيي الثاني» (٢٥٦٥ - ٢٤٧٦) الذي حكم البلاد نيافاً وتسعين سنة (وهو أطول زمن تولاه ملك في التاريخ) استمر ارسال الحملات الى داخل إفريقية وخصوصاً ما كان منها بقيادة «حرثوف» أمير «إلفتين» ذلك الذي منحه الملك لقب «حاكم البلاد الأجنبية». وفي هذا العهد بسطت مصر بعض السيادة على بلاد النوبة، وكشفت جهات الجنادل العليا، فكان ذلك تمهيداً لطريق الاستيلاء التام على بلاد النوبة فيما بعد. وليثت الغزوات تتوالى طول هذا العهد على بلاد «بنت» وتعود الى مصر بكثير من الخيرات

ولما توفي « يبي الثاني » تولى الملك من بعده عدة ملوك حكموا مدداً قصيرة، وتاريخهم غامض . وكانت قوة الملك في أيامهم قد بلغت منزلة من الضعف أصبح فيها عاجزاً عن ضبط ولايته، ولم تلبث الأسرة السادسة أن اتقضت واستقلت الأقاليم المصرية بتدبير شؤونها بنفسها، فبعد ان كانت البلاد في قبضة ملك واحد أصبح يحكمها عدد من الأمراء يتنازعون الأمر فيما بينهم . فوقعت مصر في مثل تلك الفوضى التي أنقذها منها « مينا » بعد أن قضت في مجبوحة المجد نحو الف سنة

وقد كان العصر الأخير من أيام الأسرة السادسة مظلماً جداً، لم يبلغنا شيء واضح من أخباره : ويفهم مما تقدم أنه كان عصر حروب وفتن داخلية طويلة نشأت من عظم نفوذ الأشراف وانتهت بسقوط الأسرة السادسة التي تعدّ في الحقيقة آخر الدولة القديمة . ومن ملوك هذه الأسرة الملكة « نيتوكريس » التي أتمت هرم الجيزة الثالث، وتحكى عنها أقاصيص كثيرة لم يثبتها الاستكشاف بعد . ثم حكمت مصر الأسرة السابعة ثم الثامنة، ولم يصلنا من أخبارهم سوى أسماء ملوكهم

سقوط الدولة  
القديمة

## الفصل الخامس

### الدولة الوسطى

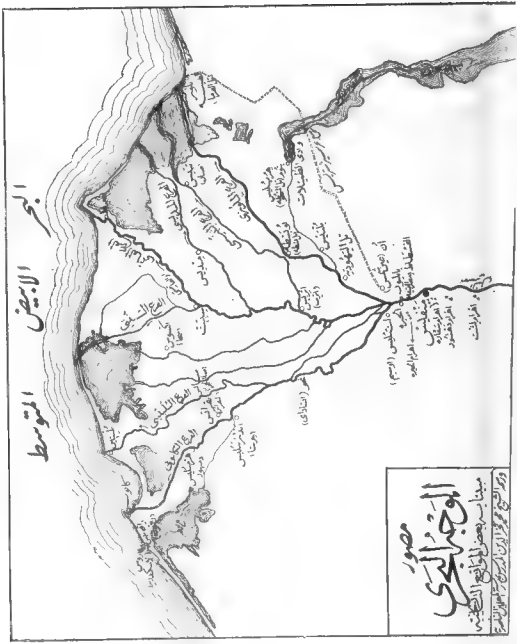
﴿ العهد الإقطاعي ﴾

( ٢١٦٠ - ١٧٨٨ ق م . )

قضت على الدولة القديمة الفتن الداخلية التي ابتدأت في أواخر الأسرة السادسة . وبفناء الأسرة الثامنة انتهت تلك المدة الطويلة التي كانت فيها منف مقرأ للحكومة ، وذلك أن الأشراف والأمراء الذين كانوا يقيمون في أقاليم مصر المختلفة أخذت قوتهم في الازدياد ، الى أن أفضى أمر أسرة منهم الى التغلب على ملوك الأسرة الثامنة الضعفاء ، فترعوا منهم الملك وجعلوا مقره في « هِرَقْلُو بوايس » جنوبي الفيوم ، وهي المدينة التي نشئوا فيها . وبذلك ابتدأت « الأستراتان التاسعة والعاشره » \* . أما مؤسس هاتين الأسترتين فهو « خيتي الأول » أو ( أختويس ) ، ولكن ملوكهما كانوا ضعفاء ، ولم يتركوا وراءهم أي آثار باقية تخلد ذكرهم . ولبثت سطوة أمراء النواحي في أيامهم على أشدها . وهم في ذلك فريقان : فريق حاق على الملوك شديد العداوة لهم ، وفريق مُزْدَلِف اليهم . مظاهر لهم على عدوهم ، ومن هؤلاء أمراء أسيوط ، فانهم كانوا مقرئين جداً من بيت الملك وكثيراً ما أفادوا الملك بحماية الحدود الجنوبية ، وقد عين أحدهم قائداً حربياً لمصر الوسطى «

الاستراتان التاسعة  
والعاشره

(\*) هكذا سمي ما يتنون ملوك هذه المدة



البحر المتوسط  
الابيض  
النيل

الخريطة المصرية  
مبينا بعض المناطق الطبيعية  
وذكر بعض أهم المدن المصرية  
مصور



وفي ذلك الوقت كانت إحدى الأسرات الأخرى من أمراء الجنوب  
آخذة في النهوض وهم أمراء « طيبة » بالقرب من مدينة « الافصر » الحالية،  
فما زال يشتد أزرهم حتى أعلنوا استقلالهم، ثم أسسوا الأسرة « الحادية  
عشرة » التي أخذت في توسيع نطاق ملكها زاحفة من الجنوب الى الشمال  
حتى خضعت لها البلاد بأجمعها

الاسرة  
الحادية عشرة

أما ملوك هذه الأسرة فكان بعضهم يسمى باسم ( أنثف ) وبعضهم  
يُدعى « مِتُّوْحِتِب » . ومما يؤثر عن آخرهم وهو « سِنِخْرَع مِتُّوْحِتِب »  
أنه أرسل حملة الى بلاد « بُنت » عن طريق البحر الأحمر

وانقضت أيام هذه الأسرة حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . ولم يترك  
ملوكها وراءهم من الآثار إلا قليلاً، ومعظمه لم يدم الى زماننا . وأهم ما  
يُعرف عن هذه الأسرة أنها نقلت مقر الحكومة من شمالي مصر الى  
جنوبها ( في طيبة )، ومهدت الطريق لبلوغ مدينة طيبة تلك الدرجة  
المشهوره في الرقي والحضارة مما جعلها الآن أغنى مدينة قديمة بالآثار في  
جميع أنحاء المعمورة

انتقال مقر  
الحكومة  
الى طيبة

أسس « امِنِمِحَمَت الأول » \* الأسرة الثانية عشرة بعد حروب  
طويلة . وكان عند ابتداء حكمه قد بلغ امراء الأقاليم مبلغاً عظيماً من الثروة  
والسلطان ، وصارت لهم قوة يُخشى بأسها لا يمكن للملك قهرها بالشدّة  
والعنف . وأدرك ذلك « امِنِمِحَمَت » نخادعهم بالهدايا النفيسة ووعدهم  
الوعود الجميلة، وبهذه الوسيلة استخدمهم في فتح الفتوح وتنظيم البلاد  
وقبل أن ندخل في الكلام على تاريخ الأسرة الثانية عشرة التي كان

« ويسمى أيضاً « امِنِمِحَمَتات »

عصرها من أزهى العصور المصرية نذكر شيئاً عن الحالة العامة لمصر في تلك المدة التي ابتدأت بظهور شوكة هؤلاء الأمراء وانتهت باتهاشها، وهي ما يسمى بالعهد الإقطاعي

### ﴿ مجمل حالة مصر في العهد الإقطاعي ﴾

كانت مصر في هذه المدة مقسمة الى أقسام أو ولايات صغيرة يحكم كلاً منها أمير، وهؤلاء الأمراء لم يتولوا مناصبهم بأمر الملك بل بطريق الوراثة عن آبائهم، فلم يُعتَبَرُوا من أرباب الوظائف في سلطانه بحالة ما. غير أن جميعهم كانوا يشعرون بواجب الولاء لفرعون مصر وعزيرها، ينصرونه اذا حارب، ويمدون بالرجال والمال اذا كان في حاجة اليهما

ولما مضت عليهم الأجيال الطويلة وهم ساثرون على هذا النظام قويت شوكتهم وأصبح الواحد منهم في ولايته فرعوناً صغيراً في نفسه، له من رجال البلاط وأمناء الخزان وقضاة المحاكم وعملة الدواوين وكتابها أمثال من لفرعون مصر الأكبر، وكان كل أمير منهم مسئولاً أمام ضميره عن مصالح قومه، وقصارى أماله أن يترك بعده الذكر الحسن فيهم ولم تكن جميع الأراضي التي يحكمها كل أمير من الأمراء ملكاً خالصاً له يرثها عن سلفه ويورثها خلفه، بل كان منها أجزاء يهبها المليك الأكبر طُمنَةً لهم يحكمونها طول حياتهم. وهذه الأراضي كان يهبها اليهم على هيئة « إقطاعات » تعطى لهم عند وفاة سلفهم. ولهذا سُمِّيَ ذلك العصر بعهد الإقطاعات أو « العهد الإقطاعي »

وهذه هي الوسيلة التي بها استطاع الملك أن يكون له بعض النفوذ

حالة الامراء

علاقتهم بالملك

عليهم وأن يكون له في إماراتهم من الوكلاء والسفراء من يوقفونه على  
أحوال أمته حتى يتبأ له ضبط ملكه والنظر في مصالح بلاده، غير أن  
سلطة هؤلاء الوكلاء والسفراء لم تخرج عن حد المراقبة، فكان الأمراء هم  
الذين يرسلون بأنفسهم ما يأخذه الملك من ريع البلاد وخراجها، وكانت  
هذه العلاقة بينهم وبين بيت المال أكبر رابطة تربطهم بالملك وتربط أنحاء  
البلاد بعضها ببعض

ولم يرمولك مصر إزاء هذه الحالة بدءاً من أن يحيطوا أنفسهم بالحرس  
والأعوان لحمايتهم وحفظ شوكتهم وتنفيذ رغباتهم، فكان ذلك مبدأ  
إعداد الجيوش القائمة في مصر

مبدأ اعداد  
الجيوش  
القائمة بمصر

وكان للأمراء رجال من هذا القبيل يقودونهم الى ساحة القتال  
فينضمون الى رجال الملك اذا استدعهم في حروبه

أما الطبقة الوسطى من الأمة فكانت في هذه المصوّر رائجة السوق  
كثيرة العدد، لكثرة الحاجة اليهم، وذلك لتموّقوة الامراء في أنحاء البلاد  
وازدیاد حاجاتهم المكتملة لمعيشة الترف والأبهة، فزاد بذلك عدد النقّاشين  
والحفّارين والنجّارين وغيرهم من أصحاب الحِرَف الدقيقة، كما زاد عدد  
التجّار والموظفين. ومما امتاز به أهل هذه الطبقة على أفراد الطبقة السفلى  
معرفةهم بالقراءة والكتابة. ومن ابتداء ذلك الوقت نجد للكاتب أهمية  
كبيرة، فتراه يفتخر بعلمه ويفضل مهنته على غيرها

الطبقة الوسطى

اهمية الكاتب

وأما طبقة العامة والدعماء من ألوف الألوف المشتغلين بالحرف الصغيرة  
وبزراعة الأرض التي هي أساس ثروة البلاد فكانوا أميين محتقرين.  
والظاهر أنهم كانوا موالى للأمير الحاكم في الإمارة التي يعيشون فيها، وأن

الطبقة الأخيرة

معظم ما يُفقدونه كان لحاجة الأمير وحاشيته ، وانهم لم يتجروا بشيء في الأسواق إلا القليل

وهذا النظام بما فيه من علاقة طبقات الأمة بعضها ببعض يشبه الشبه بين النظام الإقطاعي في الدولة الوسطى المصرية ومثله في القرون الوسطى بأوربا

الأسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق م )

ان عصر هذه الأسرة هو أزهى عصور الدولة الوسطى ، فكانت امنمحت الاول فيه البلاد في أعلى درجات الرخاء والسعادة ، وفيه أحييت العلوم والفنون ، واتسمت أملاك مصر في وادي النيل ، وتقدمت الزراعة وشيدت العمارات . ومؤسس هذه الأسرة هو « أمنمحت الأول » ( ٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق م ) . وقد تغلب على المصاعب الكبيرة التي لاقاها في اصلاح البلاد وتنظيمها بعد أن عبثت بها يد الفتن والحروب الداخلية . وباستبدلائه على عرش مصر نقل مقر حكومته من طيبة الى جهة متوسطة بالقرب من « اللثت » على بعد ٢٥ ميلاً من جنوبي منف . وقد ترك وراءه من الآثار في جميع أنحاء مصر ما يشهد له بالجد والسعي وراء مصلحة بلاده . ومن أعماله استخراج المعادن من المناجم الممتدة في الصحراء الى شبه جزيرة سيناء وقطع الأحجار من المهاجر العديدة ولا سيما ما كان واقعاً منها بجهة « الحمامات » . وأرسل حملة الى بلاد النوبة فأخضعت بلاد « الواوات » الى كروسكو ، حيث كان يوجد الذهب بكثرة . وبعد أن حكم البلاد وحده عشرين عاماً أشرك

• شمالي النوبة

اسرتسن الاول ابنه « أُسِرْتَسِنُ الْأَوَّلُ » في الملك بقصد تدريبه على ادارة شؤون البلاد. ولما طعن امنمحت في السن وشعر بقرب منيته قدم لابنه « اسرتسن » مجموعة نصائح مفيدة أوصاه فيها بالعناية برعيته ، وحذره ممن يلتفون حوله من كافري النعمة ذاكراً له ما جرى له : من أن جماعة من خدمة قصره حاولوا قتله لولا ان كشف أمرهم

وتوفي امنمحت الأول بعد أن حكم ثلاثين عاماً ، خلفه ابنه « أُسِرْتَسِنُ الْأَوَّلُ » ( ١٩٨٠ - ١٩٣٥ ق . م ) بعد أن تدرّب على الملك عشر سنين كان في اثناها شريكاً عاملاً لأبيه وقاد فيها الجيوش بنفسه لتأديب اللويين واخضاع النوبة . واشتهر منذ صغره بالشجاعة والقوة . وبعد وفاة والده قام بأمر الملك خير قيام وحفظ عظمة الأسرة اثناء حكمه الطويل الذي دام خمساً وأربعين سنة\* . ومن أشهر آثاره المخنقة مسلة ملة عين شمس عين شمس التي ما زالت بتلك الجهة الى الآن . وبدأ أيضاً مشروع خزان بحيرة موريس ، وسنشرحه عند الكلام على « امنمحت الثالث » الذي تمّ على يديه . ومن أعماله أيضاً انه بنى معبداً بجهة وادي حلفا ودوّن على بلاطة فيه انتصارانه على قبائل النوبة . ومن الأمراء المقربين منه « أميني » ذلك الذي له مقبرة جميلة بجهة بني حسن . وقد وُجد هرمه وهرم أبيه بجهة « اللشت »

ثم تولى الملك « امنمحت الثاني » ( ١٩٣٥ - ١٩٠٣ ق م ) جنى ثمار فتوح سلفه وحكم البلاد في هدوء وسكينة ، وعند وفاته دُفن بهرمه بدهشور وتبعه « أُسِرْتَسِنُ الثَّانِي » وله هرم بجهة « اللأهون » بالفيوم . وقد

\* في ذلك عشر السنوات التي حكمها مع أبيه



(مسلة عين شمس)

عُثر في هذا الهرم قريباً على بعض حُليٍّ من أجل ما وصل اليان من صنع العالم القديم

وبعد «أسرتسن الثاني» تولى «أسرتسن الثالث» (١٨٨٧ - ١٨٤٩ ق م) وكان شديد البأس مولعاً بالحروب . غزا بعض جهات سورية وأنتم الحروب في بلاد النوبة ، فمد الحدود المصرية الى ما وراء الجنادل الثانية وشيد لحمايتها قلعتين بنقطنى «بِمنّة» و «قُمّة» (خُمّة) وأمر السودان بالألّا يتجاوزوا ذلك الحد برّاً أو بحراً ما لم يكن ذلك بقصد التجارة ، وفي

هذه الحالة كانوا يعاملون بالحسنى . ومن أعماله انه لوقوف الجنادل عقبة في سبيل الملاحة حفر في صخرها المحبب مجرى تعبره السفن الكبيرة ، فتيسر بذلك مجاوزة السفن الى ما وراء الجنادل الأولى . ومن أعماله أيضاً أنه وصل النيل والبحر الأحمر بخليج يُعرف بخليج « سيزوستريس » . وقد كانت أيامه من أزهى عصور اللغة المصرية القديمة . وفي عهده أخذت شوكة الأشراف في الاضمحلال . أما هرم هذ الملك فبجهة دهشور ، وقد وُجدت بالقرب منه حلي بديعة لبعض أميرات أسرته

وبعد ان توفي خلفه « امنمحت الثالث » ( ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق م ) وقد خلد ذكره في التاريخ بأعماله السلمية المفيدة . وفي أيامه بلغت الدولة الوسطى أقصى درجات مجدها . وكادت تفنى في عهده قوة الأشراف بعد ان أخذت في الاضمحلال في أيام سلفه ، وقد تمت على يديه عدة مشروعات سلمية زادت كثيراً في ثروة البلاد ، ففي أيامه نُظمت مناجم سيناء وصارت ينبوعاً مستمراً للثروة ، وأنشئ بجهة ( سبنة ) مقياس للنيل ينبئ عن حال الفيضان فتُجبي الضرائب بمقتضاه

امنمحت الثالث

أدرك امنمحت الثالث توقف فلاح مصر على جودة ريتها ، فقام بمشروع عظيم لخرن مياه الفيضان حتى ينتفع بها في أوقات هبوط النيل . وذلك أنه لما رأى انخفاض اقليم الفيوم عن سطح النيل وأن مياه الفيضان تغمره كل عام فتقلبه الى بحيرة عظيمة ، أقام حول جزء منه سوراً عظيماً ، فصار هذا الجزء بمثابة خزان كبير ، ترد اليه المياه وقت ارتفاع النيل بواسطة

خزان بحيرة  
موريس وتوسيع  
أراضي الفيوم

هذا أيضاً من الأسماء التي أطلقت على « أسرتسن » . وقد أطلق أيضاً

على رمسيس الأكبر

ترعة<sup>(١)</sup> وتخرج منه أيام انخفاضه بترعة أخرى فتروى أراضى الوجه البحرى<sup>(٢)</sup>. وبهذه الطريقة أيضاً انحسرت مياه النيل عن كثير من البقاع التى كان يغمرها الفيضان فى الفيوم كل عام، فأصبحت صالحة للزراعة. ومن ذلك العهد صارت الفيوم مقرّاً للملك هذه الأسرة. وقد أدرك بعض من سبقه من ملوك الأسرة الثانية عشرة ثمرة هذا المشروع، ولكن الفضل الأكبر فى انجازه راجع الى هذا الملك العظيم الذى كان من صفه مولعاً بمراقبة مدّ النيل ورصده

وقد شيّد أُنْمَحَمَت على شاطئ الترعَة التى ترد منها المياه الى الخزان قصر لارت ذلك البناء العجيب المسمى «لايرنت» الذى اشتهر فى قديم الزمان ببداعته، ولم يبقَ منه الآن إلا بعض أحجار بالقرب من هرم اللاهون. على أن «هيرودوت» المؤرخ اليونانى قال عنه: انه يحتوى على ثلاثة آلاف محل ما بين حجرة ورذمة، نصفها تحت الأرض والنصف الآخر فوقها، عدا ثمانى ساحات مسقفة متقابلة الأبواب. والظاهر أنه كان مقرّاً للحكومة تُدار منه جميع البلاد

وفى عهد اُنْمَحَمَت أيضاً نُظِمَت التجارة ووُضِعَت وحدة مشتركة لقياس قيمة ما يشرى وما يباع، وهى عبارة عن وزن خاص من النحاس وكانت تسمى «دين». وبالاختصار كانت أيامه أيام سعادة ورخاء فى جميع أنحاء البلاد. وبوفاته دُفِنَ بهرمه بدهشور، وكانَ حظ مصر قد دُفِنَ معه

(١) هذا الخزان هو المعروف ببحيرة موريس والترعة هى المسماة الآن ببحر يوسف

(٢) دلت الاحصاءات الحديثة على أن المياه التى كانت تخزن بهذه الطريقة تكفى

لجمل مياه النيل فى المائة اليوم الأوائل من انخفاضه ضعف ما تكون عليه بدونها



فحكم من بعده « امنمجت الرابع » ثم الملكة « سيبكينفروزع » ،  
ولكن مدتها كانت قصيرة ، وأخذت فيها البلاد تتقهقر تقهقرًا سريعاً  
حتى انتهت أيام الأسرة الثانية عشرة بعد أن استمرت نحو ٢١٣ سنة

### ﴿ اضمحلال الدولة الوسطى ﴾

أتى بعد أيام الأسرة الثانية عشرة عصر عظيم جدًا امتد إلى ظهور  
الدولة الحديثة . ومعظم ما نعرفه عن هذا العصر مستمد من القصص الدينية  
ومن الفروض التي لم تثبت الآن

جاس أول ملوك الأسرة الثالثة عشرة على عرش مصر بدون فتن  
واضطراب ، ولكنه فصل عن عرشه بعد أن حكم خمس سنوات فقط ، فتبع  
ذلك عصر شقاق وفتن بين أمراء الأقاليم الذين كان يحارب بعضهم بعضاً  
في التنازع على تولى الملك . وقد يتغلب أحدهم على غيره ويقبض على صولجان  
الملك فلا يلبث أن يظهر عليه آخر فيغلبه على أمره . نعم قد حكم بعضهم  
زمنًا طويلاً ، ولكن معظمهم لم يزد مدة أحدهم على عام أو عامين ، ومنهم من  
حكم مدة ثلاثة أيام فقط . ولم يترك ملوك هذا العهد شيئاً من الآثار يُذكر  
بسبب اشتغالهم بالحروب ، ولذلك لم تقف على كثير من أعمالهم . ولما كانت  
البلاد على هذه الحال من الشقاق والانقسام كان من السهل أن تقع غنيمة  
باردة في أيدي الفاتحين من الأجانب ، ففي أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة  
( حوالي ١٦٥٧ ق . م ) ابتدأت اغارة قوم فاتحين من آسيا لم يُعلم للآن أصل  
منشئهم يقيناً ، وهؤلاء الفاتحون هم الذين يُعرفون الآن « بالهيكسوس »

الاميرة  
الثالثة عشرة

أو « ملوك الرعاة »\* . ومما قيل في اطلاق هذا الاسم عليهم ان المصريين لما تغلبوا عليهم في آخر الأمر وطردوهم الى بلادهم كانوا يذكرونهم بالاحتقار والازدراء ، فلقبواهم « بالأجناس البربرية » و « بالكفرة » و « بالرعاة » أى الذين يرعون النعم . وأرجح ما قيل في أصلهم انهم قوم نشثوا من اختلاط العرب بالفينيقين ، وربما كانوا من قبائل البدو المحالفين للملك قادش ( وهؤلاء الملوك هم الذين قاوموا «تحتمس الثالث» أشد مقاومة عند توسيعه نطاق الأملاك المصرية كما سيأتى بيانه في الكلام على الدولة الحديثة ) وتأخص الأسباب التي سهلت دخول الهكسوس مصر فيما يأتى :

- (١) عدم السير على نظام ثابت فى الري مما دعا دوام المشاحنة بين الأشراف (٢) كثرة الضرائب الباهظة (٣) شدة استبداد الأحزاب المختلفة وظلمهم

ولما دخل الهكسوس مصر أسسوا بلدة لهم بالوجه البحرى تدعى « أواريس » ( هوارة ) لا يعلم مكانها بعد باليقين ، وجعلوها مقراً لحكمهم . ولما انقرضت الأسرة الثالثة عشرة وخلفتها الأسرة الرابعة عشرة كان ملوكها مصريين كذلك ، وكان مقر حكومتهم مدينة « إكسويس » ( سخا ) بالوجه البحرى أيضاً . غير أنهم كانوا أشبه بولاية للهكسوس وما زال نفوذ الهكسوس يزداد عاماً فعاماً حتى أخضعوا جميع البلاد فدفعت لهم الجزية

ولما انقرضت الأسرة الرابعة عشرة قبضوا على زمام الملك ، ولذلك  
 \* وهم الذين يسمون فى كتب العرب بالعماقة . وقيل ان كلمة « هكسوس » لا يُقصد بها « رعاة » وان اطلاق هذا الاسم عليهم من باب الخطأ

الاسرئان  
 الخامسة عشرة  
 والسادسة عشرة  
 من الهكسوس

اعتُبرت الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة في تاريخ مصر من  
هؤلاء الملوك الرعاة

وكانوا في أول أمرهم ظالمين كثيرى الاعتداء على المصريين، ولكنهم  
عدلوا عن ذلك فيما بعدُ وتطبعوا بكثير من الطباع المصرية، وشيدوا  
كثيراً من المعابد والمباني، واتخذوا لهم معبوداً جمع بين مبودم الأصلي  
وأحد آلهة المصريين \

ولو وصلت الينا الآثار التي تركوها أو النقوش التي عليها لعرفنا كثيراً  
من أخبارهم. ولكن المصريين بعد أن طردوهم من البلاد عبثوا بمعابدهم  
وعفّوا آثارهم، وكل أثر لم يحوه أزالوا منه النقوش والمعالم التي تدل على أنه  
للكسوس

ويقال إن قدوم سيدنا يوسف عليه السلام الى مصر وحدث ما  
حدث له كان في عهد الأسرة السادسة عشرة

وعلى توالى الأيام أخذ ملوك الهكسوس فى الاضمحلال. وفى زمن  
الأسرة السابعة عشرة انقسمت مصر الى عدة ولايات صغيرة كانت  
« طيبة » أهمها. فاتهمز أمراء طيبة هذه الفرصة وشقوا عصا الطاعة على  
الهكسوس، وما زال المصريون يحاربونهم حتى طردوهم من مصر، وبذا  
تكوّنت الأسرة الثامنة عشرة وهى مبدأ الدولة الحديثة

وقد كان لدخول الهكسوس فى مصر وبقائهم فيها مدة تأثير كبير  
فى المصريين. فلهكسوس هم الذين أدخلوا الخيل فى مصر، ومنهم تعلم  
المصريون الفنون الحربية وتعبئة الجيوش الجرارة، فهما نال المصريون  
من مظالمهم فقد اكتسبوا منهم مزايا لا تحصى

## فصل الساذبين

### الدولة الحديثة

(١٥٨٠ - ١١٥٠ ق.م)

﴿ امتداد سلطة مصر على غيرها من البلدان ﴾

تعلم المصريون فن الحرب أثناء مكافحتهم للهكسوس ، قهيات  
بذلك مصر للدخول في طور حربي عظيم وسعت فيه أملاكها ومدت  
نفوذها على كثير من الممالك المجاورة لها ، وبلغ هذا المجد أقصاه في عهد  
« نَحْتَس الثالث » و « أَمِنْحَتَب الثالث » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة ،  
غير أنه في أواخر أيام هذه الأسرة تولى الملك رجل ضعيف السياسة  
تلقى بالمباحث الدينية عن شؤون الدولة فلحقها الضعف من كل جانب ،  
لولا أن أتاح الله لها رجالاً أشداء في الأسرة التاسعة عشرة أتقنوها من  
هذا السقوط ، ولكن بعد أيام رمسيس الثاني اتقضى ذلك الدور أيضاً  
ودخلت مصر في دور اضمحلال مستمر . وقد استفحل هذا الخطب  
بنهوض الأمم المجاورة لها من جهة ، وخنود الروح الحربية من المصريين  
من جهة أخرى

﴿ الأسرة الثامنة عشرة ﴾

(١٥٨٠ - ١٣٥٠ ق.م)

يظهر أن الأسرة الثامنة عشرة كانت لها قرابة بالسابعة عشرة . وأول  
غرض رمى إليه ملوكها استئصال شأفة الهكسوس ، فقام « أحمس »

(أَحْمَس) مؤسس هذه الأسرة وغزاهم في عاصمتهم أواريس وطردهم منها، ثم اقتنى أثرهم وغزاهم ثانية في « شاروهمين » بالجنوب الغربي من فلسطين فافتتحها بعد حصار دام ثلاث سنوات . وقد قام هذا الملك أيضاً بحروب في الشام وأخرى ببلاد النوبة ، ذلك الى الحروب التي انتصر فيها على الأمراء الوطنيين الذين حاولوا أن ينازعوه في السطة ، وفي الحقيقة أنه أفتى معظمهم فلم يبقَ منهم إلا أعوانه المخلصون ، مثل أمير « الكاب » . وباستيلائه على الملك صارت جميع الأراضي ملكاً خاصاً للملك

أما الملك الذي خلفه فهو « أمينحَب الأول » ، وله غزوات بالشام والنوبة . وفي سنة ١٥٤٠ ق . م خلفه « تحتمس الأول » « طوطميس الأول » . وقد انتصر تحتمس عدة مرات في حروبه التي شنّها على الشام وبلاد النوبة وأرض الجزيرة ( ما بين النهرين ) . وفي هذا الوقت كان قد مضى على مصر نحو ثلاثين سنة لم يحدث فيها اضطراب أو فتن داخلية ، فصار للحكومة من القوة والثروة ما يؤهلها للدخول في ذلك الطور الحربي العظيم الذي تهيأت لها فيه تلك الفتوح الكبرى الآتى ذكرها بعد . وقد ساعدها على ذلك استقلال الملك بالأمر وإضافته ما كان للأمراء من النفوذ والمظمة في أيام العهد الإقطاعي

بدأ « تحتمس » بإخضاع بلاد الكوش ( النوبة ) فأدخلها في طاعته ؛ وكانت هذه البلاد تمتد من « نباتا » بالقرب من الجنادل الرابعة ( الشلال الرابع ) جنوباً الى مدينة « الكاب » شمالاً . ثم صرف عزمه الى الشام فغزاها ، وساق جيوشه حتى أوردتها نهر « الفرات » حيث نقش تذكراً لهذا الحادث . ولم يصلنا شيء كثير من أخبار هذه الحروب المكلمة بالظفر ،

تحتمس الاول  
وقتوحاه

وانما الراجح أن تفقاتها لم تكن باهظة ، وأن المصريين كانوا يعودون منها بالأمرى والغنائم الكثيرة ، فيزيدون في ثروة البلاد ووجه « تحتمس » شيئاً من عنايته أيضاً الى المباني ، فزاد كثيراً في معبد « الكرنك » . وعند وفاته دُفن بوادى مقابر الملوك بطيبة الذى يعرف الآن « بيبان الملوك » ؛ فكان هو الأول لعدد عظيم من الفراعنة الذين دُفِنوا بهذه البقعة

وفى أواخر أيامه حدث تنازع بشأن العرش ، فجلس عليه ابنه « تحتمس الثانى » مدة وجيزة لم يكن له فيها أثر يذكر . ثم آل الملك الى بنته ( بنت تحتمس الأول ) « حتشبسوت » ( حاتاسو ) بالاشتراك مع « تحتمس الثالث »

الملكة  
حتشبسوت

وكانت « حتشبسوت » على جانب كبير من قوة البأس ، فما لبثت أن استأثرت بالسلطة وسلبت من « تحتمس الثالث » كل أمر . وساعدها على ذلك صغر سنه ، فخضع لها كما خضعت لها مصر بأسرها . وقد أظهرت أثناء حكمها غروراً عظيماً وتيهاً متناهياً ، وتزيت بزى الرجال

وكان جل مقاصد هذه الملكة موجهاً للأعمال السلمية ، فأكثرت من تشييد المباني وتقسيمها وتدوين أخبارها ودعاويها العريضة عليها . وأهم ما شيدته معبد « الدير البحرى » الفاخر بجهة طيبة على الجانب الغربى للنيل ، وزادت جزءاً فى معبد الكرنك ، وأقامت مسلتين عظيمتين عند مدخله

\* ما يُسمى الآن « معبد الكرنك » هو عبارة عن بناء هائل بجهة قرية الكرنك شُيِّدت أجزاءه على عدة دفعات ، وكان المعبد الأسمى فى أول الأمر صغيراً وأسس بمدينة « طيبة » فى عصورها الأولى

تاريخ (٥)

ومما يؤثر عنها أنها أرسلت بعثة بحرية الى بلاد « بنت » لإحضار أشجار منها لغرسها بمعبدها المذكور، فنجحت البعثة في الوجه الذي خرجت له وعادت بالأشجار المطلوبة وغيرها من نفائس تلك البلاد وبوفاتها قبض تحتس الثالث على الملك بعد أن مضى عليه منذ توحيجه نحو اثنتين وعشرين سنة خاملًا فيها . وعند ذلك ظهرت مواهبه العظيمة وما عنده من قوة البأس والثبات والإقدام والمهارة الحربية التي جعلته في عداد كبار الفاتحين في العالم القديم

تحتس الثالث

### ﴿ حروب تحتس الثالث ﴾

( ١٤٤٧ — ١٤٧٩ )

كان يبلاد الشام في تلك المدة عدة ولايات صغيرة غربي سورية، وكانت خاضعة لنفوذ المصريين ، ولكن لما مضى على ملوكها زمن طويل لم يروا فيه الجيوش المصرية في بلادهم تكبح جماحهم وتؤديهم على ما كان يقع منهم من التمرد ، شقوا عصا الطاعة جملةً على المصريين بعد وفاة « حتشبسوت » ، وكان ملك « قادش » زعيم هذه الحركة . نخرج « تحتس » من مصر في أواخر السنة الثانية والعشرين من توحيجه قائداً لجيش عرمرم نزل به بعد نحو عشرين يوماً على السفح الجنوبي لجبال « الكرميل » . وقد كانت جيوش الأعداء المتحدة قد سارت نحو الجنوب يقودها ملك « قادش » ، حتى عسكرت في « مجدو » ، وهي مدينة منيعة في السفح الشمالي من جبال « الكرميل » . فسار تحتس نحو العدو ، وأقسم أن يكون هو في طليعة الجيش ، فحمل به على الأعداء ظاهر المدينة ، فولوا مذعورين اليها تاركين

معظم النفائس التي بمسكر ملك « قادش » غنيمة باردة للمصريين  
ثم حاصر تحتمس مدينة « مجدو » المذكورة، فسلمت إليه بعد موقعة مجدو  
بضعة أسابيع



تحتمس الثالث

( بدار الآثار المصرية )

رسم ف . د . د . بيرز

أما الغنائم التي أخذت من  
المدينة فكانت أغزر وأقس من  
التي أخذت خارجها<sup>(١)</sup>. ثم توجه  
نحو الشمال ففتح ثلاث مدن في  
السهل الجنوبي لجبل لبنان، وبني  
حصناً في تلك الجهة ليأمن به شر  
ملك قادش اذا زحف ثانية نحو  
الجنوب . ثم بدأ بتنظيم هذا  
الاقليم الذي فتحه ، فمزل ملوك  
الأسرات القديمة مخافة أن يماودوا  
الخروج عليه ، ونصب مكانهم  
آخرين

ثم عاد الى مصر بعد أن غاب

عنها أقل من ستة شهور، فكان لمودته أكبر سرور فيها، وأقيمت  
الحفلات العظيمة، وقُرِبت القرابين للمعبود أمون<sup>(٢)</sup> شكراً له وإبتهاجاً

(١) من هذه الغنائم سرادق ملك قادش الفخم و ٩٢٤ عجلة حربية فيها عجلتنا

ملك قادش وملك مجدو و ٢٢٣٨ جواداً و ٢٠٠ درعاً فيها درعا هذين الملكين

(٢) راجع ديانة قدماء المصريين

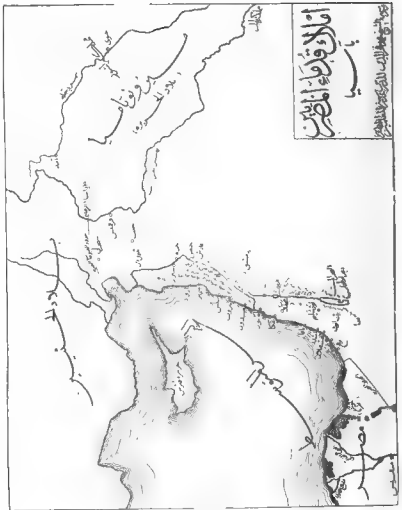


بهذا الفتح الباهر . ثم أعاد الكرة على هذه البلاد فقمع ثوارها . وقد طار صيته وذاع نبأ فتوحه الأولى حتى وصل الى مدينة بابل ، وكانت قد ابتدأت تأخذ في الظهور ، فرأى ملكها ان أحسن سياسة يتبعها أن يتودد لفرعون ، فأهدى اليه الأحجار الكريمة الفاخرة وأرسل اليه الجياد البابلية المُنمَّنة ، فوصات اليه وهو في ميدان القتال . ثم رجع تحتمس الى مصر وشرع في التخطيط اللازم لتوسيع مهب الكرنك ، حتى يصير ملائماً لحال الدولة العظيمة التي يرغب في تكوينها

غزو أرواد  
وفي السنة الخامسة والعشرين من حكمه غزا بلاد سورية غزوة ثالثة ، ثم غزاها رابعة . وكانت أهم أعماله فيها تميم إخضاع البلاد التي فتحها وتنظيمها . ثم أوغل في الغزوة الخامسة ، ففتح « أرواد » وغيرها من المدن الفينيقية ، وغنم منها ذخائر كثيرة

فتح قادش  
وفي الغزوة السادسة حاصر « قادش » . ولمنعة موقعها لم تسلم له إلا بعد حصار طويل ، وكان طول مدة الحصار قد غرر بأهل مدينة « أرواد » وما جاورها ، فظنوا ان قوة فرعون قد اضمحلَّت ، فشقوا عصا الطاعة . ولكن « تحتمس » ذهب اليهم في السنة التالية ، وأدبهم وأخذ الجزية من جميع بلاد الشام

وكان « تحتمس » طول هذه المدة يتأهب لغزو « بلاد النهرين » وما جاورها . وفي السنة الثالثة والثلاثين من حكمه مر بجيشه من مدينة « قادش » قاصداً « قرقيش » ، فتغلب على كل من اعترضه في طريقه ، ثم عبر نهر « الفرات » ، وأقام وراءه نصباً يجانب النصب الذي أقامه « تحتمس الأول » دون عليه نبأ وصوله الى تلك البقعة . ثم اتجه جنوباً



فتح نينوى وسار متبعاً مجرى النهر حتى وصل الى مدينة « نِينَوَى » ، وبعد أن فتحها لبث ثمة قليلاً للرياضة بتصيد الفيلة . وفي غضون ذلك كانت تفتد أمراء بلاد النهرين الى سُرَادِقِهِ يقدّمون اليه الجزية اقراراً بخضوعهم له . وسرى الخوف من بطشه الى أهل الممالك المجاورة لأرض الجزيرة جنوباً وشمالاً ، فبعث ملك بابل على بُعد داره بالتحف والنفائس تزلفاً لفرعون ، وحذا حذوه في ذلك أهل « خَيْتَا » الذين كانت تمتدّ أملاكهم الى أواسط آسيا الصغرى ( والأرجح أنهم هم « الحِثِّيُّون » المذكورون في التوراة )

وكما قويت سطوة جيوش تحتمس البرية كذلك عظمت مهابة أساطيله البحرية ، فأصبح ملك « قُبْرُس » أشبه بوال له ، وصار الاسطول المصرى يلقى الرعب فى النفوس ، فأكسب مصر نفوذاً يمتد من شرق البحر الأبيض المتوسط الى ما وراء « بحر إيجه » ، كما كان له فائدة كبرى فى تسهيل فتوح الشام ، فانه باستيلائه على الثغور الفينيقية ضمن لتحتمس عدة مراكز منيعة يهاجم منها « قادش » وغيرها من البلاد الداخلية . وهذا أقدم مثال فى التاريخ يؤيد مزايا القوة البحرية ، فان « تحتمس » استغرق فى غزواته الأولى ٢١ يوماً للوصول براً من الأراضى المصرية الى « مجدو » ( وذلك يُعتبر سيراً سريعاً جداً ) ، مع أنه لم يستغرق فى غزواته التالية أكثر من بضعة أيام للوصول الى أى ثغر من الثغور السورية .

وقد غزا « تحتمس » فى أيامه الأخيرة بعض غزوات فى بلاد النوبة . وتوفى فى السنة الرابعة والخمسين من حكمه بعد أن ملأ الشرق الأوسط شهرة وعظمة

وكان « تحتمس » يتهمز فرصة فراغه بين حرب وأخرى فيلتفت الى

شؤون بلاده الداخلية . وقد أظهر في ذلك مقدرة عظيمة في ادارة البلاد وضبطها ، فلم تغفل عينه لحظة عن أى جزء من أجزاء دولته العظيمة ومن آثاره مسلتان عظيمتان أقامهما بعين شمس ، ثم نقلتهما « كيليو بَطْرَه » الى الاسكندرية ، ولذلك اشتهرتا « بمسلى كيليو بَطْرَه » . واحداهما الآن بلندن والأخرى بنيويورك . وما زالت بعدُ جثة « تحتمس الثالث » بدار العاديات المصرية . وهو أعظم ملوك الدولة الحديثة ، وقد قال بعض المؤرخين : انه أعظم ملك في تاريخ مصر بأجمعه

وبعد وفاة تحتمس الثالث تولى الملك ابنه « أَمِنْحَتِبِ الثَّانِي » (أَمِينُوفِيسِ الثَّانِي) ، وكان أبوه في آخر أيامه قد أشركه معه في الملك . ومن أوائل أعماله أنه قاد جيشاً إلى سورية لتمرّد أهلها مرة أخرى ، فوصل في سيره الى نهر الفرات ، وعاد الى طيبة ومعه غنائم كثيرة وسبعة ملوك اسرى ، فذبحهم وعلق جثث ستة منهم على سور المدينة ، وأرسل الجثة السابعة الى « نباتا » حيث نُصبت هنالك لتلقى الرعب في قلوب الإتيوبيين . وحكم هذا الملك ستة وعشرين سنة ، ثم ترك الملك لابنه « تحتمس الرابع » وأشهر ما يعرف من أخباره أنه أزال الرمال من حول أبي الهول . وله حروب في سورية وبلاد الكوش

وفي سنة ١٤٠٠ ق . م تولى بعده ابنه « أَمِنْحَتِبِ الثَّالِث » (أَمِينُوفِيسِ الثَّالِثِ) أَمِنْحَتِبِ الثَّالِثِ . وكان من أعظم مشيدى المباني في أنحاء البلاد ، ولا سيما طيبة ، فمن ذلك أنه أسس معبد الاقصر ، وزاد في معبد الكرنك ، ووصل ما بينهما بحديقة جميلة شيد بها طريقاً على طول كل جانب من جانبيه صف من أصنام أبي الهول ، جسم كل منها يشبه مجسم الأسد ورأسه يشبه

برأس الكباش ، ولذلك يُعرف هذا الطريق بطريق الكباش . ومن أجل  
مبانيه بمعد الافصر الدهليز ذو الأربعة عشر عموداً ، فان نخامته لا تزال  
ظاهرة الى الآن

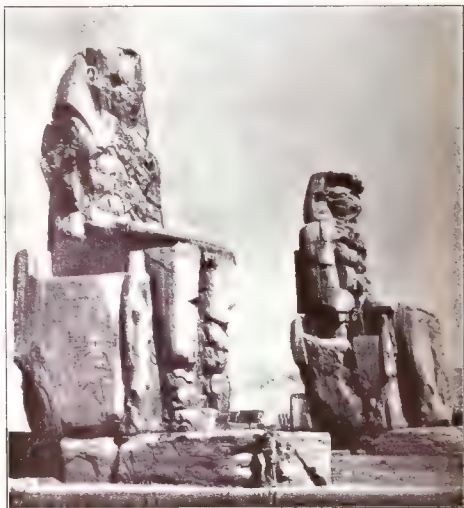


الدهليز ذو الأربعة عشر عموداً

( رسم لكحيان )

وشن «امنحتب» الغارات على اتيويا ، فكان نفوذه يمتد من «نباتا»  
الى نهر الفرات . وكانت ملوك اشور وبابل وقبرس يهابونه ، ويتوددون اليه .  
أما ولانه في الشام فكانوا على غاية الخضوع والامتثال لأوامره . وبالجملة لم  
يطرأ من الحوادث في عصره ما يحمله على إثارة ملاحم عظيمة . فتفرغ  
بكل قواه الى تنظيم المصالح الداخلية ، وارتقت في أيامه التجارة حتى  
وصلت الى حد لم تصل اليه من قبل ، فكانت تُجَبَى الى مصر ثمرات جميع  
العالم المعروف إذ ذاك ، وأصبحت القوافل البرية وأساطيل البحر الأحمر

تقدم  
التجارة



بعضه آثار امینو قیس الثالث | (۱) طریق الکاش (رسم لکجیان)  
 (۲) نیشلامسون



تأتى إليها بالأخشاب النفيسة والعطرية وأنواع التوابل والأفاويه وماشا كلها من الشام ومن بلاد الشرق، كما كانت تأتي إليها من فينيقية بالآلات الحربية والآنية المزخرفة. وكانت السفن الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط واسطة في نقل البضائع بين مصر وتبرس وجميع جزائر بحر إيجه /

تأثير الحضارة  
المصرية في غيرها

وقد وُجد في بلاد الإغريق وجزائرها بعض الآثار المصرية التي يرجع عهدا إلى ذلك العصر. وتنتج من معاملة سكان هذه البلاد للمصريين أن أثرت الحضارة المصرية في حضارتهم بعض التأثير، فظهر ذلك في محاسنهم للمصريين في الرسم والتصوير

عظمة المباني  
في عصر  
المنحصب الثالث

وفي زمنه ارتقى فن البناء والنقش والتصوير، واتسعت مدينة طيبة اتساعاً عظيماً، وكثرت فيها القصور الكبيرة، وظهرت في مبانيها هيئة التماثل والوحدة، ووُجد في عصره عدد عظيم من المهندسين، منهم المهندس «أمنحسب» الذي طار صيته في الآفاق حتى كان الإغريق بعد مماته بنحو ١٢٠٠ سنة يعجدونه تمجيداً وصل بهم إلى أن وضعوه في صف الآلهة

ومن المباني التي شيدها هذا الملك معبد له أقامه في الجهة الغربية من طيبة، ولم يبق منه الآن سوى تماثيل هائلين له كان موضعهما أمام مدخل المعبد، يربو علو كل منهما على العشرين متراً ويعرفان بتماثيل «ممنون»\*. وشيد له في الجهة الغربية قصرًا جنوبي المعبد، حفر بالقرب منه بركة عظيمة لزوجته، كانت تركب فيها قاربًا كلما قصدت الزهرة

---

\* كانت تخرج من هذين التماثيل أصوات بديعة في الصباح. ولكن لما حاول الرومان ترميمها أيام حكمهم في مصر بطل خروج تلك الأصوات ولم يعد يُسمع منها شيء.



اغارة الاجناس  
السامية على الشام

قضى أمنحيب ذلك الزمن العظيم، ولم يعكر صفو السلم في بلاده  
قتن أو حروب. ولكن حدث في أواخر أيامه أن هوجت الشام من  
جهتين، فدخلها « الحثيون » من الشمال وأغار عليها من الصحراء الشرقية  
أقوام آخرون ساميون. وعند ذلك انشق ولاية الشام الى فريقين: فريق  
اتفق مع هؤلاء المغيرين، وساعدهم على دخول البلاد، وفريق بقي على  
الولاء لفرعون مصر فبادر باخباره بالخطر الذي يهدد دواته. ومات  
« أمنحيب » في السنة السادسة والثلاثين من حكمه قبل أن يتمكن من  
صد أعدائه.

وكانت مصر في هذه الأزمة في أشد الحاجة الى رجل حازم قوى  
يسهر على ما فيه صالح الدولة، ويعمل على تماسك أجزائها، ولكن الذي  
خلف « أمنحيب الثالث » هو ابنه « أمينحيب الرابع » المعروف « إخناتون »  
(١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق. م)، وكان شديد التغفل في العقائد الدينية، كثير  
التعمق في الفلسفة الخيالية، فاتقطع لتحقيق مسائلها، وتوفر على النظر في  
أصولها، فشغله ذلك عن تدير دولته، وتهاون في صد الغزاة الذين أغاروا  
على الشام قبيل توليه الملك. فبقي نفوذه فيها يتقلص شيئاً فشيئاً حتى كاد  
يذهب بأثره عند وفاته في سنة ١٣٥٨ ق. م

شغل « إخناتون » طول حياته بالسعى وراء توحيد الديانة المصرية  
وحمل الأمة على عبادة معبود واحد هو الشمس، فان المصريين عبدوا الى  
زمن حكمه عدة معبودات كان أعظمها عند توليه العرش هو « آمون ». وكان  
أجل معبد لهذا المعبود بمدينة « طيبة » عاصمة البلاد. فأدرك هذا الملك  
خطأ تعدد الآلهة، واعتقد بوجود معبود واحد مسيطر على العالم بأسره،

وقال إنه هو الشمس التي تتوقف عليها حياة كل شيء، وأطلق عليه اسم «أتون». ولشدة رغبته في نشر مذهبه ونسخ ما عداه من المذاهب تقل عاصمة البلاد من «طيبة» موطن عبادة «أمون»، وبني له حاضرة جديدة سماها «أخيتاتون» تقريباً لمعبوده «أتون»، وموقعها الآن «تل العمارنة»<sup>\*</sup>. ولما رأى ان اسم «امنحتب» مندمج فيه اسم «أمون» غير اسمه وسعى نفسه «إخناتون»، ومعناه «روح أتون». ثم عمل على محو النقوش من جميع الآثار القديمة التي عليها اسم «أمون» حتى التي تُنقش عليها اسم والده استغرقت هذه الأمور كل أوقات «إخناتون» فلم يدع وقتاً للالتفات لشؤون دولته فأخذت في الانحلال السريع، فاستولى الحثيون على مدن سورية الشمالية، وأغار غيرهم من الأمم السامية على أطرافها الجنوبية. كل ذلك بالطبع جملة مبغضاً في نفوس الأمة على اختلاف طبقاتها، فحنق عليه كهنة أمون لما لحقهم من الأذى، وسخط عليه جنود والده لما رأوا من انحطاط الدولة على يديه، وتفرت منه العامة لأنهم لا يرضون بغير دينهم بدلاً

توفي «إخناتون» سنة ١٣٥٨ ق. م تخلفه بضعة ملوك من نسله حكموا مدداً قصيرة حاولوا فيها الاستمرار على نشر مذهبه، ولكنهم لم يفلحوا. وبوفاة آخرهم سنة ١٣٥٠ ق. م أعيدت الديانة القديمة إلى أصلها، وعبد الناس معبوداتهم الأولى. وقد اشتدت كراهة القوم لإخناتون من بعده حتى أنهم لقبوه «بمجرم اخيتاتون»، وأزالوا النقوش من جميع آثاره،

---

\* وُجِدَت هُنَا الرِّسَالَةُ الأَثَرِيَّةُ الشَّهِيْرَةُ المَعْرُوفَةُ بِرِسَالَةِ «تَلِ العِمَارَةِ» وَهِيَ رِسَالَةٌ عَلَى قِطْعٍ مِنَ الفَخَّارِ وَمَحْرَرَةٌ بِخَطِّ بَابِلِ «المِسْمَارِيِّ» تَبَوَّدَتِ بَيْنَ اَمْنَحْتَبِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ وَبَيْنَ مَلُوكِ بَابِلِ وَقَبْرِسٍ وَغَيْرِهِمَا، وَهِيَ مِنْ أَمِّ الأَثَارِ التَّارِيخِيَّةِ

وأعادوا اسم « أمون » في كل مكان ، فركدت بذلك تلك العاصفة الدينية التي أثارها ، ولم يبق الا اصلاح شؤون البلاد وجمع شتات الدولة واعادة مجدها . وهذا ما عمل عليه ملوك الأسرة التاسعة عشرة كما سيأتي بيانه

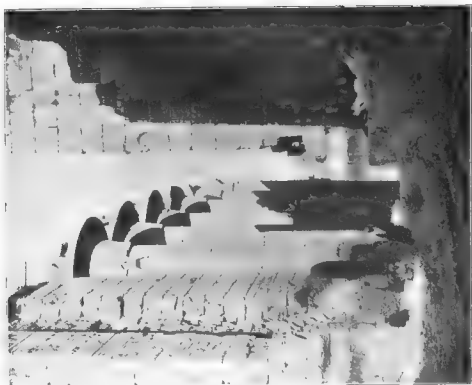
### ﴿ الأسرة التاسعة عشرة ﴾

( ١٣٥٠ - ١٢٠٥ ق.م )

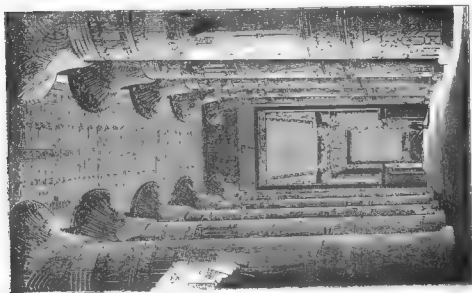
بعد ان انقرض نسل « اخناتون » قبض على الملك رجل يدعى « حَرْمَحَب » ( ١٣٥٠ - ١٣١٥ ق.م ) وكان في أول أمره قائداً حربيًا . ولما جلس على العرش وجه عنايته لاصلاح ما نتج عن إهمال أسلافه ، فقام بكثير من الاصلاح الداخلي ، وبعث بعدة جيوش الى بعض الممالك المجاورة لمصر . ويعده بعض المؤرخين المؤسس للأسرة التاسعة عشرة

وبوفاته جلس على سرير الملك « رَمْسِيس الأول » ( ١٣١٥ - ١٣١٤ ق.م ) ولم تُعرف علاقته بحرمحَب ، بل يحسبه آخرون من المؤرخين المؤسس لهذه الأسرة . وقد تولى الملك وهو طاعن في السن ، ولذلك لم يتمكن في المدة القصيرة التي حكم فيها من القيام بكل ما في نفسه من الآمال الكبيرة . وأهم أعماله انه بدأ تشييد ذلك البهو العظيم بمعبد الكرنك المعروف ببهو الأعمدة نسبةً الى العمدة المائلة المصفوفة به ، وهي التي بمظم حجمها ونخامتها جعلت هذا البهو من أنخر وأجمل الآثار المصرية

وبعد وفاته تولى الملك ابنه « سِبتى الأول » ، فبدأ أعماله باخضاع أهل البدو الذين أغاروا على فلسطين ، ثم استأنف المسير حتى وصل الى لبنان ، فخضع له الفينيقيون ، وأهدى اليه أمراء الشام شيئاً كثيراً من



مسجد الامة العظيم مراكنتك (رسم لكعبان)



مسجد الامة - في ايام روقه - (مس سورة خيالة)



خشب الأرز . ثم واصل السير حتى التحم جيشه بالحيثين ، ولكن لثبوت قدمهم في هذه الجهة إذ ذاك عقد محالفة مع ملكهم وبذلك انتهت حروبه . ولما عاد الى مصر وجه عنايته في السنة التاسعة من حكمه الى الأعمال



(سيتى الأول)

عن جنته المحنطة بدار الانثار المعرية  
رسم ف . ٥٥٠ . بيرز

الداخلية ، فأصلح الطريق الموصل  
لنتاجم الذهب بصحراء النوبة الشرقية ،  
واستتم العمارة التي بدأها والده بمعبد  
الكرنك ، وأصلح ما شوّهه الملك  
« اخناتون » من المعابد والهياكل ،  
وشيد له معبدان في « أييدوس » وناؤسا  
في وادي مقابر الملوك ، وكلاهما أجل  
شيء في نوعهما سواء أكان ذلك من  
جهة الهندسة أم الزخرف . ومما ينسب  
اليه من الأعمال العظيمة أنه حفر

خليجاً يوصل البحرين الأبيض والأحمر مستمداً من فرع النيل الشرقي

### ✽ رمسيس الثاني وحروبه ✽

( ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م )

خلف « رمسيس الثاني » والده سيتى الأول وهو صغير السن . ادعاه رمسيس  
ويُعرف أيضاً برمسيس الأكبر لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التي جعلت  
كثيراً من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر . والذي كوّن له هذه الشهرة  
الكبيرة تلك المباني العديدة التي شيدها في جميع أنحاء البلاد ، ونقش عليها

أخبار حروبه وانتصاراته التي ظهر بعد أنه بلا شك مغال فيها ولم يكتفِ « رمسيس » بنقش اسمه على المباني الكثيرة التي شيدها بنفسه ، بل كان يحوم من كثير المباني التي شيدها الملوك السابقون أسماء مشيدها وينقش عليها اسمه ، رغبةً في الشهرة وطمعاً في تخليد ذكره ولما تولى رمسيس الملك وجد أن الدولة العظيمة التي كوَّنها جدّه الأكبر « تحتمس الثالث » محاطة بالأخطار ، وأن الحثيين غلبوا على معظم الشام ، فعزم على تجديد مجد مصر واسترداد ما فقدته من أملاكها ، فاتبع في سياسته الحربية نفس الخطة التي اتبعها تحتمس الثالث ، وهي البدء بالاستيلاء على الشواطئ ليكون له أنزال على البحر تسهل المواصلات بين مصر . وفي السنة الرابعة من حكمه نفذ ما في عزمه فغزا هذه الجهات ؛ ونقش على إحدى الصخور المطلة على نهر « الكلب » ما يدل على وصوله إلى تلك البقعة

مجدد  
مجد الدولة

وفي أثناء ذلك كان ملك الحثيين يشتغل بجمع جيش عظيم من جميع أنحاء الشام ليحارب به مصر ، واستمال لذلك جميع ملوك الشام الذين كانوا أعداء لمصر في قديم الزمان ، فانضمت إليه ملوك « أرواد » و « قادش » و « بلاد النهرين » و « حلب » وغيرها من الولايات السورية ، وضم إليه رجالاً من ولاياته التي في آسيا الصغرى . ولم يكتفِ بذلك بل استعجب بمال خزائنه الجنود المرتزقة من آسيا الصغرى وجزائر البحر الأبيض . أما رمسيس فلم يألُ جهداً في جمع جيش يضاهي جيش عدوه عدداً وعدداً ، والحق به الجنود المرتزقة من بلاد النوبة وسردانية ، وتسمه إلى أربعة أقسام جعل نفسه قائداً لأحدها . وسار في مقدمة الجيش فاصلاً به من مصر

مخاربة الحثيين

في السنة الخامسة من حكمه أي حوالي سنة ١٢٨٨ ق. م. فأورده بعد شهر نهر «أورنت» (العاصي)، وسار شمالاً متبعاً مجرى النهر حتى وصل إلى التلّ المشرف على ذلك السهل العظيم الذي فيه «قادش» حيث نصب مملكته. فمكث في هذا المكان عدة أيام، وكانت طلائع جيشه تجرّه كل يوم أنهم لم يقفوا للعدو على أثر. وعقب ذلك أتى إلى المعسكر المصري اثنان من أهل البدو وقالوا: إنهما شردا من الجيوش الحثية، وإن ملك الحثيين تهاجر شمالاً إلى حلب. فصدق ذلك رمسيس، وقوّاه عنده ما أخبره به طلائعهم من عدم رؤيتهم شيئاً يدل على أن العدو على مقربة منهم، فنهض في الحال، وأخذ قسم الجيش الذي يقوده بنفسه، وأسرع نحو قادش بعد أن أمر باقي الجيش أن يلحق به، وعند ذلك انضح أن ملك



(رمسيس الثاني في مركبته الحربية)

قادش هو الذي أرسل ذينك البدويين ليغروا برمسيس. فلما رأى أن حيلته قد أفلحت غير وجهه سيره، وفاجأ رمسيس على غير استعداد، ففصل بينه وبين معظم جيشه. ولولا شجاعة رمسيس الذاتية التي أدهش

مهارة رمسيس  
وشجاعته



بها الأعداء لقصت عليه فرق المجلات الحثية قضاء عاجلاً ، ولكنه تمكن بتلك الشجاعة النادرة من مقاومة الأعداء حتى تلاحت به بقية جيوشه فنجوا من الخطر المهدق به ، وصدت جيوش الأعداء . وبالرغم من ذلك كانت خسارته بلا شك أكبر من خسارة أعدائه . ولم يكد يفرغ من صدمهم حتى جمع ما بقي من جيشه وعاد الى مصر

خروج  
املاك مصر عليها

رجع رمسيس الى مصر عقب هذه الواقعة توتاً بدون أن يحاول محاصرة قادش . فآثر ذلك في ولاية الشام وفلسطين ونزع من قلوبهم خشية فرعون ، فخرجوا عليه ، وامتد الخروج جنوباً حتى وصل حدود مصر ولذلك ابتداء بعد باسترجاع دولته الآسيوية من جديد ، فقصى ثلاث سنوات في إخضاع فلسطين . وفي السنة الثامنة من حكمه سار بجيش جرار حتى وصل وادي الأورنت مرة أخرى ، وهناك أوقع بالحثيين . ثم غزا « بلاد النهرين » ففتح جانباً عظيماً منها ، ونصب بها تمثالاً له . ولم يلبث الحثيون أن أثاروا عليه أهل هذه الجهات مرة أخرى ، فقمعهم جميعاً وخضعت له بلاد النهرين وشمالي سورية وأرواد وبعض جهات من وادي الأورنت . ثم استمرت الحروب بينه وبين الحثيين حتى كانت السنة الحادية والعشرون من حكمه . وكان ملك الحثيين قد توفي ، وخلفه أخوه ، فعقد محالفة مع رمسيس على أن يمسكا عن الحرب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد ، وحداً في المحالفة حدود أملاكهما

عقد محالفة  
مع الحثيين

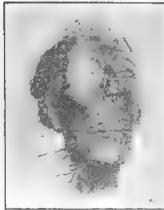
وفي السنة الرابعة والثلاثين أي في سنة ١٢٥٠ ق . م . حضر ملك الحثيين الى مصر لمشاهدة عجائبها وزوج احدى بناته لرئيس ومن وقتئذ لم ينحصر رمسيس ميدان القتال واكتفى في المناوشات

الصغيرة التي نشبت بينه وبين اللوبيين وأهل النوبة بإرسال قواده للقيام بها، وتفرغ هو للأعمال الداخلية

أما النتيجة النهائية لحروب رمسيس فهي أنه استردَّ معظم أملاك مصر الآسيوية التي فتحها تحتمس الثالث، ولم يفقد شيئاً من ممتلكاته في الجنوب، بل بقيت حدود مصر ممتدة جنوباً الى « نباتا » بالقرب من الجنادل الرابعة، وزاد في أيامه نفوذ مصر في بلاد النوبة

قلنا ان رمسيس شيد عدداً عظيماً من المباني في جميع أنحاء البلاد. وأهم ما قام به من ذلك انه أتم المعبد الذي بدأه والده بطيبة، وبني لنفسه هنالك معبداً جديلاً يعرف « بالرمسيوم »، وأتمَّ البهو ذا الأعمدة الذي بدأه جده رمسيس الأول بمعبد الكرنك

وقد أكثر رمسيس من إقامة المسلات وتزين مبانيه بالتمثيل، ولاسيما

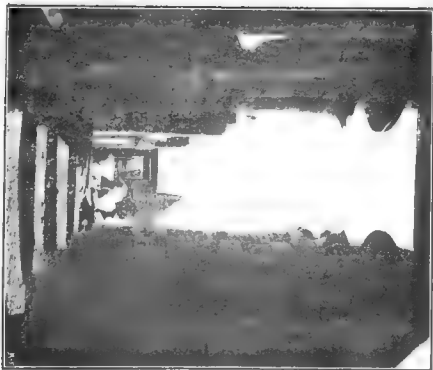


(رمسيس الثاني)

عن جنته المحنطة بدار الآثار المصرية  
رسم ف. ٥٠٥ بيرز

تأريخ (٦)

تمائله ذوات الحجم الهائل التي من أهمها التمثال الذي أقامه بمدينة « تينس » ( صان ) بالوجه البحرى ، وكان علوه نحو ٢٧ متراً ووزنه نحو ٩٠٠ طن ، والتمثال الذي ما زالت بقاياها بالرمسيوم وكان وزنه نحو ١٠٠٠ طن . وقد عثر حديثاً على تمثال له آخر هائل بالبدرشين ، وهو غاية في الجمال . وله تمثال من المحب بدار عاديات « تورين » بايطاليا لا يزال حافظاً لرونقه الى الآن



الاسم (ماتریس)



ولما كان هم رمسيس تدير أملاكه الكثيرة في آسيا ثقل مقر ملكه الى مصر السفلى . وبقيت « طيبة » العاصمة الدينية للبلاد ، وكثيراً ما كان يذهب اليها . وبانتقاله الى الوجه البحرى أرجع الى كثير من بلاده روتها القديم ، فصارت « تنيس » مدينة عظيمة زاهرة ، وشيد بها معبداً من أنقر المعابد . وشيد رمسيس بلداناً جديدة بالوجه البحرى ، منها بلدة فى شمالى عين شمس تعرف آثارها الآن « بتل اليهودية » ومات بعد أن حكم ٦٧ سنة . وقد بلغ إعجاب خلفه به مبلغاً كبيراً جداً ، حتى ان عشرة منهم سمو أنفسهم باسمه على التوالى

## فصل السابع

### ابتداء اضمحلال مصر

فقد المصريون بالتدريج بعد عصر « رمسيس الثانى » تلك الملكة الحربية التى رُبيت فيهم منذ أيام « تحتمس الثالث » وغيره من مؤسسى الدولة الحديثة . فاضطرب الملوك فى الدفاع عن بلادهم الى استخدام الجنود المرتزقة والأجراء من الأجانب ( وذلك من بوادر الانحلال فى الأمم ) ، واقتصروا على خطة الدفاع بعد ان كان مأرب الذين من قبلهم توسيع نطاق الدولة وبسط نفوذها على غيرها من البلدان . ويا ليتهم تمكنوا من مجرد المحافظة عليها ، فقد عملت على ضعف نفوذ الملك عدة عوامل بعضها داخلية وبعضها خارجية أفضت الى وهن الدولة ذاتها . فمن العوامل الداخلية ان الكهنة أخذوا يبتزّون شطراً عظيماً من الثروة ، وقبضوا على جانب

كبير من السلطة ، كما قبضت الجنود المرتزقة على جانب آخر . ومن العوامل الخارجية ان البلاد المجاورة لمصر نمت وازداد عدد سكانها ، فعمدوا الى فتح بلاد جديدة ينتفون فيها الرزق ، فانهاالت الغارات على مصر من كل جانب ، فهاجمها اللوبيون من الغرب ، وزحف عليها سكان جزائر البحر الأبيض من الشمال ومن الشرق أيضاً عن طريق الشام . وظهر في هذا العصر ملك قوى يدعى « رمسيس الثالث » قضى حياته في رد هؤلاء الأعداء . ولما أن توفي لم يقدر أخلافه من الملوك الضعفاء على صدم ، فهوت الدولة الى حضيض الاضمحلال بعد أن بلغت من المجد درجة لم تبلغها أمة من قبل

منفتح  
خلف رمسيس الثاني ابنه « منفتح » فخارب حروباً كثيرة لحماية الملك ، فأطفا نيران الثورة في فلسطين وسورية بعد أن صد هجمات اللوبيين الذين اتفقوا مع سكان بعض جزر البحر الأبيض وهاجموا مصر من الغرب ، فردّهم على أعقابهم ، وغنم منهم غنائم كثيرة ، وأسر عدداً كبيراً من رجالهم

وكان « منفتح » مولعاً بالمباني ، ولم يكنف بما أمكنه تشييده ، بل فعل ما فعله أبوه من قبله ، اذ كان يحجوا أسماء الملوك من الآثار التي شيدها وينقش اسمه مكانها . وقد فعل ذلك بكثير من آثار والده نفسه ، فكان أباه قد لاقى جزاءه على يد ولده . وقد قيل ان « منفتح » هذا هو فرعون موسى ، وانه الذي خرج في عهده بنو اسرائيل من مصر ، غير ان ذلك ما زال مفتقراً الى اثبات

وحكم بعد منفتح « سيتي الثاني » ، ولم يتم في أيامه شيء عظيم .

وحدث بعده نزاع كبير في شأن من يخلفه أفضى الى تقسّم السلطة بين الأشراف وعمال النواحي ، وكثرت الفوضى والمجاعات ، وجلس على سرير الملك عدة أشخاص حكم أحدهم بعد الآخر مُدداً وجيزة . فاتهز اللوبيون هذه الفرصة وزحفوا على الوجه البحرى مرة أخرى ، الى ان استولى على الملك رجل قوى يدعى « سينخت » فاستأصاهم من مصر وأعاد السكنية في البلاد ، غير انه توفى بعد سنة أو سنتين ، خلفه ابنه « رمسيس الثالث » الذى هو في اعتبار اكثر المؤرخين أول ملوك الأسرة العشرين

تولى « رمسيس الثالث » والدولة تهددها الأخطار من كل جانب ، رمسيس الثالث وحروبه فتمكن بجده وشدة بأسه من حفظها من الخطر وإعادة جانب كبير من مجدها وكان يقطن جزائر البحر الأبيض في ذلك العهد أقوام يسميهم المصريون « سكان البحر » أخذوا يفتدون على مصر السفلى من « اقريطش » ( كريت ) و« صقلية » وغيرهما ، ثم تحالفوا مع اللوبيين على غزو الوجه البحرى . وكان « رمسيس » قد نظم الجيش وعزّزه بالأشداء من الجنود المرتزقة ، فسار اليهم في السنة الخامسة من حكمه ، وهزمهم شرّ هزيمة في البرّ والبحر وكان قوم آخرون من « سكان البحر » قد زحفوا على الشام بمجلاتهم الحربية ومعهم نساؤهم وأولادهم وبضائعهم وماشيئهم . كأنهم ينوون الإقامة فيها ، ووصلوا في فتوحهم الى نهر الفرات بعد أن اصطلموا الحثيين وخرّبوا بلادهم . ثم هموا بالزحف على مصر . فقاد رمسيس جيشاً وأسطولاً في السنة الثامنة من حكمه ، وسار لملاقاتهم ، فهزمهم برّاً على نهر « العاصى » وبحراً على الشواطىء الفينيقية . فخفضوا له ودفعوا اليه الجزية ، ولم يحاولوا الخروج عليه بعد ذلك قط

وفي السنة الحادية عشرة من حكمه أغار اللويون على شمالي مصر من الغرب، وكان بعض قبائل المغرب قد أجلاهم إليها، فردم «رمسيس» على أعقابهم بعد أن ألحق بهم خسائر كبيرة، ولم يحاولوا بعد ذلك غزو مصر، وإن كانوا لم يمسكوا عن القدوم إليها طلباً للرزق بالخدمة في الجيش وغير ذلك

وفي السنة الثالثة عشرة من حكمه ذهب «رمسيس» ثانية إلى بلاد الشام ليتم إخضاع تلك الجهات. ثم نظم ممالك الآسيوية وحصن حدودها<sup>(١)</sup>، وبذلك عادت السكينة إلى بلاد الدولة. ثم استراح بعد هذه الحروب الأربع والتفت إلى شؤون بلاده الداخلية

ولم يكن «رمسيس الثالث» حاكماً داهياً بقدر ما كان قائداً حربيًا محنكاً، فقد كان للكهنة نفوذ كبير عليه، فوهب للمعابد كثيراً من الثروة والأراضي فوق الكثير الذي حازوه بالتدريج من قبله، حتى أصبحت ممتلكاتهم في أيامه تقدر بنحو ١٥٪ من مجموع الأراضي المصرية، ولم تقل مواليمهم عن ٢٪ من عدد سكان مصر، وكان لهم ١٦٩ مدينة في مصر وسورية وبلاد الكوش. وكان أعظم هؤلاء الكهنة ثروة كهنة «أمون» بمدينة «طيبة»، فقد كان لهم ما لا يقل عن ثلثي ما لمجموع الكهنة. وقد ساعدهم ذلك في عهد الملوك الضعفاء الذين خلفوا «رمسيس الثالث» على ابتزاز كثير من السلطة السياسية، حتى انتهى بهم الأمر إلى تكوين أسرة ملكية منهم. وسنأتي على بيان ذلك فيما بعد<sup>(٢)</sup>

رمسيس الثالث  
والكهنة

(١) الراجح أنها لم تمتد شمالاً وراء نهر العاصي

(٢) قارن ذلك بحالة كهنة «رع» في الدولة القديمة

أدى ازدياد قوة الكهنة بالطبع إلى اضمحلال قوة الملوك . فاستعانوا على ذلك بالاكثر من الجنود المأجورة . وقد كان هؤلاء الجنود والكهنة سبباً في كثير من الحروب التي نشبت بعد في مصر

﴿ اشتراك الكهنة وامراء تنيس في الملك ﴾

( ١٠٩٠ — ٩٤٥ ق م )

ضعف نفوذ الملك في أيام رمسيس الثاني عشر حتى ان « سمنديس » أحد أمراء « تنيس » تمكن من الاستيلاء على جميع مصر الشمالية وجعل نفسه ملكاً عليها ، فكان بذلك مؤسس الأسرة الحادية والعشرين فلم يسع « رمسيس الثاني عشر » إلا أن يتراجع الى « طيبة » . ولازدياد قوة الكهنة هنالك لم يكن له من الأمر سوى صبغة رسمية . ولما انتهت أيامه خلفه رئيس الكهنة « حرحور » ملكاً على الصعيد . وكان ذلك سنة ١٠٩٠ ق م . وفي هذه الأيام كانت مصر قد فقدت نفوذها في مستعمراتها سوى بلاد النوبة ، حتى ان « حرحور » عند ما أرسل مندوباً الى بلاد لبنان ليحضر شيئاً من خشب الأرز لم يعامل المندوب معاملة حسنة في الطريق ، ولما قابل أمير الجهة التي أرسل اليها امتنع عن اعطائه الخشب ، ثم قبل اعطائه اياه على شرط أن يأتيه ببعض الهدايا النفيسة من مصر

وكان ملوك « تنيس » في هذه الأيام يعترفون بزعامة رئيس الكهنة بطيبة . وقد تزوج منهم من خلفوا « حرحور » ، فتمكنوا من الحصول على الألقاب الملكية ، وبعضهم تمكن من الاستيلاء على جميع مصر .

المحافظة  
على جنث الملوك



وكان من أهم شواغل هذه الأسرة المحافظة على جيش ملوك مصر الافديين لما رأوه من عبث نباتى القبور بها . ولما ان أعتيهم الحيلة فى تقام من مقبرة الى اخرى وضموها فى مكان خفى بالقرب من معبد «الدير البحرى» وهناك بقيت نحو ثلاثة آلاف من السنين بدون أن تصل اليها يد السرقة ، حتى جاءت نهضة البحث عن الآثار القديمة فى عصرنا ، فكُشف مكانها وانتهى الأمر بنقلها الى دار المعاديات المصرية بالقاهرة حيث هى الآن

### ﴿ حكم اللاويين فى مصر ﴾

( ٩٤٥ - ٧١٢ ق م )

قضى المصريون فى عصر اضمحلالهم زمناً طويلاً وهم يستخدمون فى جيشهم جنود اللاويين . وكانت قادة هؤلاء الجنود من بنى جنسهم فاستوطنوا المدن الكبيرة ، وصيروا لهم مالأً وعمّاداً ، فى حين كان الحكام الوطنيون يضعف شأنهم يوماً فيوماً . وما زال اللاويون يزدادون قوة وهؤلاء ضمناً حتى قام « شيشنق الأول » ( شيشاق ) أحد قواد الجند اللاويين المأجورين ، وقبض على زمام الملك فأسس بذلك الأسرة الثانية والعشرين سنة ٩٤٥ ق م . وكان مقر حكومته « بوبسطة » ( تل بسطة ) بشرقى مصر السفلى . وفى أيامه انتعشت مصر بعض الشيء ، وعاد لها بعض نفوذها فى فلسطين . ولكن ملوك هذه الأسرة لم يستطيعوا ادخال القواد الآخرين فى طاعتهم ، فانّ هؤلاء كوّنوا لهم عصبية فى اكبر بلاد الشمال . وآل الأمر بالتدريج الى وجود ولايات عديدة بمصر يحارب بعضها بعضاً على الدوام . وما زالت الأمة على هذه الحالة ، نئن تحت عبء

الخلل والفضى وغلبة المغيرين من النوبة وغيرهم حتى انتهى العهد اللوبى ،  
وانقضت أيام الاسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين

### ﴿ إغارة الأثيوبيين والأشوريين ﴾

( ٧٢٢ - ٦٦١ ق م )

تم للمصريين فى أيام الدولة الحديثة غزو بلاد النوبة الشمالية غزواً  
كاملاً ، حتى أن سكان تلك الجهات تمصروا ، بل وُجد بينهم كثير من  
السلائل المصرية . وما زالوا يرتقون ويتنورون حتى شعروا بحقوقهم ،  
وأحسوا بأنهم مسلوبون خيرات بلادهم العظيمة وذهبها الكثير . فبقوا  
يتدرجون فى مراقي الرقى الى ان استقلوا بالملك ، وكوتوا لأنفسهم مملكة  
قائمة بذاتها ، مقرها « نباننا » بالقرب من الجنادل الرابعة . وعند ذلك ظهر  
ملكهم بجميع مظاهر الفراعنة المصريين ، وشيد المباني ونقش النقوش  
على الطراز المصرى . ثم استفحل أمرهم واستطار فجرهم ، فتمكن فى  
سنة ٧٢١ ق م . « بِنْتِخِي » أحد ملوكهم من الاستيلاء على الصعيد الى  
هرقلوبوليس بجنوبى الفيوم . وفى أثناء ذلك كان ملوك الأسرة الثالثة  
والعشرين يزدادون فى الضعف ، فلم يبق للملك « أُسْرُكُون الثالث »  
سوى منطقة « بسطة » . وكان فى كل مدينة كبيرة من مدن الوجه البحرى  
أمير ينازعه فى السلطة . فظهر من بين هؤلاء الأمراء رجل قوى يدعى  
« تَوْنِخْت » ، وهو أمير « سايس » ( صا الحجر ) \* . فأخضع جميع الأمراء  
المجاورين له فى الجزء الغربى من مصر السفلى ، ثم أغار على الصعيد حتى

\* بين طنطا وكفر الزيات

استولى على مدينة « هَرْمُو بُوليس »<sup>(١)</sup>. وعند ذلك أرسل إليه « بِنَعْنِي » جيشاً أرجعه الى أرضه. ثم شرع بِنَعْنِي في الزحف على الشمال فزل على منف واستولى عليها بعد عناء كبير في البر والبحر. وعند ذلك جاء إليه ملوك المقاطعات المختلفة، وأظهروا له الطاعة، ومن بينهم « أُسْرُكُون الثالث » المنتمى الى الأسرة الثالثة والعشرين والذي لم تزد مكاتته إذ ذلك عن مكانة غيره من الأمراء. أما « تونخت » فامتنع أولاً عن تقديم الطاعة، ولكنه قَبِل ذلك أخيراً وأصبح الحاكم على جميع مصر فرعوناً نوياً. وبعد أن جلا « بِنَعْنِي » بجيوشه عن مصر وعاد الى نباتا عاصمة دولته ثار « بَنُخُورِيس » بن تونخت أمير صا الحجر، فجمع السلطة في يده نازعاً ما بقي من الرمزق في الأسرة الثالثة والعشرين. واستولى على سرير ملك مصر السفلى حوالي سنة ٧١٨ ق. م. وقد اعتبر « بَنُخُورِيس » مؤسساً للأسرة الرابعة والعشرين، وان لم يُعلم لها ملك غيره. وبعد جلاء بِنَعْنِي من مصر نحو عشر سنين ظهرت سلطة النوبة في الشمال مرة ثانية، إذ قام « سَبَاكُون » أخو بِنَعْنِي وخليفته، وثبت قدم النوبيين في مصر. فبدأ بذلك عصرًا حكم فيه الملوك النوبيون بدون انقطاع، وبهذا اعتبر مؤسساً للأسرة الإثيوبية أو الأسرة الخامسة والعشرين

استيلاء النوبيين  
على مصر

### ﴿ إغارة الآشوريين <sup>(٢)</sup> ﴾

كان الآشوريون في هذه المدة قد قويت شوكتهم، وامتدت فتوحهم، فاستولوا على الشام وفلسطين، وأصبحت حدود مصر مهددة

دولة الآشوريين

(١) بالقرب من مدينة المنية الحالية (٢) ويقال لهم « الأثوريون » أيضاً

باغارتهم . فلما أدرك « سَبَاكُون » هذا الخطر أوعز الى ملوك الشام بالخروج عن طاعة الأشوريين ، فتمكن « سَرَجُون » ملك « آشور » في ذلك الوقت من اخماد الثورة في الشام وبابل والجزء الشمالى من دولته . وتوفى بعد أن ترك لابنه « سَنَحَارِب » في سنة ٧٠٥ ق . م دولةً من اكبر الدول السامية التى ظهرت فى التاريخ

استيلاء  
الاشوريين  
على مصر

ومن ذلك الوقت حدثت عدة معارك بين المصريين والأشوريين بسبب مساعدة مصر لثوار الشام ، الى ان كانت سنة ٦٧٠ ق . م . فدخل مصر « آشور آخى الدين » ملك آشور بجيش قوى منظم ساقه حتى أناخ به على منف واستولى عليها . ففر « طَهْرَاقَة » الملك الاثيوبى فى ذلك الوقت وتم استيلاء الأشوريين على مصر . ونصب « آشور آخى الدين » ولايةً وطنيين على أقاليم مصر المختلفة ، أعظمهم « نِحَاو » وهو من نسل تونخت ، وجعل فوقهم والياً آشورياً وعاد الى بلاده

فلم يلبث « طَهْرَاقَة » ان رجع من الجنوب وجمع حوله جيشاً عظيماً أباد به الحامية الأشورية . فأعد الأشوريون حملة أخرى دخلت مصر فى أيام ملكهم « آشور بانيبال » ، ففر « طَهْرَاقَة » الى طيبة ، واكتفى بتولى حكم الصعيد . ثم خلفه بعد وفاته ابن أخيه « تَنْدَمَان » ، فقبول بترحاب فى أعلى الصعيد ، ثم استولى كذلك على « منف » الى ان أخرجه حوالى سنة ٦٦٠ ق . م آشور بانيبال من مصر السفلى وتبعه الى الصعيد حتى مدينة طيبة فدمرها . فكانت هذه آخر قوة كبيرة أرسلها الأشوريون الى مصر

## الفصل الثامن

### النهضة المصرية

( ٦٦٠ - ٥٢٥ ق. م )

لما توفي ونخاو أمير صا الحجر ومنف خلفه ابنه « إيسميتيك الأول »  
( ٦٦٣ - ٦٠٩ ق. م ) والياً على أملاك والده تحت إشراف الأشوريين .  
فلما رأى أن دولة آشور مشتتة بإخماد الثورات وتذليل البلاد المجاورة  
الخارجة عليها ، مثل « بابل » و « عيلام » ، وبلاد العرب ، وأنها آخذة  
في الاضمحلال ، شرع في تقوية سلطانه ، واستعان بملك « ليديا »  
( بآسيا الصغرى ) على التخلص من حكم الأشوريين . ثم تغلب على باقي  
الأمراء المصريين فكان بذلك مؤسس الأسرة السادسة والعشرين

الأسرة السادسة  
والعشرون

ويعتبر « إيسميتيك » من أقوى فراعنة مصر وأعظمهم . ففي أيامه  
نهضت مصر من سباتها ، وتخلصت من الضعف الذي لحقها من الفتن  
الداخلية والغارات الأشورية . إلا أنها لم تكن في أيام هذه النهضة كما كانت  
في النهضات السالفة . إذ أصبحت الأمة في ذلك الوقت عديمة الميل  
للاشتغال بالأمور الحربية . ولم تولد فيها الغزوات الأخيرة حباً للحرب كما  
ولدت ذلك فيها غزوة الرعاة . ولذلك أدرك إيسميتيك أن لا حيلة له في  
تحقيق أمنيته وإرجاع مجد آبائه العظام إلى بلاده إلا بالاستعانة بالجنود المرتزق  
فكوّن جيوشاً من الأشداء ، معظمهم من بلاد الإغريق القديمة وجزر

إيسميتيك الأول

الضرورة التي  
دعت إلى  
استخدام الجنود  
المأجورين في عهد  
إيسميتيك

البحر الأبيض . وما فتئ يستعين بهم حتى أمن إغارة الأشوريين واستولى  
على بعض جهات فلسطين

أراد إيسمتيك أن يعيد للبلاد مجدها ، غير أنه لم يقتصر على إحياء الحضارة المتكثرة  
في زمن إيسمتيك الحضارة القديمة بأنواعها ، بل عمل على الانتفاع بحضارة الأمم التي أخذت  
في الظهور . وأرابت على المصريين في الابتكار والابتداع . فظهرت في  
الفنون والصنائع دقة لم تُعرف من قبل ، وزال من الرسم والتصوير تلك  
الرموز والقيود الرسمية التي كانت تذهب في الأزمنة الأولى بكثير من رونق  
الصور وروعها

### ﴿ استيطان الإغريق الأوائل في مصر ﴾

رأى إيسمتيك ضرورة الاختلاط بالأمم البحرية النازلة على شواطئ  
البحر الأبيض ، ممن ارتقت حضارتهم ، واتسعت تجارتهم ، وراجت  
صناعاتهم ، ولذلك جعل مقره مدينة « سايس » ( صا الحجر ) بشمالى مصر ،  
وسهل لهم التجارة في بلاده ، فأصبح الوجه البحرى مورداً ترد إليه التجار  
من البلاد الفينيقية والسورية وخاصة الإغريقية

وقد ذكرنا فيما تقدم أن « سكان البحر » الذين منهم الإغريق كانوا ورود الإغريق  
يردون إلى مصر منذ القرن الثامن ق . م ، ولكن مجيئهم إذ ذاك لم يكن  
بهذه الكثرة ، ولم يقابل بذلك الترحاب الذى قوبل به في عصر إيسمتيك  
وفى هذا الوقت كان الإغريق آخذين فى الانتشار والاستعمار . فبعد  
أن ملكوا شبه الجزيرة الإغريقية وجزر الأرخيل نزلوا فى عدة أماكن  
على شواطئ البحر الأبيض . وكانوا كلما حلوا بجهة أوجدوا بها حركة تجارية

وشيدوا المعامل الصناعية. فرأى إسمتيك أن يجيئهم الى بلاده واستيطانهم بها مما يفيد البلاد ، فرحب بهم ومنحهم أراضى يقيمون بها بالقرب من « بسطة » ، وكان لهم أيضاً بمنف حتى خاص بهم ، فاستوطنوا بمصر ونشروا فيها تجارتهم وشيدوا مصانعهم. فهذا العدد العظيم، مضافاً اليه جند الإغريق المأجورون بالجيش ، لم يخلُ أمرهم من التأثير في حالة البلاد . غير أن تأثيرهم الأكبر كان في الملوك لا في الأمة ذاتها ، وذلك لشدة تعصبها وتمسكها بمجد أجدادها السالفين . وقد بلغت شوكة الإغريق في مصر درجة كادت تضعف سلطان الملك . على أن المصريين أنفسهم كان لهم تأثير محسوس في الإغريق ، فقد نقل هؤلاء عنهم شيئاً كبيراً من أصول التصوير وعمل التماثيل ، كما نقلوا كثيراً من علمهم وفلسفتهم ولا سيما ما يختص بالإلهيات

تأثير الإغريق  
في مصر

ازدياد شوكة  
الإغريق في مصر

تأثير مصري  
الحضارة  
الإغريقية

بعد أن توفي إسمتيك خلفه ابنه « نجاو » ( ٦٠٩ - ٥٩٣ ق . م ) فتبع خطة أبيه في السعى وراء استرجاع مجد مصر لاسترداد الممالك التي كانت لها في أيام تحتمس الثالث ورمسيس الثاني ، فاستمر في ادخال الإغريق في مصر وترقية الفنون والصنائع ، وزاد كثيراً في عدد الجيش ، وبنى اسطولاً حربياً للبحر الأبيض ، وآخر للبحر الأحمر . وفي أول سنة من توليته شرع في استرداد ممتلكات مصر في سورية . ولما كانت دولة الأشوريين اذ ذاك في أقصى درجات الضعف والاضمحلال تمكن من غزو جميع سورية واسترداد جميع الأملاك الآسيوية التي امتلكها أجداده من قبل . ولكن من سوء الحظ لم تبق هذه البلاد في يده طويلاً ،

النهضة المصرية في  
عهد الأسرة  
السادسة  
والعشرين

وفي أقل من سنتين تمكن البابليون والميديون\* من التغلب على دولة  
اشور واقتسام أملاكها، فكانت سورية من نصيب « نَبُو بُولَصَّار »  
ملك البابليين ووالد « نَبُو خَذَّ نُصْر » ( بُخْتَنَصْر ) المشهور، فأرسل ابنه  
بجيش لمحاربة نخاو فهزم المصريين بجمه « قرقيش » ( ٦٠٥ ق م )، ولولا  
رجوع « بختنصر » قائد الجيوش البابلية الى بلاده بسبب وفاة والده لدخل  
البابليون الديار المصرية . ومن بعد هذه الواقعة لم يحاول « نخاو »  
استرداد الأراضي الآسيوية وتفرغ للاصلاحات الداخلية

محاولة البابليين  
الاستيلاء  
على مصر

ومن أعماله أنه شرع في كرى الخليج الموصل بين البحرين الأبيض  
والأحمر عن طريق فرع النيل الشرقى ، وهو الذى انشأ سبتي الأول  
ورميس الثاني ، ولكنه لم يتمكن من اتمام عمله

الطواف  
حول افريقية

ومن أعماله أيضاً أنه أرسل عدداً من الملاحين الفينيقين للطواف  
حول إفريقيا ، فأتموا السياحة في ثلاث سنوات

وبعد وفاته خلفه « إسمتيك الثاني » ، ولا يعلم عن أيامه شيء هام  
سوى انه غزا بلاد النوبة حتى بلغ الجنادل الثانية ، ولم يكن لذلك  
نتيجة باقية

ثم خلفه « أبريس » ( وهو فرعون المعروف على الآثار باسم حفرع ) .  
وهذا الملك ورث عن أجداده الشجاعة وعلو الهمة وحب الفنون الجميلة ،  
وقد شيد بمدينة « سايس » معبداً من أجل المعابد ونصب أمامه عدداً من  
التماثيل الضخمة وأصنام أبي الهول . وفي أول حكمه اشترك في غارة على  
البابليين لم يجن من ورائها ثمرة سوى الاستيلاء على بعض المدن الفينيقية ، وفي

\* انظر الفصل التالى



أواخر أيامه أرسل قوة لمساعدة اللوبيين على الإغريق المستعمرين لمقاطعة  
« قيرينيقيا » بشمالى إفريقيا ( برقة ) ، ولم يرسل طبعاً فى هذه الحملة أحداً  
من الإغريق المأجورين ، فانهزمت الجنود الوطنية شرهزيمة واختاروا  
« أحسب الثانى » ( أمسيس ) ملكاً للبلاد بالرغم من مقاومة جند « ابريس »  
اليونانيين . ولما تولى « أحسب الثانى » سنة ٥٦٩ ق . م لم يحنق على الجند  
اليونانية بل تقاهم الى منف وجعلهم حرساً له . ثم عضد الحركة التجارية  
وأباح لتجار الإغريق الاستيطان بمدينة « نقرطيس » ( نقراش ) ،  
فكانت بمثابة مستعمرة لهم ، ومنها انتشروا فى جميع أنحاء مصر واتجروا  
مع المدن التى على شواطئ البحر الأبيض

استيطان  
الإغريق بمدينة  
نقرطيس

وكان فى أول أيامه على خلاف مع البابليين ، فأصلح ما بينه وبينهم ،  
واتفق معهم ومع الليديين وغيرهم من الأمم الغربية ( ٥٤٧ ق . م ) على  
مقاومة دولة « فارس » التى ابتدأت فتوحها إذ ذاك تمتد شرقاً وغرباً ،  
ولكن اتفاقهم لم يفلح ، فأسقط « كورش » ( ملك الفرس ) دولة بابل ،  
وغلب الميديون على أمرهم . ولولا أن أحسب لحقته المنية فى سنة ٥٢٥ ق . م  
لرأى بعينه الجيوش الفارسية تفرع أبواب بلاده

وكان أحسب من أحزم ملوك مصر وأكثرهم نشاطاً ، وفى أيامه استولى  
المصريون على جزيرة قبرس فدفعت لهم الجزية ، وكانت البلاد فى عهده  
فى رقى ونعيم ، حتى قال هيرودوت انه كان بمصر وقتئذ ٢٠٠.٠٠٠ مدينة  
ومن أعماله أنه نقح القوانين المصرية ، ولما حضر « صولون » المشرع  
الإغريقى الى مصر فى تلك الأيام اختار بعض تلك القوانين وعمل بمقتضاها  
فى « أثينا »

عصر  
أحسب الثانى

## فصل التاسع الفرس وفتحهم لمصر

﴿ تمهيد ﴾

الفرس أمة شرقية ذات حضارة قديمة استوطنت « إيران » وأنشأت منشأ الفرس  
بها دولاً في زمن غير معروف، وأول ما عُرِف من أمرهم يقيناً أنهم كانوا  
خاضعين لسلطان « الميديين »، وأهم أمة قريبة منهم جداً في الجنسية كانت  
تمتد بلادهم شمالي بلاد الفرس وغربها، ويحدها من الشمال الشاطئ الجنوبي  
لبحر « قزوين ». غير أنه في أواسط القرن السادس قبل الميلاد (٥٥٠ ق.م)  
قام من بين الفرس رجل يدعى « كوريش » تغلب على ملك الميديين وأسس  
دولة الفرس المعروفة التاريخ. ومن يوم انتصاره انتقلت العظمة والسلطان  
من الميديين الى الفرس

وبعد ان استولى « كوريش » على « ميديا » أخذ في بسط سلطانه  
على ما جاوره من البلاد، وما زال كذلك حتى وصلت فتوحه الى أبواب  
بلاد « الليديين ». والليديون هم أمة كانت تشغل جزءاً كبيراً من آسيا  
الصغرى، وكانوا على جانب عظيم من الحضارة والتقدم ولهم شهرة فائقة  
في الصنائع والموسيقى والتنعم والبذخ، وملكهم « كريسوس » (قارون) صيت  
هاثل في الفنى، حتى ليضرب به المثل في ذلك. فلاقى كوريش صعوبة كبيرة  
في التغلب عليهم، ولكنه تمكن بعد من ذلك بفضل قوته ومهارته الحربية،  
استيلاء الفرس  
على ليديا

تاريخ (٧)

فانضمت ليديا أيضاً الى بلاد الدولة الفارسية سنة ٥٤٦ ق . م  
وفي سنة ٥٣٨ ق . م تغلب على البابلين وضم بلادهم الى دولته ، وما  
زال يوسع نطاق هذه الدولة العظيمة حتى صارت تمتد من شواطئ  
« البسفور » غرباً الى نهر « السند » شرقاً . ولقد لُقِبَ كورش « بالأكبر »  
و « بمؤسس الدولة الفارسية العظيمة » لهذه الأعمال العظيمة التي قام بها  
وتولى الملك بعده ابنه « قَمْبِيز » . ومن بعده « دارا الأول » ، وكان  
أيضاً ملكاً عظيماً ، فقام بتميم مابداه « كورش » ، فوطد السكينة في البلاد  
واستولى على « البنجاب » في الهند وعلى بعض البلاد التي في شمالي بلاد  
الإغريق

ثم تولى بعده « إيجزربيس » (أرتخشيشا) ومن بعده بفترة قصيرة  
« أرتجزربيس الأول » (أرتخشيارش) ، ثم « دارا الثاني » ثم « أرتجزربيس  
الثاني » ثم « أرتجزربيس الثالث » ثم « دارا الثالث » وهو آخر ملوك  
الدولة الفارسية القديمة . وفي أيامه استولى الاسكندر على فارس سنة ٣٣٠  
ق . م كما سيأتي بعد\*

استيلاء  
الاسكندر على  
فارس

ولنرجع الآن الى علاقة مصر بفارس فنقول :

• وبعد ذلك بقيت فارس مدة من الزمن تابعة لغيرها أو مجزأة تحت حكم ملوك  
الطوائف حتى سنة ٢٢٧ بعد الميلاد حيث عاد لها استقلالها أيام الدولة الساسانية  
وأخذت في توسيع نطاق ملكها فصارت دولة عظيمة . ثم أخذت في أسباب الضعف  
بعد أيام كِسْرَى أَنْوَشَرْوَانَ « أي من أواخر القرن السادس بعد الميلاد . وما  
زالت كذلك حتى استولى عليها العرب في القرن السابع

﴿ اغارة الفرس على مصر ﴾

عند وفاة احس خلفه ابنه « ايسمتيك الثالث » ، وفي أيام هذا الملك شرع الفرس في غزو مصر بعد أن أعدوا لذلك المعدات الكبيرة ، فجاء ملكهم « قَمَبِيز » بجيش جرّار لفتح البلاد التي طالما تافت نفس سلفه الى اخضاعها . وكانت مصر اذ ذاك منيعة التحصين ، ويقول مؤرخو الإغريق أنفسهم ان أحد الجنود اليونانية خان المصريين ودلّ الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم منها أن يدخلوا البلاد ، فوجت مدينة « بأوز » (الفرما) ببحراً ، وزحفت الجيوش الفارسية على مصر برّاً ، وبعد مقاومة شديدة يجهت بلوز ومنف سقطت البلاد ، وأخذ « قَمَبِيز » ايسمتيك أسيراً ، فاتمت بذلك أيام الأسيرة السادسة والعشرين

وبعد أن استولى قَمَبِيز على مصر في سنة ٥٢٥ ق . م أعد ثلاثة جيوش تقصد ثلاث جهات مختلفة : الأولى « قَرطاجنة » والثانية واحة أمون ( سيوة ) والثالثة بلاد النوبة . فلم تفلح الأولى بسبب امتناع الفينيقيين عن العمل مع أنهم كانوا هم رجال سفن الجيش الفارسي . وكانت الثانية طامة كبرى على قَمَبِيز ، اذ أن الجيش الذي أرسله فيها وقدره ٥٠٠,٠٠٠ مقاتل هلك في الصحراء ولم يُسمع عنه شيء . أما الثالثة فتمكنت من غزو بلاد النوبة ، إلا أنها عند عودتها صادقتها عاصفة رملية بالقرب من الجنادل الأولى كادت تقضى على جميع رجالها وكان « قَمَبِيز » في أول أمره سالكاً مسلماً حسناً في معاملة المصريين يحترم دينهم وعاداتهم ، ولكنه لما لحقته كل هذه الخسائر ، ورأى شماتة

استيلاء قَمَبِيز على مصر

المصريين به أخذ منه الغضب كل مأخذ، فغنى على البلاد ومن فيها،  
وغير معاملته لهم بالمره، فبذت منه القسوة بجميع ضروبها وكره على المعابد  
والهياكل فهدمها، وقتل بيده العجل أيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة.  
وعند عودته الى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق . م

دارا الأول  
ولما تولى ملك فارس « دارا الأول » زار مصر وأراد أن يصلح ما  
أفسده قبزه، فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد  
هيكلًا عظيمًا للمعبود أمون بواحة سيوة الكبرى . وعضد التجارة وشيد  
كثيراً من المدارس وفتح الخليج السالف الذي ذكر الموصل بين النيل والبحر  
الأحمر، وأصلح الطريق بين « قفط » وشاطئ البحر الأحمر المار بوادي  
الحمات . وكانت الضرائب التي ضربها على المصريين ثقيلة، إلا أنها كانت  
تُجبي بسهولة لتوافر الخيرات بالبلاد

طرده الفرس  
من مصر  
ورأى المصريون في آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة  
« مرتون » في حربه مع الإغريق<sup>\*</sup> فخرجوا عن طاعته، وطرده الفرس  
من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق . م

غزو الفرس  
لمصر من جديد  
ولما تولى « إجزرسيس » ملك فارس غزا مصر من جديد، فأصر  
المصريون على الثورة مرة أخرى، وفي أيام خلفه « ارتجزرسيس » ثاروا على  
الفرس بمساعدة ملك « لوبيا » واسطول إغريقي، فأخذوا ثورتهم بعد  
قتال طويل

الاسرة السابعة  
والمشرون  
( فارسية )  
وبعد ذلك بقيت البلاد هادئة في زمن « اجزرسيس الثاني » ومعظم  
أيام « دارا الثاني » الى أن هلك، فتمكن المصريون بمساعدة الإغريق من

\* راجع حروب الفرس مع الإغريق

التخلص من حكم الفرس ، وكان ذلك سنة ٤٠٥ ق . م . ويعرف ولاية  
الفرس هؤلاء بالأسرة السابعة والعشرين

✽ الأسرة الثامنة والعشرون الى الأسرة الحادية والثلاثين ✽

خروج الفرس  
مرة ثانية

طرد «أميرتوس» (أمروت) الفرس من مصر واستولى على سرير  
الملك ست سنين . ولم يخلفه أحد من نسله ، بل آل الملك بعده الى  
ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ومن بعدهم الى الأسرة الثلاثين التي  
أسسها «نِخْتَبُو الأول» (تَقْطَانِب) . ولم تكن مصر على جانب عظيم  
من القوة في الفترة التي بين خروج الفرس وبين أيام هذا الملك ، ولكنها  
نهضت في عصره من رقادها نهضة لم تكن إلا بمثابة صحوة الموت ، إذ أنه  
في أيام آخر ملوك هذه الأسرة المدعو «نِخْتَبُو الثاني» تمكن الفرس  
سنة ٣٤٠ ق . م من دخول مصر مرة أخرى بعد أن غابوا عنها ٦٥ عاماً .  
وبذلك انتهت أيام الفراعنة بعد أن حكموا في وادي النيل نحو ٤٠٠٠ سنة ،  
ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة

غزو الفرس  
مرة ثالثة

انتهاء دولة  
الفراعنة

فكان مصر قد علمت العالم سياسة الملك ونشر الحضارة ، فأظهرت  
فيه أمماً قوية عديدة ، ولكنها هزمت بعد ، وأصبحت غير قادرة على  
الجولان في ذلك المضمار الذي يتسابق فيه أبناؤها بما لهم من قوة الشباب  
وجديد الهمة . وهكذا حال الأمم ، تصعد ثم تنخفض : « فما طار طير  
وارتفع ، إلا كما طار وقع »

## فصل العاشر

### كلمة في الحضارة المصرية القديمة

ان الآثار الكثيرة المنبثة في جميع أنحاء الدنيا تفصح بأجلى بيان أن قدماء المصريين بلغوا في الحضارة درجة لم تسبقهم اليها أمة من الأمم القديمة . وهي وإن كانت لا توازي حضارة المصور الحاضرة المشيدة على دعائم العلم وتذليل قوى الطبيعة ، تُعتبر بلا شك عظيمة جداً بالنظر لوجودها في تلك الأزمنة الغابرة . ولم تكن قاصرة على ما يكون القلب فيه للقوة والسلطة والصبر والمثابرة ، كتشديد الصروح الشاهقة وشق الأنهار واقامة السدود ( الخزانات ) بل أضافوا الى ذلك أنواع الحضارة الأخرى من مظاهر التنم والرفاهية والتأنق وإبثار السرور ، وحب العلم ، والميل الى الفنون والأشياء الجميلة . وتفصل هذه الأمور بعض التفصيل فنقول :

#### ﴿ الزراعة وتربية الحيوان ﴾

عند قدماء المصريين

كانت الزراعة ، ولا تزال ، هي الوسيلة الطبيعية لمعيشة المصريين وسعادتهم . ولذلك كان أشرفهم يُشرفون بأنفسهم على الزرع ويعملون بأيديهم كل ما يؤدي الى طيب الزرع وخصب التربة ولم تكن طرق الزراعة تختلف كثيراً عما هي عليه الآن ، وكان أهم ما يزرعون القمح ثم الكتان والذرة وحبوب أخرى . وكانوا يُعنون بالحدائق والبساتين ، وكان لها عندهم نظام دقيق تكثر به الفواكه وتفره ، وكان العنب

موافقة البلاد  
للزراعة

حاصلات مصر  
القديمة

والتمر أكرم الثمار التي اشتهرت بها مصر في تلك الأزمان الخالية  
أما رعى الأرض فكانوا يستعملون فيه طريقة الأحواض في الأرض

التي يعلوها النيل، وطريقة الدلو والدالية (الشادوف) في غيرها

وكان لهم عناية عظيمة بتربية الحيوان، ويقتنون من قطعان البقر  
والغنم والمغز ما لا يزيد عليه إلا الإوز والدجاج، وكانت الحمير من دوابهم  
المشهوره، يسخرونها في كثير من الأعمال. أما الخيل فلم يعرف أنهم  
استعملوها قبل عهد الرعاة. وقد ظهر الآن لعلماء أوروبا أن مهارة المصريين  
في التفريخ الصناعي لبيض الدجاج ليست قاصرة على اختراعه فقط، بل  
ان طريقتهم لا تزال أفضل الطرق مع ما بلغت الأم الحديثة من التقدم  
في العلوم الطبيعية

### ﴿الصناعات﴾

كان قدماء المصريين يُحسنون كثيراً من الصناعات، مثل صناعة  
نسج الكتان الرقيق والصفيق، وصناعة الأنسجة وصناعة الخزف والزجاج  
وسبك المعادن من النحاس والشبه (البرنز) والفضة والذهب. ولم يرد  
للحديد ذكر في آثارهم

وكان لهم مهارة غريبة في صناعة الحلي. وفي دار العاديات بالقاهرة  
بعض حلي أمراء الأسرة الثانية عشرة في حالة من الإتقان لا تمتاز عنها  
الحلي التي تصنع في العصر الحاضر

وكذلك كانت صناعة النجارة، فلم يكذب ينقصهم شيء من الآلات  
المستعملة فيها الآن، فيتخذون المصنوعات الكبيرة الحجم من خشب  
النجارة



## الفصل العاشر

### كلمة في الحضارة المصرية القديمة

ان الآثار الكثيرة المنبثة في جميع أنحاء الدنيا تفصح بأجلى بيان أن قدماء المصريين بلغوا في الحضارة درجة لم تسبقهم اليها أمة من الأمم القديمة . وهي وإن كانت لا توازي حضارة المصور الحاضرة المشيدة على دعائم العلم وتذليل قوى الطبيعة ، تُعتبر بلا شك عظيمة جداً بالنظر لوجودها في تلك الأزمنة الغابرة . ولم تكن قاصرة على ما يكون الغلب فيه للقوة والسلطة والصبر والمثابرة ، كتشييد الصروح الشاهقة وشق الأنهار واقامة السدود ( الخزانات ) بل أضافوا الى ذلك أنواع الحضارة الأخرى من مظاهر التعم والرفاهية والتأنق وإيثار السرور ، وحب العلم ، والميل الى الفنون والأشياء الجميلة . ونفصل هذه الأمور بمض التفصيل فنقول :

#### ﴿ الزراعة وتربية الحيوان ﴾

عند قدماء المصريين

كانت الزراعة ، ولا تزال ، هي الوسيلة الطبيعية لمعيشة المصريين وسعادتهم . ولذلك كان أشرافهم يُشرفون بأنفسهم على الزرع ويعملون بأيديهم كل ما يؤدي الى طيب الزرع وخصب التربة

موافقة البلاد  
للزراعة

ولم تكن طرق الزراعة تختلف كثيراً عما هي عليه الآن ، وكان أم ما يزرعون القمح ثم الكتان والذرة وحبوب أخرى . وكانوا يُعنون بالحدائق والبساتين ، وكان لها عندهم نظام دقيق تكثر به الفواكه وتفره ، وكان العنب

حاصلات مصر  
القديمة

والتمر أكرم الثمار التي اشتهرت بها مصر في تلك الأزمان الخالية  
أما رعى الأرض فكانوا يستعملون فيه طريقة الأحواض في الأرض

التي يعلوها النيل، وطريقة الدلو والدالية (الشادوف) في غيرها

وكان لهم عناية عظيمة بتربية الحيوان، ويقتنون من قطعان البقر  
والغنم والمعز ما لا يزيد عليه إلا الإوز والدجاج، وكانت الحير من دوابهم  
المشهوره، يسخرونها في كثير من الأعمال. أما الخيل فلم يُعرف أنهم  
استعملوها قبل عهد الرعاة. وقد ظهر الآن لعلماء أوروبا أن مهارة المصريين  
في التفريخ الصناعي لبيض الدجاج ليست قاصرة على اختراعه فقط، بل  
ان طريقتهم لا تزال أفضل الطرق مع ما بلغت الأم الحديثة من التقدم  
في العلوم الطبيعية

### ﴿ الصناعات ﴾

كان قدماء المصريين يُحسنون كثيراً من الصناعات، مثل صناعة  
نسيج الكتان الرقيق والصفيق، وصناعة الأنسجة وصناعة الخزف والزجاج  
وسبك المعادن من النحاس والشبّه (البرنز) والفضة والذهب. ولم يرد  
للحديد ذكر في آثارهم

وكان لهم مهارة غريبة في صناعة الحلّي. وفي دار العاديات بالقاهرة  
بعض حلّي أمراء الأسرة الثانية عشرة في حالة من الإتقان لا تمتاز عنها  
الحلّي التي تصنع في العصر الحاضر

وكذلك كانت صناعة النجارة، فلم يكذب ينقصهم شيء من الآلات  
المتعملة فيها الآن، فيتخذون المصنوعات الكبيرة الحجم من خشب  
الجارة

الجميز ونحوه، والأثاث النفيس من الأخشاب الفاخرة المجلوبة من الممالك  
المجاورة، كآبنوس السودان وأرز لبنان وغيرهما



( كرسى مصرى قديم )

بدار الآثار المصرية رسم ف . د . د . بيرز  
( مثال من دقة فن التجارة عند قدماء المصريين )

وكانوا يُحسنون صناعة دبق الجلود ويُدخلونها في كثير من أثاث  
المنازل، فيتخذون منها المساور والمخدّات ومقاعد الكراسى والأرائك،  
ويصنعون منها سيوراً لربط الجثث المحنطة منقوشة نقشاً جميلاً، ويزينون  
بالجلد الملون كثيراً من الآلات كالقيثار وغير ذلك مما لا ينقص عما  
تُسعمل فيه الجلود الآن

صناعة الجلود

• وقد عُثر بين آثارهم على صورة جميلة بها طائفة من التجار ين يشتغل كل منهم  
في العمل المختص به، ويرى الناظر فيهم شخصاً مشتغلاً بقدر على نار يظهر أنها قدر  
إذابة الفراء

ومن أهم الصناعات التي أجادها المصريون صناعة الورق المتخذ من صناعة الورق نبات البردى . فكانوا يشقون سوفة شرائح يوضع بعضها بجانب بعض ، ثم يوضع كذلك فوقها طبقة أخرى شرائحها مقاطعة للأولى ، وتُلصق الطبقتان بالغراء وتُكبَّسان وتُصقلان . وبقيت هذه الطريقة مستعملة الى أوائل القرن الثالث من الهجرة ، وكان ورقها يسمى «القرطاس المصري» وقد برع المصريون ، ومن ذلك في صناعات كثيرة ، مثل بناء السفن والقوارب ، لقلة طرق المواصلة عندهم غير النيل ، ومثل عمل التماثيل والأصنام من الخشب والحجر والطين والجص ، وصناعة الآلات الموسيقية والآنية المتخذة من المعادن وحجر المرمر والرخام ، وصنع الآلات الحربية وغير ذلك مما أثبت بلا شك عظم تأثير مصنوعاتهم في تقدم الفنون الجميلة الإفريقية ✓

٢٩ فبراير سنة ١٩٣٥

### ﴿ التجارة ﴾

تعود المصريون التجارة من أقدم أزمانهم ، فكان النيل والترع غاصة استعمال النقود بالقوارب التي تحمل الحاصلات المختلفة ، ويجمعون في أسواق لا يقل ازدحامها عن ازدحام أسواق الوقت الحاضر . غير أنهم لم يعرفوا استعمال النقود في بادئ الأمر ، بل كانوا يستبدلون بعض السلع ببعض ، ثم اتخذوا من الذهب والفضة حلقاً وسبائك وقضباناً يتعاملون بها في تبادل الأشياء الكبيرة ، فكانت على ما نعلم أول نوع استعمله الانسان من النقود وما زالت تجارتهم في نمو حتى سلكوا البحار ، ونظموا سير القوافل ، ووصلوا النيل بالبحر الأحمر ، وبعثوا بالبعوث البحرية للكشف عن

جول البحار

البلاد المجهولة، حتى صارت سفنهم تسلك البحار من المحيط الهندي الى  
بحر إيجه

وكانوا يجلبون من الثوبة والسودان الذهب وريش النعام والآبنوس  
والعاج والجلود، ومن بلاد « بَنت » وما وراءها المرّ وأنواع الصمغ  
العطرية والأخشاب ذات الرائحة الذكية، ومن الشام خشب الأرز، ومن  
طورسيناء المعادن وبعض الأحجار الكريمة

المواد التي  
انجروا فيها

ويحملون الى الممالك المجاورة لهم مصنوعاتهم: من خزف وزجاج وكتان  
وورق، وقد وجدت آثارها في جزيرتي قبرص وروُدس . وارتقوا في التجارة  
الى استنباط طرق مسك الدفاتر، وضبط المحاسبات، وكتابة العقود  
والمشارطات والوصول والصكوك، والنظرة بها الى آجال مختلفة، وغير ذلك  
من ضروريات التجارة الراقية

### ﴿ العلوم والمعارف ﴾

لا يزال الباحثون يزيدوننا كل يوم علماً جديداً بعظم مبالغ المصريين  
من العلوم والمعارف، وستدوم الحال على ذلك دهوراً طويلاً فتلك آثارهم  
ومبانيهم الضخمة، وتقوشهم البديعة، وكتابتهم العجيبة في الصوان من  
غير أن يستعملوا الحديد والفولاذ أو يعرفوا الآلات الراقية التي نستعمل  
الآن، تدلنا على درجة نبوغهم في كثير من العلوم والفنون

ولصفاء جو مصر كان للمصريون من أقدم الأمم التي اشتغلت بعلم  
الفلك، وإن لم يتفق كثير من آرائهم فيه مع العلم الحديث . وقد أجمع  
مؤرخو اليونان أن أمتهم لم تأخذ هذا العلم إلا عن المصريين، وانهم كانوا

الفلك

يشتغلون به في وقت لم ينافسهم فيه إلا الكلدانيون . وقد عُثر في بعض المقابر على آلات للرصد ومصوّرات عجيبه لشكل السماء ومواقع نجومها ، كما عُثر لهم على بعض حسابات دقيقة تدل على نبؤهم في علم الميقات والتقويمات . فهم أول من حسب طول السنة بالتقريب ، وكان ذلك سنة ٤٢٤١ ق . م وهو أول تاريخ مُدوّن معروف . ويقال إن الهرم الأكبر كان له عندم فائدة كبرى في حساب حركات الكواكب

العلوم الرياضية  
وفن الهندسة

أما العلوم الرياضية فالظاهر أنهم لم يبلغوا مبلغاً عظيماً في النظرى منها ، سواء أكان في علم الحساب أم الهندسة النظرية ، ولكنهم ضربوا بسهم وافر في الفنون العملية المتعلقة بها كفن الهندسة والعمارة . وحسبنا دليلاً على ذلك أن «ميناء» تمكن في ذلك العهد البعيد ( ٣٤٠٠ ق . م ) من بناء سدّ عظيم حول به مجرى النيل ، وأن «مرزق» و «أسرتسن الثالث» حفر كل منهما قناة في صخر الصوّان ، الأول سنة ٢٥٧٠ ق . م والثاني سنة ١٨٨٧ ق . م . وأن «امنمحت الثالث» شيّد ذلك الخزان العظيم الذي اذخر به جزءاً كبيراً من مياه الفيضان وأحيا بلاداً شاسعة في إقليم الفيوم

الكيمياء

وأما علم الكيمياء وخلط المعادن فقد كان لهم فيه قدم راسخة : يدل على ذلك اتخاذهم من الشبّه (البرنز) آلات صلبة يتيسر لهم بها قطع أحجار الصوّان ، وكذلك تحنيط الموتى تحنيطاً أبقى أجسادهم ألوفاً من الأحقاب ، ثم تركيب الأصباغ الثابتة التي لا تتألف إلا بعد دراية عظيمة بخواص الحموض والأملاح والأصدياء والعضويات

الطب

وساعدتهم علمهم بالكيمياء في صناعة الطب والجراحة ، فلم يفضاهم

فيهما من الأمم القديمة إلا اليونان بعد عصور طويلة، وإن كانت دياتهم قد عاقبتهم عن فهم تركيب الإنسان فهماً صحيحاً بتحريرها للتشريح  
وهم كانوا مصدر العلوم الفلسفية والقوانين الإدارية، وعنهم أخذتها  
الأمم المجاورة لهم. وقد وفد اليهم من واضعي القوانين «ليكرغ» و«صولون»،  
ومن الفلاسفة «فيثاغورس» و«أفلاطون» و«إقليدس»  
ومما يؤسف له أن معظم علم المصريين لم يُحفظ حتى يصل إلينا،  
لأن أكثر علمهم كان عملياً يتوارثه الولد عن والده بدون تدوين الآماندر،  
لقلة الجامعات والمدارس المفتحة الأبواب للخاصة والعامة بالنظام المعروف  
الآن. نعم إن «منف» و«طية» و«عين شمس» كانت مهداً للعلوم  
والمعارف، ولكنها كانت قاصرة على أولاد الملوك والأمراء وأبناء بطاتهم،  
أو على الكهنة وتلاميذهم

الفلسفة  
والقوانين

### ﴿ المباني ﴾

من أهم ما اشتهر به المصريون مبانيهم العظيمة الدالة على عظيم  
سلطانهم، وسعة حضارتهم، ورفيع رتبهم في العلوم عامة، وفن العمارة خاصة  
ولم تكن مبانيهم بالطبع في مبدأ عصورهم بهذه الفخامة والعظمة،  
بل كانت تُبنى باللبن والآجر. ثم اقتلعوا الأحجار العظيمة فحسوا بها بناء  
أهرامهم ومعابدهم ونحتوا منها مسلاتهم، ووضنوا بها على بناء مساكنهم  
فلم يبق منها إلا بقايا متخربة. ومما تمتاز به مبانيهم أن قواعدها غالباً  
مستطيلة أو مربعة وأعلىها أضيق من أسفلها، ولم يحاولوا زخرفها بتدوير  
زواياها أو إقامة القباب والمنائر والأبراج عليها. وبالرغم من كل ذلك تمتاز

مميزات المباني  
المصرية





(٢)



(١)



(٣)



(٤)



نماذج من التماثيل المصرية | (١) شيخ البلد (رسم على اقماني يوسف) . و (٢) الكتاب .  
 و (٣) الاميرة نفرت وزوجها . و (٤) رع نفر (رسم ف. د. بيرو) .

مبانيهم بأن منظرها مشعر بعظم القوة، وضخامة السلطان، وسعة العلم،  
ودقة الصنع

### ﴿ التصوير وصناعة التماثيل ﴾

طروء الرمز  
والاصطلاح في  
التصوير

كان للمصريين وُاعٍ عظيم بالرسم والتصوير، وميل الى استعمال  
الأصباغ الزاهية التي يتألف من اجتماعها منظر أنيق لا يُكل البصر  
ولا يُفترقه. وكان لهم ذوق سليم في رسم النبات والحيوان، وكانت صور  
الأناسي وتماثيلهم غاية في الاتقان وملاءمة الطبيعة، غير انه طراً عليها بعد  
عهد الأسرة الخامسة شيء من الاصطلاح والرمز أضاع بعض روعتها  
وتناسبها وإن لم يذهب باتقانها. ومن أبداع التماثيل التي وصلت اليها من  
تلك العصور البعيدة علاوة على تماثيل الملوك الذين تكلمنا عليهم:  
(١) التمثال الخشبي المعروف بشيخ البلد. (٢) تمثال (رَع نِقْر) أحد كهنة  
منف. (٣) الأميرة المصرية القديمة (نِقْرَت) وزوجها. (٤) تمثال  
الكاتب. وجميعها من عهد الدولة القديمة ومحفوظ الآن بدار الآثار المصرية

### ﴿ الكتابة واللغة ﴾

لا يكاد يوجد شك في أن الكتابة المصرية أقدم كتابة في العالم.  
والأرجح ان الفينيقيين أخذوها عن المصريين ببعض تغيير، وعن  
الفينيقيين أخذت الأمم. فكانت أساساً لكتابة جميع الأمم المتمدينة في  
العصر الحاضر

تدرج الكتابة  
الهيروغليفية

وتشتهر الكتابة المصرية باسم «الكتابة الهيروغليفية»، وكانت في  
أول أمرها مكوّنة من صور الحيوان والنبات والأشياء المتداولة: كل

صورة منها رمز لمعنى أو معنيين أو أكثر . ثم دخل عليها بعض تنقيح واختصار ، فنشأت منها الكتابة « الهيراطيقية » ، ثم هُذبت هذه أيضاً ونشأت الكتابة « الديموتيقية » ، غير أنهما لم تَنسَخا الأولى ، وبقيت تُستعمل في النقش على المباني والآثار الدينية . وقُصرت الحديثان على المكاتبات التجارية والتأليف وكل ما يذنب في السرعة

أما اللغة المصرية فقد تقلبت في أطوار عديدة انتهت باللغة القبطية الأخيرة التي بقيت الى حوالي القرن الرابع عشر بعد الميلاد . وبالرغم من اختلاف تلك اللغات كان لهم لغة رسمية تحاكي في كل عصر من عصورهم في معظم كتاباتهم الأثرية . ويظهر من ألوف أوراق البردى التي عُثِر عليها ومن نقوش هياكلهم أنه كان لهم لغة ذات آداب راقية وشعر رفيع نظموا به كثيراً من القصص والأغاني ، وكتبوا كتباً شتى ، غير أن معظم ما وصل منها الينا ليس إلا قطعاً مشتتة لا يتأتى تأليف كتاب واحد منها . وأهم مجموعة وصلت اليها هو « كتاب الموتى » المشتمل على معتقداتهم وأخبار آلهتهم ومواعظهم وزواجهم

اللغة المصرية  
وآدابها

### ﴿ العادات والأخلاق ﴾

وصل اليها كثير من عادات قدماء المصريين من أشهرها :  
انهم كانوا يتوارثون الحِرَف والصناعات ، ويتناولون ما يتقى المعدة كل شهر ، ويتزوجون بالأخت ، ويرمون فتاة مزينة في النيل قرب مدة فيضانه قرباناً له ، فأبطل عمرو بن العاص هذه العادة ، ويجمعون بين التمتع بطيب العيش والتخشن فيه ، وينهون عن الانهماك في الترف

ومن عاداتهم صنيع الولا ثم في المواسم والأعياد ونحوها في وقت الظهر، حب الموسيقى فيحضرها الرجال والنساء، فيأكلون ويشربون على سماع الموسيقى وغناء الرجال والنساء، ثم يدخل الراقصون والراقصات فتعزف الموسيقى ويصحبها تصفيق الأيدي حتى ينتهي الرقص

وكان المصريون في حياتهم المنزلية يميلون إلى التمتع بالطعام الجيد، المبيشة المنزلية وإلى فرش منازلهم بالأمعة الثمينة وترتيبها على أحسن نظام. وكان أكثر المصريون يخلقون لحام وشواربهم، وربما أبقى الملك أو العظيم عثنوناً في ذقنه. وكانت الملوك والأشراف يزينون بالشعور المستعارة ويُعنون بترجيلها وتجعيدها. ومن العامة من يخلق رأسه ويلبس قلنسوة، ومن يرسل شعره على كتفيه

أما أخلاقهم فيُستدل من كلماتهم المأثورة « أن أحسن الرجال في نظرهم من كان قوى الجأش والإرادة، مستقيماً، محترماً لنفسه، محتنباً أخلاء السوء، نشيطاً، صادقاً لا يعرف الغش ولا النويه، حازماً، متبصراً حافظاً لكرامة نفسه بلا تكبر ولا تعاضم ». وكانوا يميلون إلى الثقة بأنفسهم، وحب أعظم الرجال وتقليدهم، ويمقتون الحسد بوجه خاص

### ﴿ التربية والتعليم ﴾

كانت الأمهات يقمن بأمر تربية الأطفال، فإذا شبوا أرسلوا إلى الأساتذة ليتعلموا ما اختير لهم من صناعة أو علم. ومما أثر عنهم قولهم للصبي: « انصرف إلى العلم وأحبه كما تحب أمك، إذ لا شيء أئمن من العلم. ولا تصرف يوماً في اللهو والكسل وإلا ضربت بالسوط ». وقولهم: بعض نصاب للاطفال

« لا تنسَ احترام من هم أسنُّ منك أو أكبر منزلةً ، ولا تجلس وهم واقفون ،  
وكان أبناء الملوك والأمراء والأشراف يُعلِّمون في مدارس تُنشأ في  
منازلهم ، ويضم إليهم من في سنهم من أبناء خواصهم

قيمة المرأة عند  
المصريين

وكان للمرأة من العناية والتعليم والحقوق ما للرجل تقريباً : بدليل  
ان منهن من شغلن المناصب العامة وتولين الملك

الالعاب الرياضية

وكان المصريون لا يهتمون أمر الرياضة البدنية . فكانت الكرة  
يلعبها الصغار والكبار ، وكان للصغار ألعاب أخرى منتظمة ، كما كان  
الكبار يحبون الصيد والقنص والمصارعة ، التي نرى منها نموذجاً بديعاً على  
مقابر بني حسن

### ﴿ الحكومة وحالة السكان ﴾

كانت الحكومة المصرية القديمة في جميع أطوارها ملكية غير  
دستورية . وكان الملك فيها ممجداً محبوباً ، تعتقد الأمة أنه الواسطة بينها  
وبين الآلهة . وهو القابض على كل شيء : فهو الذي يبدع التشريع والقضاء  
وهو الذي يضرب الضرائب فيفرض منها ما شاء ( وذلك مخالف بالمرّة  
لشكل الحكومة عند الإغريق والرومان ) . وكان يتخير له من بين رجاله  
وزيراً يكل إليه الإشراف على جميع مصالحه ودواوينه

وقد تخللت تلك الآلاف من السنين فترات كاد الأمراء والأشراف  
فيها يسلبون الملك بعض سلطته ، كما رأينا عند الكلام على العهد

---

\* من ذلك أن « نيتوكريس » و « حتشبسوت » جلستا على سرير الملك وان  
امرأة أخرى تقلدت منصب رياسة كهنة « أمون » في أيام النهضة المصرية

الإقطاعي، ولكن انتهى الأمر باسترداد الملك سلطته فصار كما كان :  
الملك المملوك

أما سكان البلاد فكانوا على عدة طبقات : الأولى طبقة الأشراف، طبقات السكان وهم الذين كان يقدم الملك مناصب الحكومة، وكانوا يعيشون في سعة وبذخ، ولبعضهم من القصور والخدم والحاشية ما يضارع به الملك. وأما الطبقة الوسطى فكانت في العصور الأولى مكونة من الصناع، كالصاغة والزجاجين وغيرهم. وفي عهد الدولتين الوسطى والحديثة زاد عدد هذه الطبقة وكثرت ثروتها ودخلت فيها طائفة الكتبة. وأما الطبقة الدنيا فكانت أشبه بالموالي في البلاد، مع أنهم هم المولدون فعلاً لثروة الأمة والبناء الحقيقيون لأهرامها. على أنه لم يكن هناك فاصل مانع بين هذه الطبقات، فكثيراً ما كانت تتدرج الأفراد من طبقة إلى أخرى، وقد حدث أن رجلاً من غير حملة الألقاب تدرج حتى تولى عرش الملك. وفي عهد الدولة الحديثة دخل عدد كبير من الطبقة الوسطى في الجيش، فاكسبوا لأنفسهم مالا وجاهاً عظيمين، وكونوا منهم أسر شريفة

### ﴿ الديانة ﴾

تنوعت ديانة قدماء المصريين على طول السنين، فكانوا في أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد عظيم حتى باق، ورمزت له كل قبيلة بمرمز خاص، ثم رمزوا لصفات هذا الإله الواحد برموز صارت بعدئذٍ معبودات. ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير في حياتهم، كالشمس والقمر والأرض والنيل، ورمزوا لصفات كل منها بأشكال خاصة صارت معبودات

تاريخ (٨)

أيضاً ، حتى نسوا التوحيد وصار قاصراً على الكهنة . ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان . فبعد كل قوم ما رأوا أن روح الإله حلت فيه كالقط والكاب والتمساح ونوع من العجول يسمى « أيس » وهو أهم معبوداتهم الحيوانية\*

وكان لكل من هذه المعبودات منزلة أكبر في بعض الجهات منها في غيرها . وكثيراً ما حدثت فتن ومشاحنات بين سكان الجهات بسبب تفضيل بعض هذه المعبودات على بعض . وأكبر المعبودات في الجملة ما كان مقره حاضرة الملك

وكانوا يصورون هذه الآلهة بصور مختلفة . منها ذات الرؤس البشرية ومنها ما رأسه رأس بهيمة ، وما رأسه رأس طير ويلقبونها بأسماء مختلفة منها « فتاح » للإله الأعظم ، و « رَع » و « أمون » للإله الشمس و « أوزيريس » للشمس عند الظلام . وجعلوا لكل منها معابد وأوثاناً خاصة . وكان أهم معبد لرع بمدينة « أون » ( عين شمس ) ، كما كانت « طيبة » . مقر عبادة « أمون » ، و « منف » مقر عبادة « فتاح » . وكان تشييد هذه المعابد وتدوين الحوادث عليها من أكبر مطاعم الفراعنة

---

\* العجل أيس هو في اعتقادهم الحيوان الذي تمثل فيه المعبود « فتاح » وكانوا يختارونه من بين مولودات البقر باجتماع عدة أوصاف فيه كسواد جلده ووجود شامة بيضاء مثلثة الشكل على جبهته . وكان يوم الاهتداء اليه يوم سرور عام ، كما كان يوم موته ابتداء حزن عام يستمر الى العشر على عجل آخر فيه جميع الصفات المطلوبة . وكانوا يحتفلون بدفنه احتفالاً عظيماً ، ولهذا العجول مقبرة هائلة ما زالت تشهد بسقارة الى الآن

ومفاخرهم . وكان قدماء المصريين شديدي التمسك بدينهم : يعتقدون بعث  
الأجسام بعينها ، ولذلك بالغوا في تحنيط أجساد موتاهم وحفظها في مقابر  
منيفة . ويرجون الثواب ، ويخشون العقاب في اليوم الآخر ، فكان للدين  
تأثير شديد في عاداتهم وأخلاقهم وعلمهم ومبانيهم وصناعاتهم . ومن اهتمامهم  
العظيم بالدين وأمر الآخرة أن صار أكبر رغبة لأي شخص منهم أن  
يُحتفل بدفنه احتفالاً عظيماً

١٩٢٠ - ٢ - ٢

## الفصل الحادي عشر

### كلمة في الفينيقيين

الفينيقيون أمة سامية قديمة كانت تنزل ساحل الشام من سفح  
لبنان الى البحر الأبيض المتوسط . وقد ابتدأ ظهور مدينتهم في عهد الدولة  
الوسطى من قدماء المصريين

مواقفة البلاد  
الفيقية للتجارة

ولما كانت بلادهم وسطاً بين الشرق والغرب وشواطئها كثيرة  
الفرص والمرافئ الصالحة لرؤس السفن وانشاء المواني التجارية ، انتفع  
الفينيقيون بهذه المزايا ، فتقدموا في التجارة والملاحة حتى فاقوا غيرهم  
فيهما . ولما ضاقت بلادهم اضطروا الى الهجرة الى غيرها ، فانشئوا لهم  
مستعمرات عديدة في الممالك التي يعاملونها ، غير ناظرين إلى امتلاكها  
السياسي والحربي ، بل ينزلونها بالاتفاق مع أهلها مسألة ، فكانت  
أشبه بأسواق ومحطات تجارية منها بملكات خارجية . ولشدة عنايتهم  
بالتجارة لم يهتموا بحالتهم الحربية أو السياسية ، فخضعوا لحكم المصريين ،



ثم الأشوريين والبابليين ، ثم الفرس ، ومن بعدهم اليونان ، ثم الرومان  
ولم تكن « فينيقية » مع صغر حجمها خاضعة لحكومة واحدة بل  
كانت كل مدينة بضواحيها وقراها حكومة صغيرة قائمة بذاتها . وكثيراً  
ما كانت تلك المدن تعترف بالزعامة لأقواها . وقد تولى هذه الزعامة  
بالتناوب مدينتان عظيمتان : « صيدا » ، ثم « صور » . وبذلك كان  
تاريخ عظمتهم يرجع الى عهدين : العهد الصيداوي ( ٢٢٠٠ - ١٢٠٠ )  
وفيه احتكروا تجارة المشرق برّاً وبحراً الى سنة ١٥٠٠ ق . م ، ثم نافسهم  
اليونان في بحر الأرخيل وأجلوم عن جزائره وكثير من مستعمراتهم  
الشرقية ، فاتهمز الفلسطينيون فرصة ضعفهم فاستولوا على مدينتهم « صيدا »  
وخرّبوها ، والعهد السوري ( ١٢٠٠ - ٥٧٤ ق . م ) وفيه خلفت « صور »  
صيда ، إلا أنهم حولوا وجهتهم التجارية إلى الغرب حتى جزائر برطانية  
الى أن أخضعهم الأشوريون ثم البابليون تحت قيادة بُخْتَنَصْر ، ثم الفرس  
ثم الاسكندر ، ثم البطالسة وعلى أيدي هؤلاء انتهى تاريخهم من سورية  
وتجدد في افريقية

وجود عدة  
حكومات صغيرة  
فينيقية

أهم المدن  
الفييقية

### ﴿ الفينيقيون والتجارة ﴾

كان الفينيقيون يسلكون مشارق الأرض ومغارها برّاً وبحراً  
إلى جميع الأمكنة التي يمكنهم أن يتجروا فيها . فكانت قوافلهم تصل الى  
أشور وإلى بلاد العرب ومصر ، وسفنهم لا ينافسها في التجول في البحار  
سوى سفن « قرطاجنة » التي هي احدى مستعمراتهم المستقلة بذاتها .  
فكانوا يتاجرون شرقاً مع الهند ، وغرباً مع اسبانيا وبرطانية ، بل مع

بعض الجهات التي على شواطئ البحر الباطني . وقد سبق في الكلام على مصر ذكر طوافهم باسطولهم حول سواحل افريقية ، فهم بذلك أقدم أم الأرض البحرية التجارية . وكانوا يتجرون بحاصلات بلادهم وحاصلات جميع البلاد التي يذهبون إليها . فكانوا يجلبون إلى فينيقية التوابل والافاويه والصمغ من بلاد العرب ، والعاج والآبنوس والمنسوجات من الهند ، وخيوط الكتان والغلال من مصر ، والصوف والخمر من دمشق ، والأقمشة المطرزة من بابل ونيوى ، والفخار من بلاد اليونان ، والخليل والمعجلات من أرمينية ، والنحاس من شواطئ البحر الاسود ، والرصاص من اسبانيا والقصدير من جنوب برطانية ، ثم يرسلونها إلى البلاد التي تطلبها مع ما اشتهرت به فينيقية ذاتها من الحاصلات ، وخصوصاً الأصباغ وخشب الأرز والزجاج

انجار الفينيقيين  
في حاصلاتهم  
وحاصلات غيرهم

المستعمرات  
البينيقية

وهذه التجارة الواسعة دعت الفينيقيين كما قدمنا الى اتخاذ أنزال عديدة لهم في جهات مختلفة ، كقبرس وروودس وجزائر بحر الأرخيبيل وصقلية وجزائر البليار وكيبكيا ( في الجنوب الشرقى من آسيا الصغرى ) وبعض جهات اسبانيا ، وأم ذلك جميعاً « قرطاجنة » التي أسسوها في شمالي افريقية على مقربة من تونس الحالية في القرن التاسع ق . م . ولقد تقدمت هذه المدينة تقدماً عظيماً فيما بعد وصارت حاضرة لمملكة عظيمة ، نافست الرومان زمناً طويلاً . وسيأتى ذكرها عند الكلام على الرومان

### ﴿ الفينيقيون والمدنية ﴾

كان الفينيقيون على جانب عظيم من الإقدام والنشاط ، ف ضربوا  
بسهم وافر في التجارة والملاحة ، وقد سبق الكلام عليهما . وكانت لهم أيضاً  
شهرة دائمة في بعض الصناعات كالتعمدين والصباغة والحياكة والتطريز  
وتركيب الأصباغ وعمل الزجاج وبناء السفن . غير أنهم لم يكن لهم باع  
طويل في استنباط قواعد العلوم والمعارف ، وإن كانوا قد خدموا الحضارة  
بنقلهم آراء بعض الأمم وعلومها الى بعض

وأعظم خدمة خدمها الفينيقيون للعلم والمدنية نشرهم الحروف الهجائية  
بين الأمم . ولم يُعرف بعدد بالجزم عن نقلوا تلك الحروف ، ورأى بعض  
المؤرخين أنهم نقلوها عن المصريين . على أنهم استخدموا في حُسابهم  
حروفاً علموها للإغريق ، ومن هؤلاء انتشرت في الأمم الأوربية الأخرى  
مع تعديل قليل

نشر الفينيقيين  
للحروف  
الهجائية

ملخص

أهم الحوادث التاريخية في عهد الفراعنة

البلاد الأجنبية	التاريخ ق م	مهم
	٤٢٤١	ابتداء استعمال التقويم ( أول تاريخ معروف في تاريخ العالم )
	٤٠٠٠	العهد الذي لا شك في وجود حضارة فيه بمصر السفلى والعليا
	٣٤٠٠	ابتداء حكم « مينا » وتوحيد مملكتي الشمال والجنوب
	٣٤٠٠ - ٢٩٨٠	الأسرتان الأولى والثانية - مدة حكمهما ٤٢٠ سنة ومقر ملكهما « طبنة » - مقارهما بحمة ايدوس - استخراج المعادن من شبه جزيرة سيناء
	٢٩٨٠ - ٢٩٠٠	الأسرة الثالثة - مدة حكمها ٨٠ سنة ومقر ملكها « منف » - « بنى « زوسر » هرم سقارة المدرج - أرسل « اسنفرو » أسطولاً الى لبنان
	٢٩٠٠ - ٢٧٥٠	الأسرة الرابعة - مدة حكمها ١٥٠ سنة ومقر ملكها « منف » على الأرجح - آثارها : أهرام الجيزة وأبي رواش
	٢٩٠٠ - ٢٨٧٧	أهم ملوكها : خوفو باني الهرم الأكبر بالجيزة
	٢٨٦٩ - ٢٧٧٤	{ خفرع « الثاني » منفرع « الصغير »
	٢٧٥٠ - ٢٦٢٥	ازدياد نفوذ كهنة « رع » بين شمس الأسرة الخامسة - مدة حكمها ١٢٥ سنة ومقر ملكها « منف » - آثارها : أهرام بوسير وسقارة
	٢٦٥٠ - ٢٦٢٥	أهم ملوكها : أوسركاف - وصوله الى الجنادل الأولى
	٢٦٢٥ - ٢٦٠٥	سحورع - أول حملة الى بلاد « بنت » أوناس
	٢٦٠٥ - ٢٤٧٥	الأسرة السادسة - مدة حكمها ١٥٠ سنة ومقرها « منف » - آثارها : أهرام سقارة
	٢٥٩٠ - ٢٥٧٠	أهم ملوكها : مبي الأول ( خمس بمثات الى سيناء وبثثة الى فلسطين - نفوذه في شمال النوبة )
	٢٥٧٠ - ٢٥٦٦	مرزوع الأول ( قناة في الجنادل الأولى - خضوع أمراء النوبة )
	٢٥٦٦ - ٢٤٧٦	مبي الثاني ( أطول حكم في التاريخ - فتوة في شمال النوبة - علاقات تجارية مع السودان وبلاد بنت ولبنان وجزائر بحر ايجة

البلاد الأجنبية	التاريخ ق. م	مصر
	٢١٦٥ - ٢١٦٠	الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر - اضطراب واضمحلال في عهد ملوك ضعفاء - ابتداء نمو « طيبة »
قيام دولة آشور ظهور أول أسرة من ملوك بابل	٢١٦٠ - ٢٠٠٠	الأسرة الحادية عشرة - مدة حكمها ١٦٠ سنة ومقرها « طيبة » استوت على القوة شيئاً فشيئاً خصوصاً في عهد « سنفرع منتوحتب » وهو آخر ملوكها
ارتقاء دولة بابل وجود ميناء فيذيقي عظيم	٢٠٠٠ - ١٧٨٨	الأسرة الثانية عشرة - مدة حكمها ٢١٣ سنة ومقرها « لشت » ومدينة بالفيوم
	٢٠٠٠ - ١٩٧٠	أهم ملوكها: (١) امنمحت الأول ( بلوغ نظام الاقطاع أكل الدرجات - هرم بجهة لشت )
« حوراني » ملك بابل (١٩٠٠)	١٩٨٠ - ١٩٣٥	(٢) أسرتسن الأول ( غزو بلاد الكوش - هرم بجهة لشت )
	١٩٣٨ - ١٩٠٣	(٣) امنمحت الثاني ( هرم بجهة دهشور ) تقدمت البلاد
	١٩٠٦ - ١٨٨٧	(٤) أسرتسن الثاني ( هرم بجهة اللاهون ) تقدماً عظيماً
	١٨٨٧ - ١٨٤٩	(٥) أسرتسن الثالث ( فتاة جديدة في الجنادل الاولى - اخضاع بلاد النوبة الى الجنادل الثانية - غزوة في الشام - اضمحلال قوة أمراء الاقاليم - أقدم شيء وصل اليها من الادبيات المصرية . كتاب الموتى - هرم بجهة دهشور )
	١٨٤٩ - ١٨٠١	(٦) امنمحت الثالث ( نمو كبير في موارد الثروة - تنظيم النيل - قصر لارنت - انشاء أراض بالفيوم - هرم بجهة دهشور )
محاربة الحثيين ملك بابل وغزوهم بلادهم	١٧٩٢ - ١٨٠١	(٧) امنمحت الرابع ( اضمحلال الدولة الملكة سيكمرورع ) الوسطى وسقوطها
	١٧٨٨ - ١٥٨٠	من الأسرة الثالثة عشرة الى السابعة عشرة - مدتها ٢٠٨ سنوات - اضطراب كبير وحروب داخلية - مدة حكم الهكسوس ( ١٦٧٥ - ١٥٨٠ ق. م ) تقريباً
اضمحلال دولتي آشور وبابل	١٥٨٠ - ١٣٥٠	الأسرة الثامنة عشرة - مدة حكمها ٢٣٠ سنة ومقرها « طيبة »

وضع هذه العلامة قبل اسم الملك يدل على أن جثته الآن بدار الآثار المصرية

البلاد الأجنبية	التاريخ ق . م	مصر
خضوع غربي سورية لمصر	١٥٨٠ - ١٥٥٧	أهم ملوكها : * أحس الأول ( طرد الهكسوس حوالي ١٥٨٠ واستنصل شأمة الملك من الامراء وارجاع الأراضي الى الملك - أول جيش قائم - غزوة بالشام )
	١٥٥٧ - ١٥٠١	* أمنحتب الاول ( غزوة بالشام ) * تحتمس الاول ( غزو بلاد السكوش والشام الى وادي الفرات )
تحالف الحثيين	١٥٠١ - ١٤٤٧	تحتمس الثالث وحتشبسوت ( تشييد مبان عظيمة - أرسلت الملكة بعثة الى بلاد بنت )
الحيثيون والاشوريون والبابليون يملكون ولائهم لتحتمس الثالث - زهاء المواني الفينيقية	١٤٤٧ - ١٤١٩	تحتمس الثالث وحده ( ١٧ غزوة بآسيا من ١٤٧٩ الى ١٤٥٩ ق . م - قهر ملك قادش ومد أملاك الدولة من وادي الفرات الى الجبال الرابعة - نمو الاسطول المهرى - انشاء مبان عظيمة بالكرنك - ازدياد عظيم في ثروة البلاد )
	١٤٤٨ - ١٤٢٠	أمنحتب الثاني ( حفظ كيان الدولة )
	١٤٢٠ - ١٤١١	* تحتمس الرابع ( * * * )
	١٤١١ - ١٣٧٥	* أمنحتب الثالث ( أزهى عصور الدولة الحديثة - بلوغ طيبة « أعظم مبلغ من الفخامة - انشاء معابد هائلة - خطابات تل العمارنة - ابتداء هجرة الأجناس السامية الى الشام وفلسطين - اغارة الحثيين على شمالي الشام )
	١٣٧٥ - ١٣٥٨	اخناتون ( انقلاب ديني ونشر مذهب التوحيد - هجر « طيبة » وانشاء « اخناتون » ( تل العمارنة ) - خطابات تل العمارنة - غزو الأجناس السامية لمعظم الشام وفلسطين - انحلال أملاك الدولة في آسيا - خلل عام وسقوط الأسرة الثامنة عشرة )
	١٣٥٠ - ١٣٠٥	الأسرة التاسعة عشرة - مدة حكمها ١٤٥ سنة ومقرها « مدينة رمسيس »
	١٣٠٥ - ١٣١٥	أهم ملوكها : حرمحب ( الرجوع الى الديانة القديمة وعبادة

البلاد الأجنبية	التاريخ ق. م	مصر
		« أمون » - إعادة تنظيم الحكومة ( رمسيس الأول ) بدء البهو العظيم بالكرنك ( سبتى الأول ) استرجاع فلسطين - استمرار في تشييد البهو العظيم - استخراج الذهب من مناجم النوبة ( من مناجم النوبة )
ازدياد نفوذ الحثيين في الشام	١٣١٥ - ١٣١٤ ١٣١٣ - ١٢٩٢	« رمسيس الثاني ( حروب في آسيا خصوصاً مع الحثيين من ١٢٨٨ الى ١٢٧١ ) - أعظم البهو العظيم بالكرنك - مبان هائلة في جميع أنحاء البلاد ( مناجم النوبة )
تأهب اللويين لزحف على شمال مصر	١٢٢٥ - ١٢١٥ ١٢١٥ - ١٢٠٩	« منفتاح ( غزوة في الشام - قهر اللويين ) « سبتى الثاني ( اخراج بني اسرائيل من مصر ) «
	١٢٠٠ - ١٠٩٠	الأسرة العشرون - مدة حكمها ١١٠ سنة ومقرها « مدينة رمسيس »
زحف « سكان البحر » على الشام وقهرهم الحثيين	١١٩٨ - ١١٦٧	أهم ملوكها: « رمسيس الثالث ( ٤ حروب مع اللويين وسكان البحر في سنة ٨ و ١١ و ١٣ من حكمه - ازدياد نفوذ الكهنة
استمرار زحف اللويين شرقاً	١٠٩٠ - ٩٤٥	الأسرة الحادية والعشرون - مدة حكمها ١٤٥ سنة ومقرها « تبتيس » - اشتراك الكهنة وأمراء تبتيس في الحكم
	٩٤٥ - ٧٢٢	عهد اللويين
	٩٤٥ - ٧٤٥	الأسرة الثانية والعشرون - مدة حكمها ٢٠٠ سنة ومقرها « بوسطة » - قيام دولة مستقلة بالنوبة في آخر هذا العهد
اتساع نطاق مملكة آشور غرباً حتى وصلت الى البحر الأبيض المتوسط - حكم آشور آخى الدين ( ٦٨١ - ٦٦٨ ) واتساع دولة آشور اتساعاً سريعاً	٧١٨ - ٧٤٥ ٦٦١ - ٧٢٢	الأسرة الثالثة والعشرون - مدة حكمها ٢٧ سنة ومقرها « بوسطة »
	٧٢٢ - ٧٢١	عهد الآتيويين والآشوريين
	٧٢١	استيلاء « منخى » الآتيويي على الوجه القبلي - اضمحلال أمير بوسطة وظهور أمير « سايس » ( صا الحجر ) - خضوع الجميع للآتيويين
	٧١٨ - ٧١٢	الأسرة الرابعة والعشرون - أسسها أمير « صا الحجر » بعد انجلاء الآتيويين - تولى ملكها ملك واحد ٦ سنوات بمدينة صا الحجر ثم عاد الآتيوييون وأبادوها
	٧١٢ - ٦٦٣	الأسرة الخامسة والعشرون ( آتيوية ) - مدة حكمها ٥٠ سنة

البلاد الأجنبية	التاريخ ق م	مصر
حكم آشور بانيبال ملك آشور ( ٦٦٨ — ٦٢٦ )		ومقرها « نباتا » — دخول « آشور أخى الدين » ملك أشور ( مصر ( ٦٧٠ ) — رجوع الآشوريين وابدانهم الحامية الاشورية ( ٦٦٣ ) — استيلاء الآشوريين على البلاد ثانية وطردهم الآشوريين نهائياً ( ٦٦١ — ٦٥٤ )
حكم « نبوبولسار » ملك بابل ( ٦٢٦ — ٦٠٥ )	٥٢٥ — ٦٦٠	<u>النهضة المصرية</u>
سقوط دولة آشور ( ٦٠٨ ) — ( ٦٠٦ )	٥٢٥ — ٦٦٠	الاسرة السادسة والعشرون — مدة حكمها ١٣٨ سنة ومقرها « سايس »
استقلال دولة بابل ٦٠٦	٦٠٩ — ٦٦٣	أهم ملوكها: (١) ابسمتيك الاول ( أقام مدة تحت حماية الاشوريين — عهد نهضة عظيمة ورقى — استيطان الاغريق بمصر )
حكم بختنصر ملك بابل ( ٦٠٥ )	٥٩٣ — ٦٠٩	(٢) نحاو ( محاولة البابليين الاستيلاء على مصر وقصر « بختنصر » نحاو بجبهة قرقيش ( ٦٠٥ ) — ضياع الشام من يد المصريين — الطواف حول افريقية )
لدولة الفرس ( ٥٥٠ ق م ) — تأسيس كورش — حضور صولون المشرع الاغريق الى مصر	٥٢٥ — ٥٦٩	(٣) أحس ( عصر زهاء ورقى — ازدياد استيطان الاغريق بمصر — تنقيح القوانين المصرية )
	٥٢٥	(٤) ابسمتيك الثالث — حكم بضعة أشهر ثم دخل الفرس مصر

—:—



# الباب الثاني

## عهد الاغريق والرومان

### الفصل الاول

#### كلمة في الاغريق

وحروبهم مع الفرس

أمة الإغريق أقدم أم أوروبا حضارة؛ ومن حضارتهم أخذت أوروبا كثيراً من أصول مدنيّتها الحاضرة . وأقدم ما يُعرف من تاريخها مقتبس من أشعار « هوميروس » الشاعر الإغريقي القديم . ولا نعرف يقيناً العصر الذي وُجد فيه ذلك الشاعر الكبير، وإنما الأرجح أن العصر الذي وصفه في أشعاره، والذي عاش لا محالة زمناً منه، يمتد من سنة ١٠٠٠ الى سنة ٨٠٠ ق . م . ولا ريب أن أكثر الحوادث التي دونها في شعره خرافية، لكنها مع ذلك توقفتنا على حقائق جمة من أحوال الإغريق في تلك الأيام، فمنها أن البلاد كان يحكمها ملوك يساعدهم مجلس من الأعيان ويعرضون أحكامهم الهامة على هيئة مختارة من جميع الأمة، وأن الرجال كانوا يحترمون النساء ( وإن كانوا لم يمنحوهن الحرية التامة )، وأنه كان بالبلاد عدد عظيم من العبيد يُسخرون في أشق الأعمال، وأنه كان للإغريق معبودات عدّة

هوميروس  
الشاعر الإغريقي  
القديم

التاريخ المستمد  
من شعر  
هوميروس

تمثل القوى الطبيعية . وكان القوم في تلك الأيام يُعجبون بالحرية والجمال  
وأصالة الرأي

وبعد أن انقضى عصر « هوميروس » جاء عصر مظلم لا نعرف عنه  
شيئاً ولا نسمع فيه لبلاد الإغريق ذكراً في التاريخ حتى سنة ٦٠٠ ق م .  
وفي هذا العهد الجديد تراها مغايرة في كثير من الوجوه لما كانت عليه في  
العهد الهوميروى . فتأخرت حالة المدن العظيمة وأصبحت قرى صغيرة ،  
ودخلت البلاد شعوب جديدة ، وفنى جانب كبير من فروسية تلك الأيام  
الأولى . ونذكر الآن شيئاً من حالة بلاد الإغريق منذ ابتداء التاريخ  
الصحيح فنقول :

ابتداء التاريخ  
الإغريق  
الصحيح

كانت بلاد الإغريق في أول الأمر عبارة عن ولايات عديدة منفصل  
بعضها عن بعض بلا علاقة سياسية تربطها . ولما كانت البلاد جبلية ،  
تقسمها الجبال الشاهقة الى وديان كثيرة ، تكونت فيها بالطبع عدة ولايات  
بقيت بسبب هذه الجبال وصعوبة المواصلات متقاطعة مدة طويلة . ولم  
يكن ما يسمى ببلاد الإغريق قاصراً على شبه جزيرة اليونان ، بل كانت  
تشمئ أيضاً على نواح كبيرة من ايطاليا وجزيرة صقلية وآسيا الصغرى .  
فكلما حل الإغريق بأرض جال بفكرهم أنها جزء من بلادهم ، وأينما ذهبوا  
كوّنوا لهم ولاية مستقلة حول كل مدينة كبيرة أو صغيرة . وكانت لتلك  
المدن حكومات وجيوش قائمة بذاتها ، وكثيراً ما كانت تضرب كل ولاية  
تقوداً لها مغايرة لتقود الأخرى

وجود عدة  
ولايات متقاطعة  
في بلاد الإغريق

أما نظام الحكومة في هذا العهد الجديد فقد تغير نوعاً ما عن نظيره  
في عصر هوميروس ، فأصبحت « إسبرطة » وحدها تقريباً هي الولاية التي

بقيت فيها الحكومة الملكية، وكان فيها دائماً حاكماً . وأما الولايات  
الأخرى فبعضها كان يحكمها عدد من الأعيان وبعضها كانت القوة فيها  
للأمة . ولم تتغير الحالة الاجتماعية كثيراً عن عهد « هوميروس » ، فلم يزل  
مركز المرأة مستقلاً، والزق مباحاً، حتى أنه في بعض المدن الكبيرة مثل  
« أثينا » و « كورنثة » كان عدد الأرقاء أكثر من عدد الأحرار

وبقيت المعبودات كما هي منذ أيام هوميروس . وكان للإغريق عدة  
أماكن يؤمنونها من جميع الولايات لمناجاة الآلهة واستفتائها، وأهمها معبد  
« أبولون بجمة » « دلفي » على سفح جبل « برناتيس » ، فكان اجتماعهم  
هذا بمثابة رابطة تربط جميع الإغريق، ولذا سُموه بالجامعة الهلانية نسبة  
إلى الهلانيين « أو » الإغريق «

ومن الروابط الأخرى التي كانت تربطهم « الألعاب الأولمبية » ،  
وهي ألعاب رياضية كانوا يعتقدون لها حفلة كل أربع سنوات بأرض  
« أولبيا » بمقاطعة « بلوبونيز » تكريماً للمعبود « زيوس » وهو أشهر  
معبوداتهم

### ﴿ ولايات بلاد الإغريق ﴾

الولايات الشهيرة التي كانت تتألف منها بلاد الإغريق الأصلية هي:

( ١ ) « إسبرطة » و « أرجوس » و « مسينية » بالجزء الجنوبي، وكانت

تسمى « بلوبونيز » ( مورة )

( ٢ ) « كورنثة » على برزخ كورنثة

« ويسمى أيضاً « زفس » .

( ح ) « أثينا » و « طيبة » في الجزء الأوسط من شبه الجزيرة

وكانت « اسبرطة » أم ولايات بلوبونيز، وكانت أم عنايتها موجهة الى الأمور الحربية، ولولا نبوغها في ذلك لما أمكنها المحافظة على بسط كلمتها على الولايات المجاورة لها التي خضعت لسلطانها . ولم تكن اسبرطة أقوى ولاية حربية في بلوبونيز فقط، بل فافت أيضاً جميع ولايات الإغريق الأخرى ، والفضل في ذلك لنظامها العسكري الذي لا يفرق بين السلم والحرب من حيث تعليم الجند وتمرينهم . وأول من خط للإسبرطيين هذه

الخطبة « ليكرغ » ، وهو رجل حكيم عاش في القرن الثامن قبل الميلاد

وكان أجل عمل في حياة كل رجل سليم البنية منهم اعداد نفسه

للأعمال العسكرية ، فيعيشون عيشة خشنة ، ولا يفترون عن القيام بالألعاب الرياضية التي من شأنها اعدادهم لتأدية واجبهم الحربي الذي يشعرون به

أما « أثينا » فلم تُعَنَ بالأمور الحربية الى هذا الحد ، ولكنها استعاضت من ذلك الالتفات الى الوسائل الأخرى الداعية الى الحضارة العالية والرقى الأدبي العظيم

وكانت « أثينا » في أول أمرها يحكمها ملك ، فلم يدم ذلك فيها كما لم يدم في غيرها ، ووقعت السلطة في أيدي الأعيان ، وما زالوا يجمعون السلطة في أيديهم حتى وصل إرهابهم الأمة الى حد لا يطاق . فهموا بأن ينالوا حقوقهم بالقوة ، ولم يلبثوا أن ظهر فيهم المشرع العظيم « صولون » ، فسن في أوائل القرن السادس قبل الميلاد ( سنة ٥٩٤ ق . م . ) قوانين جديدة للحكومة قلَّ بها من استبداد الأعيان ، وان لم يسلبهم جميع نفوذهم

اسبرطة

ليكرغ

اهتمام اسبرطة بالأمور الحربية

أثينا

صولون

وكان المبدأ الذي جعله نصب عينيه أن يكون معظم السلطة في أيدي أصحاب المصالح الحقيقية الذين يفقدون شيئاً عند الانقلابات العظيمة . وقد سن صولون قوانين أخرى غير الخاصة بنظام الحكومة . فسن قوانين خاصة بالحياة والحقوق الشخصية والزواج والرزق وغير ذلك . وقد قدم الى مصر في أيام أمّس الثاني ، فيقال إنه اقتبس شيئاً من قوانينها ولم يستمر هذا النظام طويلاً بسبب سخط بعض الطبقات ، فالتفوا حول أحد الزعماء المدعو « بيزتيرات » وجعلوه ملكاً مستبدّاً بالسلطة . فعدل في حكمه ، وجمع حوله الأدباء والعلماء وعاضدهم ، ووسع مدينة أثينا وزاد في جمالها ، ولكنه سلب جانباً عظيماً من حرية الشعب تخلموه . ولما تولى ابنه « هيبياس » ثار به أهل أثينا وطرده منها

### ﴿ علاقة فارس بالولايات الإغريقية ﴾

( الحروب الفارسية )

علمنا فيما سبق كيف أسس « كورش » مملكة فارسية عظيمة ، وكيف وسع نطاقها « دارا » الأول الذي تولى الملك في سنة ٥٢١ ق . م . وقد كان للإغريق اذ ذاك عدة مدن على شواطئ آسيا الصغرى تغلب عليها ملك « ليديا » . فلما خضع هذا لحكم الفرس أصبحت تلك المدن الإغريقية خاضعة أيضاً لفارس ، وما لبثت هذه المدن طويلاً حتى شمرت بظلم الفرس ، فتألبت كلها وشقت عصا الطاعة على فارس في سنة ٥٠٠ ق . م . فأرسل أهل أثينا السفن والجيوش لمساعدة اخوانهم الإغريق ، وتمكنت الأحزاب من إحراق « سارّدة » عاصمة بلاد ليديا سنة ٤٩٩ ق . م .

استيلاء الفرس  
على المدن  
الإغريقية بآسيا  
الصغرى

وبعد ان استمر القتال ست سنوات أخذ « دارا » الفتنة ، ثم تمكن من  
غزو شاطىء ( إيونيا ) بأكمله . ثم نهض الى معاقبة أهل أثينا على تدخلهم  
بين دولته العظيمة وبين من خرج عليها من رعاياها ، وعلى ذلك ابتدأت  
الحروب بين الفرس والإغريق . فأرسل الفرس جيشاً الى بلاد الإغريق  
في سنة ٤٩٢ ق . م ، ففشلوا وانهزمت جيوشهم براً وعبثت بسفنهم  
العواصف في بحر إيجه

وبعد ذلك بسنتين ، أى في سنة ٤٩٠ ق . م ، أرسل الفرس جيشاً  
آخر أقوى من الأول ، وأنزل الأسطول الفارسي جيوشه بالقرب من  
« مرثون » في الجهة الشرقية من مقاطعة « أتیکا » بقصد الزحف على  
أثينا . ولكن الجيش الأثيني مع عدد قليل من رجال « بلاتي » ( احدى  
المدن الصغيرة المجاورة لأثينا ) وبقيادة « ملبتياديس » قابل الجيش الفارسي  
في « مرثون » وهزمه شر هزيمة على كبر عدده ، فكانت لهذه المعركة  
أكبر تأثير في تاريخ أثينا والإغريق ، بل في تاريخ الشرق والغرب ، اذ  
أخذت « أثينا » بعدئذ ترقى معارج السعادة حتى صار لها شأن أى شأن ،  
وبها سلّمت بلاد الإغريق من الوقوع في اسر الفرس

وكان في عزم « دارا » مهاجمة الإغريق مرة أخرى ، لولا أن لحقته  
منيته في سنة ٤٨٥ ق . م فترك ذلك لابنه « إجزرسيس »

وكانت مصر في ذلك الوقت عمالة فارسية ، فخرجت على فارس في  
أواخر أيام « دارا » ، وبقيت الثورة قائمة حتى تولى « اجزرسيس » ، فبدأ  
باخمادها . وبعد أن تم له ذلك وجه همهته إلى غزو بلاد الإغريق

وفي سنة ٤٨٠ ق . م خرج « اجزرسيس » بنفسه ومعه جيش جرار

تاريخ ( ٩ )

لم تر الدنيا مثله من قبل، اذ كان عدده على أقل تقدير نحو ألف ألف مقاتل.  
فر هذا الجيش الكبير من آسيا الى أوروبا على قنطرة من السفن عابراً  
« هيلسبنت » ( الدردنيل ) ، ثم اخترق ولاية « طرائية » و « مقدونية »  
و « تساليا » بقصد النزول على « اتسكا » من الشمال ، حيث يمكنه دخول  
أثينا وتخريبها ، وهو غاية أمنية اجزرسيس . فلم الإغريق ان الفرس  
سيمرون من مازق « ترمويل » لأنه هو المر الظاهر الذي يمكن الجيوش  
أن تخترق الجبال منه . و ترمويل هذا ممر ضيق واقع بين جبل ( أوتيا )  
وبين المستنقعات الممتدة على شواطئ خليج « مايا » ، فاجتمع معظم  
الولايات الإغريقية تحت لواء « اسبرطة » ، ووضموها عدداً من رجالهم في  
هذا الممر لحمايته ، فأرسل اجزرسيس أقوى رجاله لسحق هذا العدد  
القليل الذي جرؤ على الوقوف في طريقه . ولكن الإغريق ( وفي مقدمتهم  
الإسبرطيون ) حاربوهم مستبسلين ، ودافعوا دفاعاً ضربت به الأمثال .  
فغار الجيش الفارسي ، ووقف بلا حراك . فبينما الفريقان على هذه الحالة  
اذ دلتهم رجل خائن من الإغريق أعمى قلبه ما أعطاه الفرس له من المال  
على طريق آخر من وراء الجبال ، فما شعر الإغريق الأوالفرس على قمة  
الجبل يزحفون عليهم . وعند ذلك أمر ملك اسبرطة الذي كان يقود الجيش  
الإغريقي بان يبق مع الاسبرطيون ، وأن يتراجع رجال الولايات الأخرى  
لحماية « أثينا » . وهنا حارب الاسبرطيون ( وعددهم ٣٠٠ رجل ) بشجاعة  
أدهشت الفرس ؛ غير أن الشجاعة وحدها لا تظهر على وفرة العدد . نعم  
قاوم الاسبرطيون كل المقاومة ، وأفتوا عدداً عظيماً من الفرس ، ولكن  
ذلك لم يؤثر في جيشهم الجرار ، اذ وقفوا على بعد من الاسبرطيين وجعلوا

واقعة ترمويل

شجاعة  
الاسبرطيين

يرمونهم بالسهام وهم واقفون لا يتزعزعون حتى ماتوا عن آخرهم عدا  
واحدًا أو اثنين

وبالرغم من أن الإغريق هُزموا في هذه المعركة التي تعرف بمعركة  
« ترمويل » أظهروا للفرس أنهم رجال أشداء يموتون في سبيل الدفاع  
عن وطنهم، نخشى الفرس بأسهم، وكان لذلك تأثير كبير في المواقع التالية  
وكانت واقعة « ترمويل » في أغسطس سنة ٤٨٠ ق . م وفي أثناء  
هذه الواقعة كانت السفن الإغريقية تحارب الأسطول الفارسي على الشاطئ  
الشرقي من القسم الأوسط من بلاد الإغريق، فلما سمع « تيمستكليس »  
قائد الأسطول الأثيني بأن الفرس أخذوا ممر ترمويل وأنهم يزحفون على  
أثينا انحاز بأسطوله الى الجنوب حتى وصل الى خليج « سلاميس » في  
الجنوب الغربي من أثينا . ولما لم يجد « تمستكليس » سبيلاً الى مقاومة  
الفرس في أثينا نقل جميع سكانها على السفن الى جزيرة سلاميس والى  
جهات أخرى، فلما دخل الفرس في أثينا وجدوها خالية من السكان،  
فسلبوا ما فيها ثم أحرقوها

وعند ذلك التقى الأسطول الفارسي بالأسطول الإغريق بالقرب من واقعة سلاميس  
جزيرة سلاميس، وهناك تمكن الإغريق بمهارتهم وخفتهم من قهر  
الاسطول الفارسي، فحزن « اجزرسيس » لهذه الكارثة وعاد الى بلاده  
تاركاً جزءاً عظيماً من جيشه في تساليا . وكانت واقعة سلاميس في سبتمبر  
سنة ٤٨٠ ق . م

وفي سنة ٤٧٩ ق . م . حصلت معركة بين الإغريق وبين الجيش  
الفارسي الذي تركه اجزرسيس بقيادة « ماردنيوس » فقهر الإغريق الفرس  
واقعة بلاتي



واقعة ميكال في واقعة «بلاتي»، وفي اليوم عينه انتصروا عليهم براً وبحراً بجملة «ميكال» على شاطئ آسيا أمام جزيرة «ساموس» (سيدسام) فكانت هذه الوقائع الثلاث (سلاميس وبلاتي و ميكال) فاصلة بين الفريقين . ولم يقدم الفرس بعدها على غزو بلاد الاغريق ذاتها. وبعد ذلك بسنتين جلوا عن جميع المواقع التي احتلوها بجزر إيجه

### ﴿ عصر بركليس ﴾

أتى بعد واقعة «سلاميس» نصف قرن (٤٨٠ - ٤٣٠ ق. م.) كان أزهى عصر في تاريخ أثينا، لما امتاز به من تقدم العلوم والفنون والمعارف، ويمكن اعتباره من أزهى العصور في تاريخ الدنيا عامةً . ويسمى هذا العصر «عصر بركليس» نسبةً الى بركليس، ذلك السياسي العظيم الذي كان في أثنائه هو القائد لحركة الأعمال بأثينا

وُلد بركليس من أسرة كريمة، وتربى تربية حسنة . وكان خطيباً مصقفاً وقائداً عظيماً وسائساً بعيد النظر . وكان شديد الحب لبلاده، شاعراً بالواجب عليه لها، أبي النفس لا يأتي الدنيا، ولا يقصد الى شيء من غير وجوهه الشريفة

منشأ بركليس وصفاته

عرف أهل أثينا هذه الصفات العالية في بركليس، فامتلت قلوبهم بحبته . وما زالت مزاياه تزيد من نفوذه حتى صار أشبه بمنك على الرجال بدون سلطة أو حقوق وراثية

عنايته بالشعب

وكان من أجل رغباته تربية الشعب بأسره اعتقاداً بأن ذلك أهم الأسباب الداعية الى انتظام الحكومة . وكان بأثينا في ذلك الوقت مكان

يدعى « الإكليزيا » يجتمع به رجال تلك المدينة للمداولة في شؤونهم . فأباح الدخول والمناقشة فيه لجميع أفراد الشعب ، بل كان يُوجر العامة على حضوره ، وعلاوة على ذلك سمح لهم بتذاكر يدخلون بها محال التمثيل بدون ثمن ، وكانت الأساطير التي تمثل بتلك المحال من أبلغ ما يكتب معنى وأسلوباً وتتناول البحث في تاريخ الإغريق أو شؤون البلد العادية . مشاهير الرجال في عصر بركليس



( بركليس )

كتاب ومصورين ومؤلفين وغيرهم .  
والحق أن التاريخ لم يرَ عصرًا مثل  
عصر بركليس : ظهر فيه على قصره ذلك  
المدد العظيم من النباه في مكان واحد .  
ولو كان ذلك معيار الحضارة لقلنا ان  
أثينا في ذلك العصر بلغت مبلغاً من  
الحضارة لم تبلغه هي ولا غيرها في  
عصر آخر

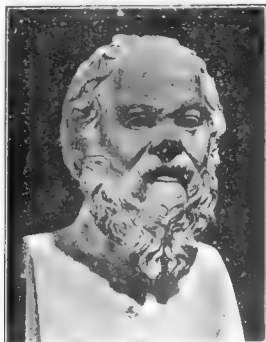
ومن أشهر مشاهير ذلك العصر

كثرة النوايا في  
عصر بركليس

« فدياس » المصور و « أوربيد » و « سُفكليس » الكاتبان للروايات  
التمثيلية و « هيرودوت » المؤرخ و « سُقراط » الفيلسوف أستاذ « أفلاطون »  
الفيلسوف اليوناني الشهير

ومعظم هؤلاء الرجال كانوا من أصدقاء بركليس . وقد كان بعض

الفضل في نفعهم لمعاشرتهم له والاستفادة من نصائحه الجميلة



(سُقراط)

جاء مبانى أثينا أراد بركليس أن يظهر عظمة أثينا للعالم، فشيّد بها المباني الشاهقة والمعابد العظيمة، وزوّج جميعها بالنقوش البديعة والتماثيل الجميلة بأيدى أمهر المصورين والنقاشين برياسة « فدياس » الأنف الذكر، وما زالت بقايا هذه النقوش والتماثيل يدرسها كبار المصورين في الوقت الحاضر وينظرون إليها كأنها غاية في بابها

ومما يؤسف له أن ذلك العصر الزاهر لم يدم طويلاً، بل انقضى بانقضاء أيام بطّله. ولا شك أن من العوامل التي ساعدت على انقضائه ما غرسه بركليس بيده من إشرائه العامة في إدارة شؤون المدينة وتسهيل

السبيل لهم الى حضور التمثيل والحفلات . فذب في نفوسهم ديب الترف والكسل ، وصاروا ينظرون الى الأشغال البدنية نظر الأنفة والازدراء . فأدى ذلك الى انحطاط الشعب ثم الى اضطراب الحكومة

### ﴿ الإسكندر الأكبر ﴾

وقته مصر

وقعت بلاد الإغريق بعد انتهاء عصر بركليس في حروب أهلية حروب بلوونيز طويلة وفتن عظيمة تعرف بحروب بلوونيز نسبةً الى شبه جزيرة بلوونيز ببلاد الإغريق ( ٤٣١ - ٤٠٤ ق . م ) ، فعاقتها عن التقدم بل هوت بها الى هوة الاضمحلال . ولكن بينا هذه الولايات مشتغلة بالحروب والقتال كانت بلاد « مقدونية » آخذة في أسباب التقدم والظهور . ومقدونية هذه هي البلاد التي في شمالي بلاد الإغريق ، وأهلها شديدو القرابة للإغريق : أقوياء الجسم عظيمو البأس . وكانوا في أول أمرهم رعاة للأغنام وزرّاعاً ، ولم يكن لهم ذكر هام في التاريخ قبل أيام « فيليب المقدوني » ( فيليبس ) . وكان هذا الملك على جانب عظيم من الذكاء وقوة الجأش : تعلم الفنون الحربية والسياسية في طيبة ، ثم عاد الى بلاده فأدخل فيها حضارة الإغريق ، واتهمز فرصة غفلة الولايات الإغريقية فهمّ ببناء دولته العظيمة

بدأ فيليب بتوسيع ملكه في الشمال ، ثم وجه همته الى الجنوب ، وائمة فيرونة فتغلب على جميع الصعاب التي اعترضته في سبيله . وباتتصاره على الإغريق في واقعة « فيرونة » سنة ٣٣٨ ق . م . خضعت له جميع ولاياتهم . ومن



ذلك الحين اندمج تاريخ الإغريق في تاريخ مقدونية

تطلب مقدونية  
على الإغريق

ولما استتب الأمر لفليب في بلاد الإغريق أراد أن يفتزو بلاد الفرس  
انتقاماً لما فعله هؤلاء بأئينا فيما مضى ، غير أن المنية حالت بينه وبين  
مآربه فقتل سنة ٣٣٦ ق . م

وتولى الملك بعد فيليب ابنه «الاسكندر» ، وكان عمره إذ ذاك عشرين  
سنة فقط . فأصغره الإغريق زعماء منهم أنه لا يمكنه على حداثة سنه ادارة  
شؤون المملكة العظيمة التي جلس على أريكنتها ، وأنه في نظرهم مثل أيه  
يميد عن الحضارة الإغريقية ، وإن رباه أبوه أحسن تربية واختار لتعليمه  
«أرسططاليس» الفيلسوف العظيم الذي كان أكبر رجال العلم في ذلك العصر  
استخف الإغريق بالإسكندر فتأروا عليه في وقت واحد ، ولكنه  
برهن لهم وللعالَم أجمع أنه أشد بأساً وأكبر بطشاً مما يظنون ، فأخذ  
ثورتهم قبل أن تستفحل ، وكانت « طيبة » زعيمة تلك الحركة فعاقبها  
أشد عقاب ، فعادت جميع الولايات الإغريقية إلى السكون ، واعترف  
أهلها للإسكندر بالسلطان على جميع بلادهم

استخفاف  
الإغريق  
بالإسكندر  
تغلبه عليهم

الإسكندر يأخذ  
بثأر الإغريق  
من الفرس

ولم ينظر الإسكندر إلى البلاد الإغريقية نظرة الغالب القاهر ، بل  
نظرة الرئيس الممثل لهم أمام الأمم الأخرى الآخذ بناصرهم ، فلم يكف  
يستتب له الأمر في هذه البلاد حتى شرع في الاستعداد لغزو بلاد فارس  
للأخذ بثأر الإغريق والانتقام من الفرس على ما فعلوه بها في غارات  
دارا وجزرسيس

خرج الإسكندر لغزو بلاد الفرس سنة ٣٣٤ ق . م . ومعه خمس  
وثلاثون ألف مقاتل . وهذا الجيش ، وإن كان صغير المدد بالاضافة إلى

المقصود الهائل الذي خرج من أجله ، فان حسن نظامه ومهارة قائده كفلا  
نصراً قل أن يوجد له نظير في التاريخ



(الإسكندر الأكبر المقدوني)

عن تمثال بدار آثار رومية

الاسكندر  
بآسيا الصغرى

سار الاسكندر في هذا  
الجيش إلى آسيا الصغرى  
فقابله الفرس عند نهر  
« غرانيق » فحرمهم بعد قتال  
عنيف . ثم واصل المسير  
هذاه الشاطئ الغربي لآسيا  
الصغرى مستولياً على جميع  
المدن الإغريقية التي في  
طريقه . ثم اتجه نحواً واسط  
آسيا الصغرى ، فلم يقف في  
طريقه أحد من الفرس . ثم  
قصد بلاد الشام فلم يجد أي

مقاومة في طريقه حتى وصل إلى مدينة « إسوس » على الطرف الشمالي الشرقي  
من شاطئ البحر الأبيض المتوسط . وهناك قابل جيشاً فارسياً عرمرماً يقوده  
دارا الثالث ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق . م . ولكن كثرة العدد لم تجدي نفعا  
يجانب مهارة الاسكندر الحربية ونظام جيشه وقوته ، فشقت الاسكندر  
شمل الجيش الفارسي وقر دارا هاربا . وتعرف هذه الواقعة بواقعة « إسوس »

واقعة اسوس

### ﴿ الاسكندر الأكبر في مصر ﴾

بعد أن هزم الاسكندر الفرس في واقعة إسوس زحف على مدينة  
« صور » فأخذها بعد عناء كبير، وبذلك تم استيلاؤه على الشام . ثم قدم  
الى مصر ، وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع  
الاسكندر . فلما وصل الاسكندر إلى « بأوز » ( الفرما ) في سنة ٣٣٢ ق . م  
رحب به المصريون لما سمعوه عن عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان  
في حكم الفرس . ففتحت له مصر أبوابها ودخلها بدون عناء . بل ان الوالى  
الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب . ومن ثم سار  
الاسكندر الى « واحة أمون » الكبرى ( واحة سيوه ) ودخل معبد أمون ،  
حيث لقبه الكهنة بابن أمون . وعند ذلك أبدى احتراماً كبيراً لديانة  
المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ، ولكنه مع ذلك لم يهمل العادات  
والتقاليد الإغريقية ، فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية  
ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقوتيس » ( رافوده ) \* ذات موقع  
بحرى موافق لمكون ميناء جيد بين شاطئ البحر الأبيض وبين جزيرة  
مجاورة له تدعى جزيرة « فاروس » أنشأ عندها حاضرة جديدة له سماها  
« الاسكندرية » . ثم أمر بردم الماء بينها وبين الجزيرة المذكورة ، فنشأ  
من ذلك مرسىان جميلان

وما زالت مدينة الاسكندرية من أهم بلاد الدنيا الى وقتنا هذا .  
وكان السياح الإغريق يصفونها بأنها « مدينة جميلة » . وكان الرومان

\* هذه كانت قرية صغيرة بجوار موقع مدينة الاسكندرية الحالى

الاستيلاء  
على صور

دخول  
الاسكندر مصر

انشاء مدينة  
الاسكندرية



يعتبرونها أول المدن نخامة وعظمة بعد عاصمة بلادهم

وبعد أن استتب الأمر للإسكندر في مصر خرج الى فتوحه الأخرى

فتوح الاسكندر  
الآخري في  
الشرق

في الشرق ، فاخترق سورية مرة أخرى ومنها سار إلى « ميزوبوتاميا »

« أرض الجزيرة » حيث التفت جيوشه بجيوش « دارا » الجرارة ، فبدد

شملهم في واقعة « إزبيل » سنة ٣٣١ ، وفر « دارا » مقهوراً . فكانت هذه

واقعة اربل

الواقعة الفاصلة ابتداء سقوط دولة الفرس

وعند ذلك رحب البابليون بالاسكندر راضين به ملكاً لهم ، ثم سار

الاستيلاء على  
عاصمة فارس

الاسكندر الى بلاد فارس ذاتها واستولى على عاصمتها « سيس » وغيرها

من المدن وغنم منها ما لا يحصى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة .

وبعد أن استراح الاسكندر قليلاً واصل السير الى قاصية بلاد الفرس ،

فاخترق الاقليم المعروف الآن بالأفغانستان والتركستان الروسية وما

جاورهما . ثم عبر مضائق جبال « الهيمالايا » مع جزء من رجاله الأشداء

فدخل شبه جزيرة الهند واستولى منها على مقاطعة « البنجاب » وكان

الاستيلاء على  
بنجاب بالهند

يود مواصلة سيره شرقاً ، فامتعت جنوده تعباً وخوفاً . فسار الى الجنوب

متتبعاً نهر السند حتى وصل شواطئ المحيط ، ثم عاد الى بابل وأخذ ينظم

فيها أمور دولته العظيمة ، ولكنه أصيب بحمى قضت على حياته سنة ٣٢٣

وفاة الاسكندر

ق . م . وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة وثمانية شهور

ولم يكن الاسكندر قائداً حربيًا فقط ، بل كان سائسًا ومديرًا عظيمًا ،

وكان في نيته توحيد الشرق والغرب وجعلها دولة واحدة تحت سلطانه ،

وشرع في ذلك فعلاً ، فملاً البلاد الشرقية التي فتحها بالتجار اليونانيين

والحضارة الإغريقية ، وتزوج بزوجة فارسية وأوصى قواده بذلك أيضاً

اعتقاداً منه بأن ذلك من أعظم الوسائل لامتزاج عناصر الشرق والغرب وتوحيد كلمتهم . وكان يهتم في فتوحه بإصلاح الأمور التجارية والعلمية . ومن ذلك الأمر الأخير أنه أرسل إلى أستاذه أرسططاليس بمجموعات نباتية وحيوانية وغيرها من البلاد التي فتحها ، من شواطئ البحر الأبيض إلى حوض نهر السند ، لفحصها فحماً علمياً . ومن أهم نتائج فتوحه انتشار الحضارة اليونانية في الشرق ، وصبغ البلاد التي فتحها بالصبغة الإغريقية ، وبقيت تلك الصبغة ظاهرة فيها حتى تغلب عليها الإسلام ، فكان له فيها أثر آخر

## الفصل الثاني

### البطالسة\*

(٣٢٣ - ٣١ ق. م. ٠)

لما توفي الاسكندر ترك وراءه ابناً صغيراً وأخاً غير شقيق ، فتولى هذان الحكم على دولته العظيمة بوصاية « برديكاس » (أحد قواد الاسكندر الاخلاء) . وعين لكل جزء من الدولة وال يحكمه ، فاختر مصر بطليموس الذي سُمي فيما بعد بطليموس الأول

و « بطليموس الأول » هو مؤسس دولة البطالسة التي تولت الحكم في مصر منذ وفاة الاسكندر الى استيلاء الرومان عليها . وكان بطليموس

---

\* كان الأجدر أن يُطلق عليهم لفظ « بطالمة » بدلاً من « بطالسة » لولا

شدة تداول اللفظ الأخير

من أعظم قواد الاسكندر ومن أخلص المقرّبين اليه، لأنه تربى معه في قصر فليب ملك مقدونية . وكان قد نُقِيَ من بلاده في أيام فليب، فلما توفي أحضره الاسكندر وجعله أحد قواده السبعة الذين يحيطون به في الحرب، ويقضون معه وقت السمر في السلم . وكان بطليموس معروفاً بالحزم والحكمة والشجاعة . ولما تولى الحكم على مصر في سنة ٣٢٣ ق.م قوبل فيها بالسرور والترحاب . وقد شعر منذ ابتداء حكمه بمصر بمنافسة « بردكاس » له في السلطة، ولكنه تمكن بقوته ودهائه من التغلب على نفوذه حتى صار كملك على مصر مستقل بالسلطان فيها . وأول عمل يؤثر عنه أنه أراد أن ينقل جثة الاسكندر من بابل الى مصر، فعارضه بردكاس وقال : انه يريد نقلها الى مقدونية، لكنه لم يفلح وجيء بالجثة الى مصر في موكب فاخر ودفنت في منف ثم نقلت في أيام خلفه الى الاسكندرية، ويُظن أن مكانها الآن النبي دانيال . ولما اشتد غيظ بردكاس منه أتى الى مصر بجيش كبير لمحاربه فقهره بطليموس، ثم سخط رجال بردكاس عليه لسوء مسلكه معهم فقتلوه . ومع كل هذا بقي بطليموس معترفاً بسيادة ابن الاسكندر وأخيه عليه، وكان يكتب اسميهما على المباني التي حُسنها أو زاد فيها

النزاع بين  
بطليموس  
وبردكاس

وفي سنة ٣٢٠ ق.م غزا بطليموس فينيقية وجزءاً من سورية واستولى على بيت المقدس . وقد قام بحروب كثيرة لتوسيع نطاق دولته انتهت باسترداده هذه البلاد السورية بعد فقدانها واستيلائه على جزيرة قبرص . وصارت أصر بذلك السيادة البحرية في البحر الأبيض المتوسط . وفي سنة ٣٠٥ أُقْبِ « بملك مصر » ، ومن ذلك التاريخ لم يدخل في

فتوح بطليموس  
الاول

أعماله السلطانية

حروب كبيرة، وانصرف لتنظيم بلاده وترقية شؤونها، فزاد في مباني الاسكندرية. ويقال انه المؤسس لدار كتب الاسكندرية ودار تحفها المشهورتين. والذين ينكرون انه المؤسس لهما يقولون بأنه هو صاحب المشروع، وأن الذي قام بتنفيذه هو ابنه بطليموس الثاني ومن المعروف عنه أنه احترم ديانة المصريين، ووفق بين ديانتهم وبين الديانة الإغريقية، وظهر من أجل ذلك معبود جديد يدعى « سيرايس » أعد له معبد « السيرايوم » بالاسكندرية الذي قيل انه كان أجل بناء بتلك المدينة

وقبل وفاة بطليموس بسنتين تنازل عن الملك لابنه بطليموس الثاني الملقب باسم « فيلادلف »

جلس بطليموس الثاني على سرير الملك ثمانية وثلاثين عاماً ( ٢٨٥ - بطليموس الثاني ٢٤٧ ق . م ) لم يحدث فيها من الحروب أو الثورات ما هو جدير بالذكر، فالتست في أيامه ثروة البلاد وتقدمت التجارة وانتشرت العلوم والمعارف فمن أعماله أنه جدد الخليج القديم الذي حفرتة الفراعنة من قديم الزمان ليوصل بين النيل والبحر الأحمر، وأعاد سلوك الطريق التجارية بين « قفط » والبحر الأحمر مخرقة وادي الحمامات، وشيد لها من المعامل والمساح ما جعل سير القوافل التجارية فيها سهلاً مأموناً، فتقدمت التجارة المصرية حتى وصلت الى بلاد العرب والهند شرقاً، وإلى اتيوبيا جنوباً أما البحر الأبيض فكانت لمصر به تجارة ذات شأن مع بلاد الإغريق معاضدته لتجارة وكثير من البلاد الأخرى التي على شواطئه الكثيرة. وقد شيد بطليموس لهداية السفن منارة عظيمة بالطرف الشرقى من جزيرة فاروس اشهرت

في التاريخ باسم «منارة الاسكندرية»، ولعظم ارتفاعها كانت تسطع أشعتها  
ليلاً من مسافة تربو على الثلاثين ميلاً، ومكانها الآن حصن «قايتباي»  
ومن حرصه على نشر العلوم والمعارف والآداب أنه وسع نطاق دار  
تحف الاسكندرية ودار كتبها، وأمر بإنجاز أمرين عظيمين في تاريخ  
الأدب: أولهما ترجمة التوراة من العبرانية الى الإغريقية، وثانيهما عمله

العلوم والمعارف  
في مصر

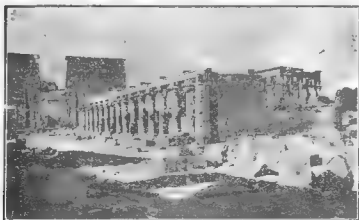
«مانيتون» على تأليف كتابه الشهير في تاريخ مصر القديم

ولم يهمل فيلادلف إقامة المباني وتشيد الهياكل، ومن أم الآثار  
التي أقامها جزء كبير من معبد جزيرة «فيلة» المعروف الآن بقصر  
«أنس الوجود»، وهذا الجزء هو أجمل مباني ذلك المعبد

مبانيه

ومن المعروف عن بطليموس الثاني أنه سهّل للإغريق انبجاع مصر  
وإنشاء أقاليم جديدة بها، وكان يهب لهم الأراضي لذلك، وأهم مستعمرة  
لهم وقتئذ كانت بجمه الفيوم

الإغريق  
في مصر



( معبد فيلة قبل الخراب )

رسم لكجيان

وفي سنة ٢٤٦ ق. م توفي بطليموس الثاني خلفه ابنه «بطليموس الثالث»، بطليموس الثالث  
وفي أيامه امتدت أملاك مصر الى ما كانت عليه في أيام الفراعنة، فلم يلبث  
بعد تولية الملك أن ضم «قيرينقية» (برقة) الى مصر. ثم نشبت الحرب  
بين مصر وسورية بسبب قتل أخته التي كانت متزوجة بملك سورية  
وقتلها زوجته الأخرى، فزحف بطليموس على الشام بجيش عظيم وأمر  
أسطوله بالسير ازاء الشاطئ السوري لیساعد الجيش بالهجوم على المدن  
بحراً أثناء مهاجمة الجيش لها برأ، خفضت له جميع سورية، واستمر في  
زحفه حتى وصل الى نهر الفرات سالكاً مسلك الفراعنة من قبله. وقد اتسع ملك مصر  
ووجد على بعض آثار هذا الملك أنه وصل في فتوحه أيضاً الى بابل وفارس  
وميديا. وعند عودته الى مصر رجع بفنائم وفنائس كثيرة، وأحضر معه

اتسع ملك مصر  
زمن البطالسة



(معبد فيلة بعد الخراب)  
رسم فوان  
تاريخ (١٠)

تمثيل المعبودات المصرية التي كان قد أخذها من مصر « قبيز » وغيره من الملوك الأجانب الذين غزوا مصر زمن الفراعنة ، فزاد ذلك في محبة المصريين له

ومضت على مصر برهة من الزمن كَوْنت فيها دولة واسعة الأرجاء تزيد سعتها على نظائرها أيام الفراعنة . فأصبحت ممتدة من شواطئ بلاد الإغريق شمالاً ، الى اثيوبيا جنوباً ، ومن قيرينيقية غرباً الى الحدود الهندية شرقاً

غير أن هذه الممالك لم يبقَ جميعها في يد المصريين ، بل استرد السوريون جميع الأراضي الشرقية من بلادهم ما عدا إقليمًا صغيرًا ، واكتفى بطليموس بالمحافظة على ممتلكاته الغربية والبحرية ، ومدَّ سلطانه في داخل بلاد النوبة

ولم يكن بطليموس الثالث محاربًا شديدًا فقط ، بل كان مولعًا بالأدب محبة لإقامة المباني وتشيد المعابد . وهو أول ملك من البطالسة شيد مباني عظيمة ذات أثر خالد في التاريخ ، فهو الذي شيد « معبد إدفو » الذي ما زال حافظًا لشكاه وروثقه الى الآن ، وهو ومعبد « دندرة » أحسن نموذجين حيين للمعابد المصرية

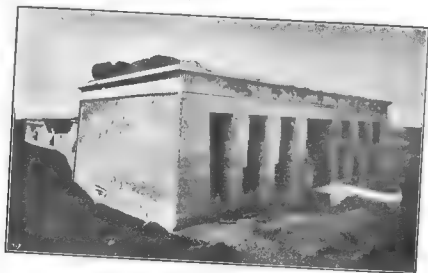
معبد ادفو

### ﴿ اضمحلال البطالسة ﴾

وبعد بطليموس الثالث تولى الملك « بطليموس الرابع » ، فالخامس ، فالسادس . وفي أيامهم استولى الضعف على مصر ، ولم يبق لها من أملاكها سوى قبرس وقيرينيقية ، وكاد يُقضى عليها لولا حماية « رومية » لها



معبد اشوکو  
(رسم لکھنؤ)



معبد اشوکو  
(رسم گاندھارا)





وكانت « رومية » إذ ذاك قد قويت شوكتها، ورأت من مصلحتها  
 حماية مصر . فبقيت منذ ذلك التاريخ صاحبة الشأن في سياستها الخارجية  
 حتى انتهت أيام البطالسة ، وغلبت عليها جملة . ولذلك لم تكن لمصر في  
 هذه الفترة منزلة سياسية في العالم ، ومعظم الملوك الذين تولوا حكمها في  
 هذه المدة كانوا مُستضعفين ، وكثيراً ما قتلوا إخوتهم وأقاربهم للانفراد  
 بالملك وإن لم يحدث ذلك إهمالاً كبيراً في ترقية العلوم والمعارف أو في  
 تشييد المباني والآثار

وما زالت مصر على هذه الحالة حتى كانت وفاة « بطليموس الثالث عشر » ،  
 خلفته ابنته « كليوبطرة » الشهيرة في سنة ٥١ ق . م . وسنأتي على  
 ذكرها عند الكلام على علاقة « رومية » بالبطالسة

### ﴿ حالة مصر في زمن البطالسة ﴾

كانت مصر زمن البطالسة على جانب عظيم من القوة والثروة ، ولم  
 تقل أملاكها في عهد معظم ملوكهم عن أملاك أعظم الفراعنة الأقدمين .  
 نعم اتسعت دولتهم في عهد بعض ملوكهم أكثر من اتساعها في زمن  
 آخرين ، ولكن مصر لم تفقد طول مدتهم سيادتها في الجملة على « برقة »  
 وقبرس وسورية وفلسطين . أما أعظم أيام ثروتها وعظمتها فكانت في  
 عهد الأربعة البطالسة الأوائل . إذ كانت زمن « فيلادلف » أغنى مملكة  
 في العالم . وكانت عظمة القصر الملكي بالاسكندرية ونخامته وأبهة المالك به  
 أكبر ما رأت الدنيا الى ذلك الوقت

ولمصر البطالسة في مصر من الخواص والمزايا ما يجعله مغايراً لعصور  
 مميزات  
 عصر البطالسة

الفراعنة . وأهم هذه الخواص ظهور العنصر الإغريقي مائلاً في عظمة مصر ، بل ان حضارة ذلك العصر هي في الحقيقة إغريقية الأصل ، ولم تؤثر فيها بقايا الحضارة المصرية القديمة إلا فيما سمح به ملوك البطالسة عن قصد .  
فمثلاً كان ملوك البطالسة يظهرون في الحفلات الرسمية بزي الفراعنة الأقدمين ، وكانوا يقدمون الهدايا والقرايين للمعبودات المصرية ويشيدون المعابد والهياكل على الطرز المصري القديم<sup>(١)</sup> ، وأحسن مثال لذلك باب معبد « خنسو » بالكرنك ومعبد إدفو ومعبد دندره . كما كانوا يتزوجون بأخواتهم أسوة بالكثير من الفراعنة<sup>(٢)</sup> : كل ذلك إرضاء للمصريين ورغبة في أن ينسوم أنهم محكومون بملوك غرباء عن بلادهم بعيدين عن نسل آبائهم وأجدادهم . كان ملوك البطالسة يظهرون بكل هذه المظاهر ، ولكنهم كانوا إغريقيين في معيشتهم وعاداتهم الداخلية ، بل في نظام حكومتهم وتشكيل جيوشهم

تأثير الحضارة  
المصرية في حضارة  
البطالسة

وكان المصريون في أول الأمر بمعزل عن البطالسة ، ولما كثرت ورود الإغريق الى مصر ، وانتشروا في أنحاء البلاد ، ( انتشار تجار اليونان اليوم في قرى الأرياف ) زاد الاختلاط بين العنصرين ، وتصاهروا ، وتعلم

اختلاط المصريين  
بالبطالسة

(١) كان معظم مباني البطالسة على الطراز الإغريقي ، ولكنهم كانوا يقيمون كثيراً من المباني ( لاسيما الدينية منها ) على الطراز المصري القديم . ويشاهد فيما شيدوه من هذا النوع أنهم كانوا يجامون الفن المصري ، لكنهم لم يصلوا في ذلك الى حد الاتقان الذي بلغه قدماء المصريين

(٢) كانت هذه عادة عند ملوك قدماء المصريين وكان القصد منها حفظ

الدم الملكي في الأسرة المالكة



باب سعید خاتون  
(رسم لکھیاں)



معظم المصريين اللغة الإغريقية التي صارت إذ ذاك اللغة الرسمية للبلاد  
وكان ملوك البطالسة يُعَنُونَ بترقية العلوم وإحياء الآداب . وقد  
أنشئوا لهذا دار كتب عظيمة بالاسكندرية ومدرسة جامعة كبرى كانت  
تُعرف عندهم بدار التحف ، وقد ذاع صيت الاسكندرية بهذين المهديين  
حتى صارت كعبة للعلوم يؤمها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم المتعدين  
وبدار التحف كانت تُتلقى العلوم الراقية على نظام شبيه بنظام  
الجامعات في عصرنا . واختاف المؤرخون فيمن أسس هذا المعهد ، وأرجح  
الأقوال ان بطليموس الأول هو صاحب المشروع وأنه كان يذهب بنفسه  
الى البلاد الإغريقية ليجمع أعظم الفلاسفة والعلماء من الإغريق ليذهبوا  
معه الى الاسكندرية ، فإن لم يكن المعهد قد فُتِح في زمنه فهو الذي أعدَّ  
له كل شيء ، وبفضل أعماله تمكن ابنه بطليموس الثاني من افتتاحه  
وأما دار الكتب المشهورة في التاريخ فقد جمع فيها ملوك البطالسة  
من كتب الأمم القديمة ما وصلت اليه أيديهم ، وكانت قسمين : قسماً  
مُحقّقاً بدار التحف وهو الأكبر ، والقسم الآخر ملحق بمعبد السِرايُوم ،  
ويقال ان القسم الأكبر كان به نحو ٧٠٠,٠٠٠ كتاب  
وقد ساعدت هذه المعاهد على ازدياد عظمة الاسكندرية ، فقصدتها  
كبار العلماء والفلاسفة يدرسون بمدارسها ويشتغلون بالبحث والتأليف  
بمساعدة داري كتبها وتحفها . ومن بين هؤلاء عدد كبير حفظ ذكرهم  
التاريخ ، منهم « إقليدس » صاحب كتاب الأصول في الهندسة . ومنهم  
« إيراتستين » و « بطليموس » الجغرافيان و « هبارك » الفلكي  
و « أبولونيوس » النحوي وغيرهم

العلوم والعارف  
في زمن البطالسة

دارا الكتب  
والتحف  
بالاسكندرية

ومما يؤسف له أن تاريخ هذه المعاهد مظلم جدًا ، وأكثر ما نعرفه عنها غير مقطوع بصحته لعدم عثورنا على ما يثبت ذلك من الآثار غير أن من المجزوم به وجود داري التحف والكتب ورئيس لكلٍ منهما ازدادت عظمة وظيفته باتساع نطاقها . ومن المشهور أيضاً أن جميع ما له اختصاص بهما ، من انتخاب قوّة وعمال ، ومن ترتيب ونظام ، كان إغريقياً لا مصرياً ، وإن المصريين لم ينتفعوا بهما ، وبقوا بعيدين عنهما حتى اندثارهما بسبب إحراق دار الكتب

وقد اختلف المؤرخون أيضاً بشأن إحراق هذه الخزانة العظيمة : فمن قائل أن يوليوس قيصر أحرقها مع أسطوله يوم بغته المصريين على غير استعداد ، ومن قائل أنها أُحرقت بعده بنحو ١٠٠ سنة ، ومن قائل أن عمرو بن العاص أحرقها بأمر من الخليفة عمر رضی الله عنه ، ولكن كبار مؤرخي الإفرنج ينكرون صحة هذا القول الأخير

احراق دار  
كتب  
الاسكندرية

وكان للملك البطالسة شغف زائد بالأدب ، وكانوا يكثر من الاجتماع بأهله وتقريبهم منهم ، بل إن بعضهم كان يشتغل بنفسه بالكتابة والتأليف . فمن هؤلاء بطليموس الأول الذي كتب كتاباً في تاريخ الاسكندر ، وبتليموس الرابع الذي ألف أسطورة تمثيلية ، وبتليموس التاسع فإنه مع ما اشتهر به من سوء الخلق ألف كتاب « المذكرات » عن نفسه في أربعة وعشرين جزءاً . وله انتقادات لشعر هوميروس وقد كان لهذه العناية تأثير كبير في ارتقاء الأدب الإغريقي وكثرة الكتابة والتأليف

الادب في زمن  
البطالسة

لما استولى البطالسة على مصر أدخلوا بالبلاد كثيراً من الإغريق

انتشروا في جميع أنحاء القطر ونشروا صناعاتهم فيه، فتعلمها منهم المصريون. الصناعة والتجارة  
وقد تمكن صنّاع العنصرين من الوصول بالصناعة إلى الحد الذي يلائم  
تلك الحضارة العظيمة التي تحيط بهم

أما التجارة فقد وصلت إلى درجة عظيمة جدًا في زمنهم، ولا سيما  
عهد بطليموس الثاني (فيلادلف)، إذ كانت التجارة عظيمة بين مصر  
والبلاد التي على شواطئ البحر الأحمر حتى بلاد «بنت» جنوبًا. وكانت  
السفن المصرية تسافر من السويس إلى عدن وبلاد العرب، وقيل أيضًا  
إنها كانت تصل إلى بلاد الهند، كما أنها كانت تسافر إلى بلاد عديدة على  
شواطئ قارة إفريقية. ومما ساعد على نمو التجارة إصلاح طريق القوافل  
الموصل بين الوجه القبلي وشاطئ البحر الأحمر مخترقًا وادي الحمامات،  
وتأمين السابلة فيه؛ وكانت ترد إلى مصر حاصلات بلاد النوبة وبلاد  
السودان الشرقية كما كانت ترد في الأزمنة المتقدمة. وأما التجارة بين مصر  
وبين المستعمرات الإغريقية الأخرى المنتشرة على شواطئ البحر الأبيض  
فكانت متواصلة ذات فائدة كبرى لمصر

ومن الأسباب المهمة في رواج التجارة المصرية في ذلك العصر وجود  
الكثيرين من الأسراء يلبين بالاسكندرية، وتمتعهم هم وغيرهم من المالبين بزايًا  
تجعلهم لا يرضون باستخدام أموالهم في التجارة، بفضل استتباب الأمن  
بالبلاد ووجود جيش وأسطول حربي يحميان مصالح التاجر ويضمنان  
لأمواله السلامة



## الفصل الثالث

### كلمة في الرومان (الروم)

كانت الرومان من أشد أمم الأرض بطشاً، وأوسعهم ملكاً، وأكثرهم تمدناً. وقد بقي لحضارتهم بعد أن بادوا أثر كبير في مدينة أوروبا ولا سيما الأمور المتعلقة بالقوانين وتشكيل الحكومة وغير ذلك مما نشروه من حضارة الإغريق. ولذا اعتبرت دولتهم أعظم من كثير من الدول القديمة التي ظهرت في أزمان التاريخ

وسُميت هذه الدولة بدولة الرومان نسبةً إلى « رومية » التي كانت مهد نشأتهم. ولسنا نعرف قطعاً وقت بنائها ولا المؤسسين لها، وإن كانت الأقاليم الخاصة بذلك كثيرة، وكلها تشير إلى أن مؤسسها هو « روميُّوس »، وأن تأسيسها كان في القرن الثامن قبل الميلاد

وكانت « رومية » في أول أمرها مدينة صغيرة على نهر « التَّيْبَر » يسكنها قوم من اللاتينيين، ثم عظمت شيئاً فشيئاً. وكان اللاتينيون منتشرين أيضاً في القرى المجاورة لها، فالتحدوا جميعاً تحت رياسة « رومية » للدفاع عن أنفسهم إذا هاجمهم غيرهم. ويُعرف ذلك « بالاتحاد اللاتيني »

منشأ رومية

### ﴿ أطوار تاريخ الرومان ﴾

ينقسم تاريخ الرومان إلى ثلاثة أطوار:

١ - « طور الملكية ». ويمتد من تأسيس « رومية » إلى

سنة ٥١٠ ق. م.

٢ - « طور الجمهورية » . ويمتد من سنة ٥١٠ الى سنة ٣٠ ق . م

٣ - « طور الامبراطورية » . ويمتد من سنة ٣٠ ق . م الى

سنة ١٤٥٣ م

طور الجمهورية كانت حكومة « رومية » ، ملكية في العهد الأول ، فطفي بعض ملوكها وظلم ، فأخرجه الرومان من المدينة وألّفوا حكومة جمهورية حوالى سنة ٥١٠ ق . م

طور الملكية وكان القابض على زمام الأمور في أيام الجمهورية رئيسين يدعى كل منهما « قُنْصُلًا » ، ليمنع أحدهما الآخر محاولة الجور والاعتساف . وكانت تنتخبها جمعية عمومية لمدة سنة واحدة . ومن حق هذه الجمعية النصح للقنصلين والنظر فيما يريدان سنّه من القوانين . وعلاوة على ذلك كانت تشمل هيئة الحكومة مجلساً آخر يقال له « مجلس الشيوخ » أو « السِنَاتُو » ، وأعضاؤه من رؤساء أسرات الأشراف ، غير ان رأيه كان استشارياً محضاً . وفي الأوقات الحرجة التي يُخشى على البلد فيها مما قد يقع من النزاع بين القنصلين كان يُعيّن لرياسة الحكومة شخص مطلق السلطة على الجيش يسمى « دِكْتَاتُورًا » . ولا تزيد مدة حكمه على ستة أشهر

الزراع بين طبقتي السكان في رومية وكان برومية في أوائل أيام الجمهورية طبقتان من السكان : الأشراف ويسمون « البطارقة » ، والعامّة ويسمون « البلييان » (السوقة) وكانوا أذلاء محتقرين محرومين من اللّحاق بعمال الحكومة ، وممنوعين من التزوّج بأحد من أسرات البطارقة . وكان هؤلاء يستعبدونهم لشدة فقرهم واضطرارهم الى اقتراض المال منهم . فلما ستموا هذه الحالة هاجروا جملةً من « رومية » سنة ٤٩٤ ق . م الى مكان يدعى « الجبل المقدس » حيث

كانوا يريدون انشاء مدينة جديدة لهم . فبالأشراف هذا الأمر ، لأنهم  
قدوا به طبقة العملة والخدمة وأصبحوا لا يستطيعون المعيشة في هناك ،  
فخضعوا لمطالبهم وعينوا منهم حاكِمين يسمي كل منهما « تريوننا » (أطرَبونا)  
للمحافظة على حقوقهم ، وكان من حق التريون أن يمنع سن القوانين  
المضرة بمصلحة البلبيان ، وكل من تمدى على حقه جوزى بالقتل . فعاد  
البلبيان الى « رومية » وأخذ الحاكم المحافظان على مصالحهم يزيدان في  
حقوقهم شيئاً فشيئاً : ففي سنة ٤٥٠ ق . م . دُونت القوانين بعد ان كانت  
مفهومة إجمالاً يتلاعب الأشراف في تطبيقها كيف شاءوا . وفي سنة ٤٤٤  
خُوِل للبلبيان حق انتخاب القناصل منهم اسوة بالأشراف ، وإن كان لم  
يُنْتخب أول قنصل منهم إلا سنة ٣٦٦ ق . م . وما زالت حقوقهم تزداد  
شيئاً فشيئاً حتى انتهى الأمر بمساواتهم بالأشراف من كل وجه سنة ٣٠٠  
ق . م . وبالتدريج تُسِي الفرق بين الطبقتين

﴿ نمو سلطان رومية وامتداده على غيرها من البلدان ﴾

لما قويت حكومة الجمهورية أخذت في توسيع نطاق « رومية »  
وبسط سلطانها على ما جاورها من البلدان . وكان يمتد على الشاطئ الغربي  
من ايطاليا شمالي « رومية » مقاطعة عظيمة تسمى « إتروريا » يعرف  
أهلها بالإترُسك ، وهم من أشد أعداء الرومان ، فنشبت بينهم حروب  
طويلة انتهت باستيلاء الرومان على « فياي » أمنع حصونهم سنة ٣٩٦  
ق . م ، ففضى ذلك على قوة « الإترُسك » ، وأعقبه غلبة الرومان على  
جميع بلادهم بلداً بلداً

غزو اتروريا

وفي سنة ٣٩٠ ق . م حدث أمر أوقف فتوح الرومان وكاد يقضي  
على مجدهم : وذلك ان « الغالين » ( وهم جنس بربرى سكن ايطاليا شمالي  
نهر « بو » ) زحفوا جنوباً نحو « رومية » ابتغاء السلب والنهب ، فبرزت  
اليهم الجيوش الرومانية ولاقوم على نهر « إلبا » بالقرب من مدينة  
« رومية » ، فدارت الدائرة على الرومان وولوا مذبرين الى المدينة ، فاقترحمها  
الغالليون عليهم قبل أن يستعد أهلها للدفاع عنها ، واستباحوها بنهباً  
وتحريقاً ، ولم يسكوا عن تدميرها جميعها إلا بعد أن ألهام عنها أهلها  
بالكثير من المال

ولما اتعش الرومان مما أصابهم من الوهن بعد هذه الهزيمة عادوا الى  
السير في طريق الفتح . وكان « السَّيْنِيُّونَ » اكبر أعدائهم فألبوا عليهم  
أكثر سكان ايطاليا من « الإترُسك » و « الغالين » و « الإغريق » ،  
وبذلك خاضت « رومية » سنة ٣٤٣ ق . م حروباً طويلة استغرقت أكثر  
من قرن ، وانتهى الأمر بفلج الرومان وفوزهم على جميع أعدائهم فأصبحوا  
أرباب السيادة على شبه جزيرة ايطاليا الأ قليلاً

وبقيت بعد هذه الحروب مدينة ذات ثروة هائلة في جنوب ايطاليا  
تسمى « تارنتو » لم تخضع هي أو لواحقها من المستعمرات الإغريقية  
لنفوذ الرومان . واستنجدوا « بيروس » ملك « أيروس » ( مقاطعة ببلاد  
الإغريق ) . وكان بينه وبين الإسكندر قرابة ، فطمع « بيروس » في تكوين  
دولة عظيمة بالمغرب تضارع التي أسسها قريبه بالشرق ، فهم الى مساعدة  
أهل « تارنتو » وقهر الرومان في واقعة « هرقله » سنة ٢٨٠ ق . م . ثم  
قهرهم ثانية في « عسقلان » سنة ٢٧٩ ق . م ، ولكنه خسر خسارة عظيمة

يُضرب بها المثل أضاعت عليه ثمرة انتصاره . وفي سنة ٢٧٥ ق . م . هزمه الرومان في واقعة « بِنِفْتِمْ » هزيمة قضت على آماله ، وتراجع يبيوشه من ايطاليا . وفي سنة ٢٧٢ ق . م سقطت « تارتو » في قبضة الرومان ، وبذلك تمّ استيلاء « رومية » على جميع أنحاء ايطاليا ولما أن تمت لرومية السيادة المطلقة على شبه جزيرة ايطاليا ولت وجهها الى ما وراء ذلك ، فلم تجد أمامها أمة عظيمة تخشى اعتراضها في طريقها سوى القرطاجيين

### ﴿ النزاع بين رومية وقرطاجنة ﴾

فرطاجنة أسس الفينيقيون مدينة « قرطاجنة » على شاطئ إفريقيا الشمالى بالقرب من موقع مدينة « تونس » الحالية في القرن التاسع قبل الميلاد ، وأنشئوا حولها مستعمرة جميلة . ثم أخذت هذه المستعمرة في التقدم حتى صارت دولة عظيمة شديدة البأس ، وأصبحت بعد أن ضعفت شوكة الفينيقيين أنفسهم في الشرق أعظم دولة تجارية في البحر الأبيض المتوسط . فكان القرطاجينيون أوفر من الرومان مالاً واكبر منهم أسطولاً ، ولأسطولهم السلطان الأعظم على البحر الأبيض من جزيرة صقلية الى مجاز جبل طارق . وكانوا يملكون فيه جزءاً من صقلية وسردانية وقرشقة وعدة ولايات على شاطئ اسبانيا . وأما أملاكهم في إفريقيا فكانت تشمل معظم الأراضي المعروفة الآن بتونس والجزائر ومراكش

## ﴿ الحروب البونية وأسبابها ﴾

يُعلم مما تقدم أنه لم يكن بد من حدوث تنافس بين دولتي قرطاجنة ورومية، إذ الأولى لها السيادة على البحر الأبيض المتوسط والثانية آخذة في توسيع نطاق أملاكها وتجارها في ذلك البحر، فنشبت بينهما بسبب هذه المنافسة حروب طويلة تسمى « الحروب البونية » أو (البُونِيَّةِ)، ومعناها الفينيقية لأن القرطاجنيين فينيقيو الأصل. وهي ثلاث حروب:

### ﴿ الحرب الأولى ﴾

(٦٢٤ - ٢٤١ ق.م)

بدأت هذه الحروب بسبب تدخل الرومان في جزيرة صقلية استيلاء الرومان على صقلية وارسال جنودهم اليها وقبضهم على مدينة « مسانا » (مسيني). وهذه الحرب عظيمة الشأن من حيث كانت أولى الحروب البحرية التي دخلت فيها رومية. ولم يكن للرومان إذ ذاك أسطول ما، فلما أدركوا عظيم بلائه في هذه الحروب شيدوا (على ما قيل) ما يربو على مائة سفينة في شهرين وحاربوا القرطاجنيين بحراً في « ميلبي » بالجزيرة المذكورة سنة ٢٦٠ ق.م. قهروهم واستولوا على جزيرة صقلية، فكانت هذه أول مستعمرة لهم وراء شبه جزيرة ايطاليا. ولم تنته الحرب عند ذلك بل لبثت سجالاتاً عهداً طويلاً، وانهمز في خلالها الرومان انهزاماً عظيماً في « إفريقية » بقيادة « ريجولوس » سنة ٢٥٦ ق.م ثم اقتضت الحرب على جزيرة صقلية كما كانت من قبل وفي أثناءها انهزم الرومان بحراً في واقعة « جيباتم » ثم

انتصروا على القرطاجنيين في موقعة فاصلة بالقرب من جزائر « إجيت » سنة ٢٤١ ق. م. فمقد الصلح بين الفريقين ، ويؤتم للرومان الاستيلاء على جزيرة صقلية

### ﴿ الحروب الثانية ﴾

( ٢١٨ - ٢٠١ ق. م )

بعد الحرب البونية الأولى حدثت فتن وفلاقل في « قرطاجنة » كادت تقضى عليها . لولا ان رجلاً عظيماً فيها يدعى « هملكار » أخذ تلك الثورة وأعاض خسارة صقلية باستيلائه على الجزء الأكبر من اسبانيا ، وهناك درّب جيشاً عظيماً تاهب الانتقام لبلاده من أعدائها . وكان الرومان قد اتهمزوا فرصة حدوث الفتن في « قرطاجنة » وانغصبوا « سردانية » و « قرشقة » من القرطاجنيين ، فكان هذا أدعى لاستئناف



أنيبال

القتال بين الفريقين . والسبب الذي دعا الى نشوب الحرب ان القرطاجنيين حاصروا مدينة « سغنتم » الإغريقية باسبانيا ، وكانت موالية لرومية ، فابتدأت بذلك الحرب البونية الثانية وهذه الحروب هي أهم الحروب البونية جميعها ، للحوادث العظيمة التي حدثت

فيها والشهرة الطائلة التي نالها بطلها وهو « أنيبال » بن « هيلكار »  
السالف الذكر

وكان « أنيبال » من أشد الناس وفاء لوطنه وأكثرهم تفانياً في خدمته  
والانتقام له . وكان قائداً حريياً كبيراً تحبه جنوده ، وتهابه أعداؤه ، على  
شدة بأسهم وقوة جيوشهم . وهو بلا شك من أعظم القواد الذين ظهروا  
في أزمان التاريخ

وتوقع الرومان أن تكون الحرب في أسبانيا فأخذوا يمدون الجيوش  
لغزوها وأغفلوا مهارة أنيبال النادرة ومبدأه في الحرب ، وهو « أن الهجوم  
أحسن وسيلة للدفاع » . فبينما هم كذلك إذ أنيبال قد انقض على  
سهول إيطاليا

وذلك ان « أنيبال » سار سنة ٢١٨ ق . م . في جيش من الرجال  
الأشداء عبر به جبال « البرانس » ، ثم اخترق بلاد « الغال » المعروفة  
الآن بفرنسا ، واقتحم جبال « الألب » ونزل منها الى وادي نهر « بو » .  
فكان مسيره هذا من أغرب ما يمكن لقائد أن يأتي به ، بل لم ير التاريخ  
الى الآن عملاً حريياً أبدع ولا أحكم منه بالاضافة الى خشونة المعدات  
وقلة المواصلات . ذعر الرومان من ذلك ، فهرولت جيوشهم الى الشمال  
لصدته . فقهروا أنيبال في موقعتين في وادي نهر « بو » ثم عبر جبال  
أبين وسار نحو رومية . وكان إذ ذاك قد انضم الى جيشه عدد كبير من  
أهل الغال . ولما أن تبعته الجيوش الرومانية هيأ لهم خديعة هزموهم بها  
شر هزيمة في واقعة بحيرة « ترازين » سنة ٢١٧ ق . م . حيث قُتل  
فصلهم ، وقضى فيها على رجالهم . وربما كان الأجدر بأنيبال إذ ذاك أن

مسيره

الى ايطاليا

واقعة ترازين



ينقض على « رومية » ولعله رأى أن يوجب ذلك الى أن يزيد من ضمها بالاستيلاء على الجهات المجاورة لها. وفي السنة التالية جمع الرومان أكبر جيش استطاعوا جمعه وساروا به لمقاتلة أنيبال، فتقابل الجيشان في واقعة « كان » بالجنوب الشرقى من إيطاليا سنة ٢١٦، أظهر فيها أنيبال من المهارة والمقدرة ما أفنى به الجيش الرومانى ( وكان عدده ٨٠٠٠٠ مقاتل ) فلم ينج منه إلا من وقع في الأسر. ولو كان مجرد الرومانين مشيداً على القوة الحربية فقط، ولم يكن لهم الحظ الأكبر في السيادة ونظام الحكومة، لكانت هذه الواقعة قاضية على سلطانهم

واقعة كان

بقي أنيبال بإيطاليا خمسة عشر عاماً ( من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٠٢ ق. م. )

واقعة متوروس

وهو يقهر الرومان المرة بعد الأخرى، غير أنه لم يستطع الاستيلاء على رومية ذاتها. وفي أواخر تلك المدة كان بالطبع في حاجة الى نجدة من قرطاجنة، فسار اليه أخوه في جيش من أسبانيا، فقابله الرومان في الشمال الشرقى منها وقتلوه وهزموا جيشه على نهر متوروس سنة ٢٠٧ ق. م. فكان لهذه الواقعة تأثير كبير في الحروب البونية، بل في تاريخ رومية والنزاع بينها وبين قرطاجنة، إذ بسببها منعت عن أنيبال الأمداد التي كان ينتظرها والتي كان في أشد الحاجة اليها. على أن أنيبال بقي ثابت الجأش يواصل القتال في جنوب إيطاليا حتى استدعى الى بلاده لحماية « قرطاجنة » ذاتها

وذلك أن القائد الرومانى « شيبثون » ( الذى لقب فيما بعد بالإفريقي لفتح إفريقيا ) ترك إيطاليا وذهب بجيش الى إفريقيا. ولما رأت قرطاجنة نفسها في خطر منه استدعت أنيبال فرجع اليها مسرعاً. ولكن

حدث ما كان يخشاه بعد قتل أخيه ، فانتصر شبليون على أنيبال انتصاراً عظيماً في واقعة « زاما » بالقرب من قرطاجنة سنة ٢٠٢ ق . م وعند ذلك عقد الصلح بين الدولتين على شرط أن تنازل قرطاجنة عن اسبانيا وجزائرها التي في البحر الأبيض المتوسط ، وأن تدفع لرومية جزية سنوية كبيرة ، وأن تسلّم أسطولها اليها ، وأن لا تحارب أحداً إلا بأذنها وعندئذ اضطر أنيبال الى الفرار من قرطاجنة . ثم ألب ملك مقدونية وملك سورية على محاربة الرومان وحارب بنفسه في جيوشهما ، ولما لم يفلح تناول السم فقضى على حياته سنة ١٨٣ ق . م مخافة أن يقع في أيدي الرومان أعدائه

واقعة زاما  
والصلح

### ﴿ الحرب الثانية ﴾

( ١٤٩ - ١٤٦ )

اتفق أن أحد ملوك إفريقية المجاورين لقرطاجنة تعدي عليها وأهانها مراراً عديدة ، فهتت « قرطاجنة » بالدفاع عن نفسها ، فاعتبر الرومان ذلك مخالفاً لشروط الصلح الذي تم بينها وبينهم سنة ٢٠١ وشنوا عليها الغارة . فلما أنست « قرطاجنة » من نفسها الضعف طلبت من الرومان الصلح بالشروط التي يختارونها ، فطلبوا منها تسليم جميع أسلحتها وأسطولها ، وبعد أن فعل القرطاجنيون ذلك طلب منهم الرومان الجلاء عن المدينة واتخاذ مكان جديد لهم يبعد عن البحر بنحو عشرة أميال . فهال القرطاجنيون ذلك ، وانقلب ضعفهم الى شجاعة اليأس ، فقاموا رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً للدفاع عن مدينتهم ، وبنوا لهم أسطولاً جديداً وردوا هجمة الرومان ، فبقي هؤلاء سنتين كاملتين غير قادرين على أخذ المدينة ، ولكنهم

تاريخ (١١)

احراق قرطاجنة تمكنوا أخيراً من الاستيلاء عليها وأحرقوها، وبذا قضوا على أكبر أعدائهم وأعظم عائق لاتساع ملكهم. فكان ذلك ابتداء سيادتهم في المغرب

### ﴿ فتوح الرومان ﴾

لم تكن أطماع الرومان قاصرة على الغرب، بل لم تنته الحروب البونية حتى استولت رومية على مقدونية (سنة ١٦٨ ق. م.) وبسطت سيادتها التامة على بلاد الإغريق (١٤٦ ق. م.) وجزء كبير من آسيا الصغرى، فوق ما استولت عليه من قبل من صقلية وسردانية وقرشقة وجنوبي جبال الألب من بلاد الغال، واسبانيا وإفريقية. وقد واصلت فتوحها في الشرق حتى تم لها على يد « بومبي » (بومبيوس) الاستيلاء على جميع سورية وأكثر آسيا الصغرى سنة ٦٣ ق. م.

ثم فتح يوليوس قيصر ما وراء جبال الألب من بلاد الغال (٥٨ - ٥٠ ق. م.) ثم برطانية سنة ٥٥ ق. م. وفي سنة ٣١ ق. م. استولى أكتافيوس على مصر عقب واقعة « أكتيوم »، وسيأتي ذكر ذلك في الكلام على علاقة الرومان بالبطالسة

### ﴿ اضمحلال الجمهورية وتأسيس الامبراطورية ﴾

اسباب الضعف  
لما أخذت الدولة الرومانية في هذا الاتساع العظيم أصبح أعضاء الجمعية العمومية غير قادرين على إدارة سياستها لعدم درايتهم بشؤون تلك الممالك الواسعة البعيدة عن بلادهم، فأخذ أعضاء مجلس السناتو ينفردون بإدارة الدولة، فدب فيهم روح الطمع واغتصاب الأموال الطائلة والانتهاك

في الترف والتنعم ، ثم انهم قصرُوا المناصب الكبيرة على أقاربهم أو من على شاكلتهم من الأشراف . فأصبحت حال الطبقات الأخرى سيئة جداً لسوء أعمال طبقة الأشراف ، ولا انتشار الرقيق انتشاراً عظيماً لكثرة أسرى الحروب العديدة التي نمت بها أملاك الدولة . فكان هؤلاء الأسرى يُسَخَّرُونَ في زراعة الأرض فيرخص بذلك المحصول فلا يستطيع المزارع الحر الصغير استدامة زراعة أرضه ، لأن المال الذي يكتسبه منها أصبح لا يفي بحاجته ، فانتشر الفقر في البلاد بين الطبقات الدنيا وأصبح كثير من الناس اعطالاً ، وهرعوا الى مدينة رومية ليعيشوا من السؤال وتبرعات الأشراف . ولم تُوفَّق حكومة الجمهورية الى حسن ادارة تلك الأملاك الشاسعة ، وعجزت عن سن النظام الكفيل بذلك ، فأدّت هذه الحال السيئة بالطبع الى القلاقل والفتن بالرغم من مساعي المصلحين .

ووقعت البلاد في حروب داخلية استمرت مدة طويلة وقد ساعد على الحروب الداخلية ذلك ما قام من المنافسة بين كبار قواد الجيش ، فان الواحد منهم كان اذا عاد من غزوة منتصراً عمل على نزع السلطة من غيره وجمعها في يده ، فن ذلك أن « مزيوس » تمكن بفضل انتصاراته بين سنتي ١١٣ و ٩٠ ق . م من تقلد منصب القنصلية سبع مرات ، ثم قام قائد آخر يدعى « سيلأ » وقاومه حتى أخرجه من « رومية » ولما عاد هو منتصراً من حروبه بأسيا الصغرى سنة ٨٢ ق . م نُصِّبَ « دِكْتاتوراً » \* على الدوام

ومن ذلك أيضاً أن « بومي » لما تم له صد غارة داخلية في اسبانيا وأخذ ثورة كان قد قام بها المصارعون في رومية جعل قنصلاً سنة ٧٠ ق م

\* ومعناه صاحب الكلمة المطلقة

ولما عاد من فتوحه العظيمة في الشرق سنة ٦٦ ق.م. اتفق مع اثنين آخرين من القواد وهما «يوليوس قيصر» و«كِرأسوس» على أن يتصبوا السلطة من الجمهورية تدريجياً ويقسموها بينهم، فظفر كل منهم بمآربه. ويُعرف ذلك «بالحكومة الثلاثية الأولى». وبعد قليل مات كِرأسوس بقيت السلطة للثنتين الآخرين. وكان «قيصر» قد أُعطي القيادة في بلاد الغال ففُتِح في فتحها من سنة ٥٨ الى سنة ٥١ ق.م. حتى أخضع أهلها، ونشر بينهم الحضارة الرومانية. وكان «بومبي» قد أُعطي حكم إسبانيا، فأتاب عنه من يحكمها، وقي هو برومية يبنى القبض على زمام الأمور بها، حتى نصَّب بعدُ قنصلاً. ولما خشي من ازدياد شوكة «قيصر» عمل بالاتحاد مع رجال السناتو على سلب السلطة منه

الحكومة  
الثلاثية الأولى



(يوليوس قيصر)

ولكن «قيصر» لم يكن بالرجل الذي يُتَلَب على أمره، بل كان من أعظم رجال التاريخ قيادةً وسياسةً وبلاغةً، فهجم قيصر بجيشه بفته على إيطاليا فاستولى عليها في ستين يوماً. ثم هزم قواد بومبي في إسبانيا سنة ٥٢ ق.م. وفي السنة التالية تبع بومبي الى بلاد اليونان فهزمه في واقعة فرساليا «(سنة ٤٨

يوليوس قيصر  
وبومبي

واقعة فرساليا

ق.م) ثم فرَّ «بومبي» الى مصر فقبضه عليها بعد أن بدد شمل جيشه

فكان من أمر قتله ما كان مما سيأتى ذكره عند الكلام على انقراض دولة  
البطالسة ثم تغلب قيصر على الحزب الموالى لبومبي . وما زال يجمع لنفسه  
من النفوذ والسلطان بمهارته وحسن سياسته حتى قبض على جميع الأعمال  
فى رومية وصار أشبه بملك منفرد بالحكم ، وهو بلا شك كان ينوى تأسيس  
أسرة ملكية يتناول فيها الحكم الولد عن أبيه . وقد سلك سبيل الإصلاح  
بإذلاً ما فى وسعه لتوطيد السكينة فى البلاد ، غير أن فئة من المحافظين لم يرق  
ذلك فى أعينهم واتهموه بأنه يعمل على استعباد الرومان ، فألقوا منهم  
عصاة سرية بزعامة « برُوتوس » وقتلوه فى منتصف شهر مارس سنة ٤٤ ق.م  
على أن زعماء هذه الحركة لم ينجوا فائدة من وراء فعلتهم ، بل أضرموا  
بذلك حرباً داخلية أخرى ، فنقم عليهم ثلاثة من القواد المتصرين لقيصر وهم  
« أكتافىوس » ( وكان من أسرة يوليوس قيصر ) و « لبيدوس » و « أنطونىوس »  
( انطوان ) وكونوا منهم « الحكومة الثلاثية الثانية » وقهروا الثائرين فى  
موقعة « فلبى » ( بمقدونية ) سنة ٤٢ ق . م . ثم فصل لبيدوس منهم وبقى  
الحكم فى أيدي أكتافىوس وأنطونىوس . ثم وقع بين هذين من التنازع  
ما أفضى أخيراً الى واقعة « أكتيوم » سنة ٣١ ق . م . التى كانت نتيجةها  
انتصار أكتافىوس واستيلاء الرومان على مصر جملةً

قتل قيصر

الحكومة  
الثلاثية الثانية

واقعة فلبى

## الفصل الرابع

### علاقة الرومان بالبطالسة

ما كادت دولة « الرومان » تظهر بين ممالك الأرض حتى أخذت العلاقات تنشأ بينها وبين دولة البطالسة في مصر، ولبثت بين الدولتين مدة طويلة، من أيام مجد البطالسة الى انقراضهم، تقابل أثناءها في عدة أطوار: ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة، ثم انتقلت الى حمايتهم لهم، ثم السيطرة عليهم، ثم انتهت باستيلائهم على مصر ويُلخص سير هذه العلاقات من مبدئها فيما يأتي:

ابتدأت العلاقات بين الدولتين بإرسال « بطليموس الثاني » وفداً الى « رومية » ليخطب ودها ( فكأنه كان يعرف ما لها من المستقبل العظيم ) . فقبلت رومية صداقة مصر، ومن ذلك الحين كثرت التجارة بين ايطاليا والاسكندرية .

بطليموس الثاني  
يخطب  
ود الرومان

ثم أخذت هذه العلاقات تتدرج في أطوار جديدة بدخول ملوك البطالسة في طور الضعف والاضمحلال: ففي سنة ١٧٣ ق . م . أراد « أنطيوخوس » ملك سورية الاستيلاء على مصر استخفافاً ببطليموس « السابع » الذي لم يتجاوز سنه اذ ذاك الخامسة عشر، فحاصر « أنطيوخوس » مدينة الاسكندرية . فتدخل الرومان في الأمر وثبتوا « بطليموس » في عرشه وردوا « أنطيوخوس » الى بلاده . ثم ان « بطليموس » هذا طرده أخ له من مصر بعد ذلك بضع سنين . فذهب الى « رومية » في حالة رثة

الرومان يحمون  
بطليموس السابع

يطلب المعونة ، فاتفق مجلس « السناتو » على أن يعاد الى « بطليموس » ملك مصر وأن يُعطى أخوه « برقة » فرضى الأخوان بهذا الحكم احتراماً لرومية ، وان لم ينطبق تماماً على رغبة كليهما

يطلبون مشاركة  
مصر لهم في الحرب

وفي عهد « بطليموس التاسع » حضر القائد الروماني « ثيبون الإفريقي » الى مصر لمشاهدتها واختبار أحوالها ، فقوبل بترحاب كبير ، وان كانت زيارته لم تأتِ بنتيجة معينة . كذلك أرسل « سلاً » سفيراً سنة ٨٧ ق . م ليطلب من « بطليموس العاشر » مساعدة الجمهوريه في الحروب الكثيرة التي كانت اذ ذاك قائمة بها ، فلم يجب « بطليموس » ماتمسه ، وإن كان قد أكرم سفيره اكراماً كبيراً

رومية تؤيد  
بطليموس الثالث  
عشر

وفي سنة ٨١ ق . م قام « بطليموس الثالث عشر » مطالباً بالملك بدون أن يكون له حق ظاهر فيه ، وكانت شوكة « الرومان » حينئذٍ قد قويت فأصبح الذي يطالب بالملك يضمه متى عززته رومية . فرشا بطليموس رجالها بمال كثير ففاز بالحكم مدة من الزمان ، وإن كان « يوليوس قيصر » قد حاول أن يحظى بمصر لنفسه

ثم قام المصريون أنفسهم ونفوا « بطليموس الثالث عشر » من البلاد ، فشغل الرومان بشأنه وخطب خطيبهم « ثيشيرون » مدافعاً عنه واقترح إعادة الملك اليه ، فأرسل « بومبي » وحاكم سورية الروماني جيشاً لتنفيذ ذلك فهزموا الجيوش المصرية وأعادوا بطليموس الى عرشه . فكان ذلك من اكبر مظاهر قوة « رومية » ومقدار ما وصل اليه نفوذها في مصر حتى بات ملوك مصر لا يأمنون على ملكهم بدونها

وعند وفاة « بطليموس الثالث عشر » سنة ٥١ ق . م أوصى بأن تخلفه



في الملك ابنته « كليوبطرة » ، وحفظ صورة مختومة من هذه الوصية في مصر وأرسل صورة أخرى الى « رومية » حرصاً على تنفيذها بعد مماته وفي أيام « كليوبطرة » تم استيلاء الرومان جملةً على مصر، فأصبحت ولاية رومانية كما سيأتى بيانه :

ارسال صورة  
من وصيته الى  
رومية

### ﴿ كليوبطرة ﴾

تولت « كليوبطرة » الملك بعد وفاة أبيها سنة ٥١ ق . م وكانت سنها إذ ذاك ١٦ سنة . فأشركت معها في الملك أخيها بطليموس الرابع عشر طبقاً لوصية أبيها . ولكن بعد مضي أربع سنوات عليها أوعز الأوصياء الى أخيها بأن ينفرد في الملك ، وكان قد بلغ إذ ذاك ١٤ سنة فسمع لهم . ولما لم تقدر كليوبطرة على اضطهاد الشعب لها ذهبت الى سورية وجمعت جيشاً في بضعة أشهر وعادت الى مصر سنة ٤٨ ق . م لتسترد عرشها . فتقابل جيشها مع جيش أخيها على الحدود ، وعند ذلك وصل « يوليوس قيصر » الى مصر فصرف كل من المتحاربين جيشه ورفع أمرهما الى قيصر وكانت كليوبطرة ذات جمال وافر ورشاقة بديعة . وكانت على جانب عظيم من الدهاء والفتنة ، ولها المام بلغات عديدة واطلاع واسع في الأدب ، فأثر كل ذلك في قيصر ، وقرر أن تتولى الحكم مع أخيها وأن تزوج به طبقاً لعادة الكثير من الملوك المصريين

قيصر يحكم بين  
كليوبطرة وأخيها

وكان أحد القواد المصريين قد قام وقتئذٍ لإخراج قيصر من مصر

• بعض المؤرخين يسميها كليوبطرة السادسة والآخريقول انها السابعة ،

وقد أطلنا الكلام عليها نوعاً للشهرة التي نالتها في عالم التاريخ والروايات

وَبَعَثَهُ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ . وَلَمْ يَكُنْ قَيْصَرٌ عَلَى تَمَامِ الْأَهْبَةِ ، فَاضْطُرَّ لِإِحْرَاقِ أُسْطُولِهِ خَشِيَةَ أَنْ يَقَعَ فِي يَدِ الْمَصْرِيِّينَ . وَيُقَالُ أَنَّ مَكْتَبَةَ الْأَسْكَندَرِيَّةِ أُحْرِقَتْ أَيْضًا بِهَذَا السَّبَبِ . ثُمَّ اسْتَمَرَ الْقِتَالُ طَوِيلًا بَيْنَ قَيْصَرٍ وَالْقَائِدِ الْمَصْرِيِّ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَيْصَرِ الْمَدَدِ تَمَكَّنَ مِنَ التَّغْلِبِ عَلَى الْجَيْشِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَفِي أَحَدِ هَذِهِ الْوَقَائِعِ غَرِقَ بَطْلِيمُوسُ

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ صَفَحَ قَيْصَرٌ عَنِ الْمَصْرِيِّينَ ، وَغَادَرَ الْبِلَادَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ فِيهَا حَامِيَةً بِرِيَاةِ أَحَدِ قَوَادِمِهِ . وَأَمْرًا بِأَنْ يَتَوَلَّى الْحُكْمَ مَعَ كَلِيُوبَطْرَةَ أُخُوهَا الثَّانِي ، وَسَمَاءَ بَطْلِيمُوسِ الْخَامِسِ عَشَرَ وَزَوْجَهُ بِهَا . وَعِنْدَ ذَلِكَ خَشِيَ كَلِيُوبَطْرَةَ أَنْ يَضِيعَ نَفُوذُهَا وَسُلْطَانُهَا عَلَى قَيْصَرٍ بِمَضَى الزَّمَنِ ، فَتَبِعْتَهُ إِلَى « رُومِيَّةِ » حَيْثُ أُعِدَّتْ لَهَا قَصْرٌ عَاشَتْ فِيهِ لِحِينٍ قَتَلَ قَيْصَرَ فِي سَنَةِ ٤٤ ق . م . فَعَادَتْ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ أَنْ تَوَفَّى أُخُوهَا (وَزَوْجَهَا) فِي رُومِيَّةِ فِي نَفْسِ السَّنَةِ الَّتِي قَتَلَ فِيهَا قَيْصَرَ

وَلَمَّا تَنَازَعَ قَوَادِمُ قَيْصَرَ بَعْدَ مَمَاتِهِ كَانَ النَّصْرُ لِأَنْطُونِيُوسِ وَأُكْتَانِيُوسِ الَّذِينَ أَمَدَّتْ كَلِيُوبَطْرَةَ خَصْمَيْهِمَا . فَاسْتَدْعَاها أَنْطُونِيُوسُ إِلَيْهِ لِتَجِيبَ عَنْ عَمَلِهَا . وَكَانَ إِذْ ذَاكَ بِجَهَةِ « طَرَسُوسِ » بِمَقَاطِعَةِ « كِيلِيكِيَا » ، فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فِي سَفِينَةٍ فَاخْرَةً ، جَمَعَتْ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ وَالزَّخْرِفِ وَآلَاتِ الطَّرْبِ وَالخُدْمِ وَالْحَاشِيَةِ مَا يَذْهَبُ بِالْأَلْبَابِ . فَوَقَعَتْ مُقَابَلَتَهَا لِأَنْطُونِيُوسِ فِي قَلْبِهِ مَوْجِعَ السَّهَامِ ، فَأَفْقَدَتْهُ كُلَّ إِرَادَتِهِ وَصَبَّرَتْهُ خَاضِعًا لَهَا إِلَى آخِرِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، فَصَفَحَ عَنْهَا وَذَهَبَ مَعَهَا إِلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ حَيْثُ عَاشَ فِي لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَتَرَكَ كُلَّ وَاجِبَاتِهِ الْمَسْكَرِيَّةِ . وَلَمَّا رَأَى « أُكْتَانِيُوسُ » أَنَّ أَنْطُونِيُوسَ مَنصَرَفٌ عَنِ أُخْتِهِ الَّتِي كَانَ قَدْ زَوَّجَهُ بِهَا ، وَأَنَّ انْقِطَاعَهُ لِكَلِيُوبَطْرَةَ

كَلِيُوبَطْرَةَ  
وَأَنْطُونِيُوسَ

أنساء كل شيء ، أثار عليه الشعب الروماني ، وأعلن أكتافوس الحرب على كليوباترة ، فخرج كل من أنطونيوس وكليوباترة للقتال ( سنة ٣١ ق.م ) . وكانت كليوباترة تقود أسطولها بنفسها ، ولكنها لما رأت أنها ستغلب على



( كليوباترة )

كما رسمت على الآثار المصرية

أخبر أنها ما زالت على قيد الحياة طلب أن يحمل إليها وهو على تلك الحالة ، فأتت عندها ودفنته باحتفال عظيم ولما اشتد خوفها من « أكتافوس » همت بقتل نفسها ، فوضعت حية على صدرها لدغتها فماتت

أمرها بالقرب من أكتيوم ( غربي بلاد اليونان ) رجعت بأسطولها الى الاسكندرية وادعت أنها الغالبة

واقعة اكتيوم سنة ٣٠ ق.م عند ذلك أدركت

كليوباترة أن نجم أنطونيوس قد أفل ، وخشيت أن تقع فريسة في يد « أكتافوس » ، فحاولت التغلب عليه بالحيلة والدهاء ، فلم تفجح ، فصعدت على قتل نفسها وأرسلت الى انطونيوس تخبره بذلك فظن أنها انحرت بالفعل ، فظعن نفسه بمديّة . ولما



داخل معبد دندرة  
(رسم لکجیان)



ومن أهم آثارها « معبد دندرة » : أسسته هي وزيد في بعدها ، معبد دندرة  
وما زال حافظاً لشكله ورواقه كما ذكرنا  
وبهلاك كليوباترة انتهت أسرة البطالسة في مصر بعد أن حكموا  
نحو ٣٠٠ سنة ، وصارت البلاد من بعدهم جزءاً من الامبراطورية الرومانية

## الفصل الخامس

### كلمة في الامبراطورية الرومانية

قبض اكتافيوس على زمام الدولة الرومانية فتهج منهج الحكمة  
والاعتدال . ولم يظهر بمظهر الملوك ، خشية أن يشور عليه الرومان كما ثاروا  
على يوليوس قيصر من قبل ، فلم يغير شيئاً من نظام الحكومة الظاهر ،  
ولكنه في الحقيقة أخذ يجمع السلطة في يده بالتدريج حتى صار هو  
القابض على كل شيء بدون ان يُشير عليه أحداً . وتد لقب بلقب  
« إمبراطور »\* و« أغسطس » ، فكان حكمه مبدأ حكومة الامبراطورية  
ومنتهى أيام الجمهورية

وحكم أغسطس ٤٤ سنة كانت من أزهى عصور الرومان ، فساد  
فيها السلم وارتقت العلوم والآداب وظهر الكثير من نبغاء الكتاب  
والمؤلفين ، فمن ذلك « فرجيل » و« هوراس » و« أفيد » الشعراء  
و« ليفي » المؤرخ الشهير

ثم استمرت الحكومة الامبراطورية بعد عهد أغسطس . واستولى

• ومعناه القائد

عليها عدة امبراطورين الواحد بعد الآخر ، منهم العادل والظالم ومنهم القوي والضعيف . وآخر من استولى على الملك من أسرة أغسطس ( أى من نسل يوليوس قيصر ) هو « نيرون » الذى اشتهر بالظلم والقسوة والاسْتبداد . ومما ينسب إليه أنه أحرق مدينة رومية . وانفق المؤرخون على أنه يوم إحراقها كان يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها فيُسْر بهذا المنظر ، كأنه ينظر الى رواية تُمثل فى ملهى من الملاهي

نيرون

ومن أشهر الملوك الذين تولوا الملك بعده الامبراطور « تراجان » ( ٩٨-١١٧ م ) وفى مدته بلغت أملاك الرومان أبعد مدى وصلت اليه ، فكانت الدولة الرومانية تمتد من نهر الفرات شرقاً الى شواطئ المحيط الأتلتى غرباً ، ومن شمالي انجلترا شمالاً الى مدار السرطان جنوباً ، وقد قُدرت أراضي هذه الدولة الشاسعة بما يزيد على ١,٦٠٠,٠٠٠ ميل مربع معظمها من أعمار الأرض وأخصبها

تراجان

بلغت الدولة الرومانية نهاية كمالها ، ولكن علة الهرم كانت قد دبّت فيها من قبل ، فأخذت الأمم البربرية ، ولا سيما الألمانية منها ، تكثُر من غاراتها على الحدود الشمالية . وحقاً أخذت الدولة فى التقهقر بعد سنة ١٨٠ ميلادية ، ولم يُوَجَل سقوطها النهائى إلا ظهور بعض الامبراطورين المصلحين الذين كانوا يسكنون باصلاحهم تيار الاضمحلال من آن لآخر . ومن أشهر المصلحين الذين ظهروا فيها اذ ذاك الامبراطور « دقلديانوس » ( ٢٨٤-٣٠٥ م ) . ومن اصلاحاته أنه قسم الدولة الى أربعة أقسام لاتساعها الشاسع ، فولى كلاً منها أميراً ورأس بنفسه أحد الأقسام . فأحدث هذا النظام اصلاحاً فى هيئة الحكومة ، وان لم يدم نفعه طويلاً ،

دقلديانوس  
واصلاحاته



**دَوْلَةُ الْوَقَاتِ**  
 فَأَوَسِّعْ أَظْرَافَهَا.



فبعد أن توفي دقلديانوس اشتدَّ النزاع بين الحكام ، فأفضى ذلك الى حروب داخلية انتهت بغلبة « قُسطنطين » الأكبر على الجميع . فانقرض قسطنطين الأكبر ( ٣٢٣ - ٣٣٧ م ) بالملك ، ولكنه حافظ على باقى اصلاحات دقلديانوس . ومن أعماله أنه جعل المسيحية الديانة الرسمية للبلاد ، فكان بذلك أعظم نصير لها في الأرض منذ وجدت ، وان كان لم يحرم الوثنية

جعل المسيحية  
الديانة الرسمية

### ﴿ نقل العاصمة الى القسطنطينية ﴾

ومن أعمال قسطنطين أيضاً أنه نقل عاصمة الدولة من رومية الى « بُوَزَنْطِيَّة » على شواطئ البسفور . وهذه المدينة قديمة ، أسسها نزلاء الإغريق في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، ثم تقلبت في عدة أطوار كانت فيها خاضعة للإغريق إلى ان استولى عليها الرومان ، فبقيت تابعة لهم الى أن أعجب قسطنطين مناعة موقعها وصلاحيته للتجارة ، فنقل عاصمة الدولة الرومانية اليها سنة ٣٣٠ م ، وسُميت من ذلك الحين بالقسطنطينية تنسبةً الى قسطنطين الأكبر

وقد كان لنقل العاصمة الى القسطنطينية عدة تأثيرات في الدولة : منها ان الدولة أخذت تظهر عليها المَسحة الإغريقية لانطباع هذه المسحة في العاصمة الجديدة من مدة طويلة ، وما زالت تتأثر بذلك شيئاً فشيئاً حتى حلت اللغة الإغريقية محل اللاتينية وصارت اللغة الرسمية للدولة . ومنها أن نقل قوة الدولة الى الشرق حمى الشرق من غزوات الأمم المتبربرة وسهل عليهم غزو الجهات الغربية . ومنها أن مدينة رومية لما هجرها

نتائج نقل العاصمة  
الى القسطنطينية

الامبراطور نظرت الى « البابا » ( الرئيس الدينى ) نظرة الممثل لها ، ومن ذلك العهد ابتداءً نمو سلطة البابوية

الدولتان الغربية  
والشرقية

وبعد وفاة قسطنطين قُسمت الدولة بين أولاده الثلاثة ، ثم اتحدت بعد ، ثم اتقسمت مرة أخرى ، الى ان تم تقسيمها النهائى سنة ٣٩٥ م الى قسمين ، الدولة الغربية وعاصمتها رومية ، والدولة الشرقية وعاصمتها القسطنطينية . وقد استمرت الدولة الشرقية بعد ذلك نحو ١٠٠٠ سنة تمكنت فيها بفضل مناعة موقعها من رد غارات الأمم المتبربرة الأوربية من القوط والسلاف وغيرهم كما صدت غارات الفرس والعرب ، ولكنها لم تستطع الدفاع عن معظم أملاكها : فترجع العرب من يدها شرق آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر وبرقة وافريقية وجزائر البحر الأبيض الشرقية ، وابتداءً ذلك من سنة ٦٢٢م فى عهد القيصر « هرقل » . ثم بقيت

سقوط الدولة  
الشرقية

فى نزاع مستمر مع العرب وأم أوروبا ثم مع الترك حتى أزالها من الوجود الفاتح الأعظم السلطان محمد الثانى بفتح مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م . فأصبحت من ذلك الوقت حاضرة لملك سلاطين آل عثمان الى وقتنا هذا

سقوط الدولة  
الغربية

. أما الدولة الغربية فلم تعمر طويلاً ، اذ كثرت غارات الأمم المتبربرة عليها واستولوا شيئاً فشيئاً على أملاكها . وأخذت قوة امبراطورها فى الضعف حتى كادت تكون أسمية فقط ، وفى سنة ٤٧٦ م اغتصب « أودوكر » زعيم القوط ما بقى من القوة فى يد « روميلوس أغسطليوس » الامبراطور الرومانى ، وبذا سقطت الدولة الرومانية الغربية

## فصل الساذبن

### مصر في عهد الرومان

استولى أغسطس على مصر سنة ٣٠ ق. م فكانت ثمرة انتصاره .  
ولذلك اعتبرها جزءاً من أملاكه الخاصة ، فنع رجال السناتو برومية من  
التدخل في شؤونها . وحرّم عليهم ولاية شيء من أعمالها ، بل الرحلة إليها  
بدون إذن منه

ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها في عهد خول سياسي طويل  
امتد نحو ٦٧٠ سنة ( من ٣٠ ق م الى ٦٤١ م ) لم يكن لها فيه شيء يذكر  
في التاريخ ، بل كانت بمثابة حقل لإنتاج الحبوب وتصديرها إلى رومية  
لسدّ أهم جزء من الخراج

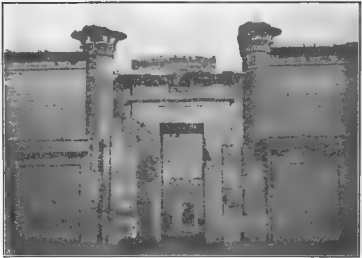
كذلك تقص فيه تشييد المباني العظيمة من هياكل وغيرها ، ولا سيما  
ما كان منها على الطراز المصري القديم ، فإنه بعد أن أقام الرومان على  
هذا النمط بضعة من المعابد الصغيرة ، وشيدوا أجزاء جديدة في بعض  
القديمة مثل معابد « مدينة أبو » \* و « فيلة » و « دندرة » و « قفط »  
وغیرها ، أخذوا يشيدون المباني على الطراز الإغريقي أو الروماني . ولم  
يكن ما شيدوه من هذا النوع أيضاً بالكثير لما أصاب البلاد من الفقر

اشتهار مصر  
بتصدير الحبوب

المباني  
والفنون الجميلة

---

\* غربي طيبة . وقد يطلق على الأثر الذي أوردنا رسمه هنا « المعبد الروماني »  
والحقيقة أن السور الخارجي والقوش التي على قوائم الباب هي التي من عمل الرومان .  
أما البرجان والعمودان فمن آثار البطالسة



(المبد الرومانى بمدينة آبو)

رسم لكيجان

فى أواخر أيامهم باشتداد ظاههم وعسفهم . أما الرسم والتصوير وفن البناء ذاته فقد لحقها الاضمحلال والانحطاط فى العصر الرومانى ، غير أنه ظهر فى هذه الفنون نوع جديد ما بين إغريق ومصرى وهو جميل فى بابه ( انظر شكل التابوت ) . وأخذ اهمال النقوش المهر وغايضة يزداد يوماً فيوماً حتى نُسيت تلك الكتابة بالرة فى آخر العصر الرومانى ، وبقيت النقوش والكتابات الكثرية التى على الآثار المصرية غير مقروءة الى ان حلت رموزها بعد العثور على حجر رشيد كما ذكرنا فى أول الكتاب

وأما نظام الحكومة فلم يغير الرومان منه شيئاً كبيراً ، شأنهم فى نظام الحكومة الممالك التى يستولون عليها ويمجدون بها حكومة منتظمة . فأبقى أغسطس معظم أنواع الأنظمة الداخلية التى اختطتها البطالسة ، ونصب من قبله تاريخ (١٢)

والياً على البلاد، فبقى جوهر هذا النظام متبعاً حتى انتهاء الحكم الروماني  
في مصر



(تابوت من العصر الروماني)

وكان مقرّ الوالي مدينة الاسكندرية،  
وينتقل في أنحاء البلاد لسماع المظالم واصلاح  
المخاصيات وجمع الخراج والإشراف على  
الجيوش وعمال الاحصائيات، وكانت المملكة  
مقسمة الى عدة مديريات يرأس كلّا منها  
مدير، وكان للوالي مساعدان في أول الأمر  
وثلاثة فيما بعد يستعين بهم في الإشراف على  
إدارة أقسام مصر الثلاثة: العليا والوسطى  
والسفلى

وكان معظم هذا النظام متبعاً في زمن  
البطالسة، وحقاً لم يغير أغسطس من نظام  
البلاد شيئاً يذكر سوى إلغاء مجلس مدينة  
الاسكندرية، إذ أراد أن يفهم أهلها  
(وكان معظمهم من الإغريق) انه لا ينبغي  
لهم أن يرتكنوا على قرابتهم من الفاتحين،

وينظروا الى أنفسهم كأنهم أرقى من باقى السكان. فألقى مجلس مدينتهم  
الذى كان أشبه بحكومة محلية تدير شؤونهم، ومنح اليهود جميع الحقوق  
والامتيازات التى كانوا قد اكتسبوها في زمن البطالسة. وبذلك ساوهم  
بالإغريق إن لم يكن قد وضعهم في مستوى أرقى من مستواهم

كثرة الفتن  
والفلاقل الداخلية

وفي زمن الرومان كثرت الفتن والثورات الداخلية بسبب اختلاف عناصر السكان ومذاهبهم في أنحاء مصر خصوصاً الاسكندرية وقد تشكلت هذه الفتن والمشاحنات في أطوار مختلفة : فكانت في أول الأمر بين الإغريق واليهود ، ثم بدخول الديانة المسيحية في مصر فشا النزاع بين المسيحيين والوثنيين ، ثم انتقل الى الطوائف المختلفة التي نشأت في المسيحية ذاتها بتعصب الحكومة الرومانية الى ريق دون ريق وإذ قد بيننا شيئاً من الحالة العامة في مصر أثناء هذا العصر الروماني حسن بنا أن نأتي على بعض الحوادث الهامة التي حدثت في ذلك العصر فنقول :

القرن الاول  
الإصلاح  
التدريجي

كان القرن الأول من العصر الروماني ( ٣٠ ق . م - ٦٨ م ) زمن إصلاح تدريجي في البلاد ، ففيه صُدَّت الغارات عن الحدود الجنوبية ، واتسعت حركة تجارة مصر مع الهند والشرق بطريق البحر الأحمر ، وازدادت الزراعة ( في عصر أغسطس ثم نيرون ) الاعتناء بكبرى الترع والخُلجان التي كانت أهميات من قبل . وقد قامت في هذه المدة عدة ثورات بين اليهود والإغريق بالاسكندرية ، أهمها ما حدث سنة ٣٨ م ، إذ نهب الإغريق الحي الاسرائيلي من المدينة ، وذبحوا عدداً كبيراً من سكانه . وانتهى الأمر بإصلاح الإمبراطور بين الفريقين ، ولكن ما لبثت المشاحنات أن تجددت بينهما

القرن الثاني  
المحافظة على  
التقدم

أما القرن الثاني ( ٦٨ - ١٨٢ م ) فكان معظمه عهد تقدم كبير أيضاً في مصر ، إذ أتت الرقي الذي وصلت اليه البلاد في أواخر القرن السالف وبلغ أقصاه في أيام « نيرون » ( على ماله من سوء السمعة ) حافظ

عليه ملوك القرن الجديد ، فظهرت نتائجه في ثروة البلاد وراحة أهلها  
وتجارها التي اتسعت في الشرق حتى وصلت الى الصين . ومن أعظم ملوك  
هذا القرن الامبراطور « تراجان » ( ٩٨ - ١١٧ م ) الذي حفر خليجاً  
من النيل الى البحر الأحمر لتوسيع نطاق التجارة في الشرق . وفي مدته  
جُدِّد بناء حصن بابلون ؛ وهو حصن قديم لا يُعرف مؤسسه \* . جُدِّده  
تراجان على الطراز الروماني ، ولا تزال بعض مبانيه باقية الى الآن بالقرب  
من كنيسة ماري جرجس بمصر القديمة . وهو الحصن الذي قاوم العرب  
مدة طويلة أثناء فتحهم مصر



( حصن بابلون )

رسم سنة ١٧٩٨

وفي أيام تراجان تم بناء معبد فيلة وشيدت مباني أخرى عديدة في  
أنحاء البلاد

\* قيل هو من بناء الفرس



( قبلة — معبد تراجان )

رسم فزاني

وفي عهده أيضاً حدث في البلاد حَقَطٌ بسبب انخفاض شديد في النيل ، فتداركه الإمبراطور بإرسال عدة سفن من رومية الى الاسكندرية محملة بالفلال . وفي أواخر أيامه حدثت فتن كبيرة بين اليهود والإغريق قام اليهود فيها بذبح كل من وصلت اليه أيديهم من الإغريق وطاردوهم ، فالتجئوا الى مدينة الاسكندرية حيث انضموا لأنفسهم ممن عثروا عليه من اليهود داخل المدينة . واستمر القتال بين الفريقين عدة أشهر . وانتهى الأمر بطرد اليهود الى الصحراء بعد أن سُحق معظم من كان منهم بالاسكندرية

ومن أهم حوادث هذا القرن قيام ثورة داخلية في عهد الامبراطور الثورة الداخلية هـ. أركأ أوريل ( سنة ١٧٢ ) بدأت في بعض فرق الجيش ثم انتشرت في أنحاء البلاد ، فكانت أول شيء من نوعها في زمن الرومان ، إذ أن



جميع الفتن التي حدثت قبل ذلك كانت قاصرة على الاسكندرانيين ، وكانت  
بين بعض الطوائف وبعضها الآخر ، بخلاف هذه ، فإنها كانت على  
عهد مارك أوريل الرومان لظلمهم ، وانتشرت في أنحاء القطر . وقد لاقى الرومان مصاعب  
كبيرة في إخضاع الثائرين ، ولم تُوطد السكينة في البلاد إلا بعد عدة  
سنوات . ثم تار أحد كبار القواد الرومانيين على الإمبراطور ، فحضر  
« مارك أوريل » بنفسه الى الشرق فأخذ الثورة وصرغ عن الثائرين

وقد كان لهاتين الثورتين تأثير سيء في حالة مصر ، فتأخرت  
الزراعة وأخذ الفقر يدب في البلاد . ومن ذلك الحين وقف التقدم الذي  
ابتدأ منذ دخول الرومان ، وما لبثت البلاد طويلاً بعد ذلك حتى دخلت  
في طور تقهقر طويل استمر الى أيام الإمبراطور « دقلديانوس » الذي  
تولى الحكم سنة ٢٨٤



ومن أخبار ذلك العصر  
السيء أن الإمبراطور « كراكلا »  
لما تولى الملك سنة ٢١١ ، وكان  
ظالماً ضعيفاً ، سخر منه  
الاسكندرليون وعرضوا باسمه في  
نكاتهم وهزلهم . فأتى بنفسه الى  
الاسكندرية لينتقم منهم ، فجمع

كراكلا

الامبراطور كراكلا  
عدداً كبيراً من شبانهم خارج المدينة وقتلهم . ثم أقام جداراً بالمدينة قسمها  
به الى قسمين ، وحرّم على سكان أحد القسمين الاختلاط بالقسم الآخر ،  
وأبطل الألعاب التي كان يقيمها الاسكندرليون

ومن أخبار ذلك العصر أيضاً أن الامبراطور « اسكندر سفيرئوس » أرسل والياً الى مصر من المشاغبين المنضوب عليهم في رومية . ومن ذلك يُعلم مقدار انحطاط منزلة مصر في نظر الرومان حتى أصبحت منقًى للمذنبين

وفي سنة ٢٦٨ م أغارت زُنُوبيا <sup>(١)</sup> ملكة « تَدْمُر » من شمالي بلاد العرب على الشام ومصر ودخلت البلاد بعد مقاومة شديدة من الرومان ، وساعدها على ذلك بعض قبائل « بِلَعِي » (البُجَّة) <sup>(٢)</sup> . وكانت هذه القبائل كثيرة الإغارة على الحدود الجنوبية ، فظاهروا أهل تدمر لما بينهم من القرابة الجنسية ، واستولت زنوبيا على معظم البلاد المصرية أكثر من سنتين الى أن تمكن الرومان من جمع جيش كبير وأخرجوها منها

استيلاء زنوبيا على مصر

بقيت البلاد على هذا الضعف حتى أتى « دِقْلِدِيَانُوس » المتولى سنة ٢٨٤ م فنالت مصر جانبا من الاصلاحات التي قام بها في أنحاء الدولة الرومانية ، فصد هجمات البجة وغيرهم من القبائل العربية التي كانت لا تزال تغير على شرقي الصعيد ، وأقام بعض قبائل النوبة حراساً على تلك الجهات . ثم أصلح مالية البلاد ونظم ضريبة الفلال من جديد ، فخصص جزءاً منها لرومية وجزءاً لبذر الأرض ، والثالث لأهل الاسكندرية ، إعانة لهم على ما نالهم من الفاقة بسبب كثرة الثورات والقلاقل . فعظم ذلك الجميل في أعين الاسكندريين وقَدَرُوهُ حق قدره ، فأقاموا عموداً جميلاً بالمدينة تذكراً لهذا الملك الشفيق ، واعترافاً بما أسداه اليهم من الجميل . ولا يزال هذا

صد هجمات البجة

عمود السواري

(١) هي الزبباء الشهيرة (٢) يقال انهم أجداد البشاريين الذين لا يزالون

يقيمون بأعلى الصعيد

العمود بالاسكندرية ويعرف بعمود السوارى . وقد يسمي أحيانا بعمود



( عمود دقلديانوس )

المعروف بعمود السوارى

بومبي ( وهو اسم غير صحيح لا أصل

له ) . وما يؤسف له أن السكينة التي

السيجة في مصر سادت في البلاد على يد دقلديانوس

لم تستمر طويلاً . بل انقلبت في

أواخر أيامه إلى اضطرابات شديدة

انتشرت في أنحاء مصر بسبب اضطهاد

دقلديانوس للمسيحيين . ويبان ذلك

أن الدين المسيحي كان قد دخل الدير

المصرية من زمن بيميد على يد القديس

مرقس « ( والأرجح أن ذلك كان

في عهد نيرون ) ، فوجد في مصر أرضاً

خصبة ، فكانت أول أرض قوى

شأنه فيها ، ودخل فيه أناس كثيرون . وما زال عدد أتباعه يزداد يوماً

فيوماً ، واعتقادهم فيهم يقوى شيئاً فشيئاً حتى ملك دقلديانوس . فلما رغب

إلى الرعايا أن يضعوه موضع الألوهية ليضمن بذلك حياته وما كره لم يخضع

لإرادته مسيحيو مصر . وقاوموه مقاومة كبيرة . فاضطهدهم وعدبهم ، فلم

يزدهم ذلك إلاّ تمسكاً بدينهم ، فذبح منهم عدداً عظيماً في جميع أنحاء البلاد

من جميع طبقات أهلها . ويقال ان من بين الذين ألح عليهم الامبراطور

في الارتداد عن النصرانية فتاة حسناء تعرف بالسيدة « دميانة » ، وكانت رئيسة

لدير بجمهة بلفاس ، فلم تسمع له ، فمذبها ، ثم أمر بذبجها وما زال قبرها

بتلك الجهة مقدساً إلى الآن يزوره الأقباط كل عام . وقد ترك عصر  
دقلديانوس أثراً كبيراً في نفوس الأقباط حتى أنهم سموه «بمعصر الشهداء» ،  
وجعلوا أوله ( سنة ٢٨٤ م ) مبدأً لتقويمهم يحسبون منه السنين والأيام  
أضاعت هذه الاضطرابات ثمرة ما أصاحه دقلديانوس . وبقي  
المسيحيون في اضطهاد حتى تولى الملك قسطنطين وجعل النصرانية الديانة  
الرسمية للدولة . فكان يُظن أن البلاد تتقدم في عهده كثيراً . ولكن ما  
كادت تستقر قدمه في الملك حتى ظهر في مصر الخلاف بين الطوائف  
المسيحية المختلفة ، واستفحل أمره شيئاً فشيئاً بسبب تعصب ملوك بوزنطية  
لمذهب الأقلية وعدم احترامهم لمذهب الأغلبية ، إذ كانت لهم بمصر طائفة  
مسيحية من الروم تؤيدها الحكومة تسمى بالطائفة الملكانية ، مع أن  
السواد الأعظم من المصريين كانوا تابعين لطائفة أخرى تدعى اليعقوبية ،  
وكانوا يلاقون من الروم اضطهاداً كثيراً فزادت كراهمهم لحكم الرومان  
وسهل عليهم في القرن السابع بعد الميلاد الاستسلام لحكم الفرس ، ثم  
الترحيب بالعرب كما سيأتي بيانه

وفي عهد قسطنطين ظهرت الرهبنة في المسيحية لأول مرة ، فكان  
ذلك مبدأ تأسيس الأديرة التي عظم شأنها في القرون الوسطى بأوروبا  
وكان لها أكبر أثر فيها . وراجت في مصر الرهبنة والأديرة رواجاً كبيراً  
حتى أن الحكومة اعترفت ببعض الأديرة بعد ذلك بنصف قرن ،  
وسمحت بأن تكون لها أملاك خاصة بها . وانتظم كثير من الناس في سلك  
الأديرة هروباً من الخدمة العسكرية وفراراً من الضرائب الباهظة ، وزاد  
ذلك حتى كاد يؤثر في حالة الحكومة

عصر الشهداء

الملكانية  
واليعقوبية

الأديرة في مصر

﴿ استياء المصريين في عهد الدولة الرومانية الشرقية ﴾

كانت مصر في العهد الأخير من الحكم الروماني في حالة بوَس شديد وفقير مُدْفِع ، تزداد حالها تَعَسًا على تماس منذ عهد نيرون . اللهم إلا فترة قصيرة في عهد دقلديانوس رجعت بعدها الى ما كانت عليه من التدهور المستمر ، فأصبح الأهليون بمثابة آلات لإنبات القمح ، وقد كادت زراعته تكون هي الحرفة الوحيدة في البلاد إذ ذاك . ثم صارت الثروة قاصرة على أفراد قليلة ، وكثيراً ما كانت القرية الواحدة بأكلها في قبضة رجل واحد من الأثرياء ، مما قتل نفوس العباد ، وقضى على حياتهم الأدبية ومن الأسباب التي ساعدت على استياء المصريين ما يأتي :

أولاً - زيادة الضرائب زيادة فاحشة ، حتى أصبح كل شيء تقريباً لا يخلو من ضريبة مفروضة عليه

ثانياً - تعصب الحكومة في آخر العهد للإغريق وإيثارهم بكل منفعة ، مع أنهم ليسوا إلا عدداً قليلاً لا يمثل الأمة تمثيل القبط الوطنيين  
ثالثاً - قَصْر كثير من المناصب على بعض الأسرات المثرية وجعلها وراثية فيها

رابعاً - حكم الدولة لمصر بسياسة القهر والسلاح وعدم استجلابها محبة الأهلين

خامساً - عدم استتباب الأمن في البلاد ، كما يُعلم من أوراق البردي الكثيرة المملوءة بشكاوى أهل ذلك العصر من حوادث السرقة والنهب والاعتداء

دخول الفرس  
في مصر

وفي سنة ٦١٠ استولى الامبراطور «هرقل» على عرش الروم ، وفي  
أيامه توغل الفرس في أملاك الدولة الرومانية ، فأغاروا على سورية واستولوا  
على دمشق وبيت المقدس سنة ٦١٥ م . ثم زحفوا على مصر وفتحوا  
الاسكندرية سنة ٦١٧ م . وكان هرقل كبير النفس على الهمة ، فأثار  
نهضة قوية جديدة على الفرس أدت الى انتصار الروم ، ولم تأت سنة ٦٢٨ م  
حتى نكص الفرس على أعقابهم ، وساق هرقل جيوشه الى قصر كسرى  
فأحرقوه\* . وعند ذلك اضطر الفرس الى الانسحاب من مصر . فعاد  
اليها الرومان ، غير أن العيش لم يطب لهم فيها طويلاً ، فاستولى عليها  
العرب سنة ٦٤١ م بقيادة البطل العظيم عمرو بن العاص ، كما سيأتي بيانه  
ان شاء الله تعالى

---

\* هذه هي الحوادث التي نزلت فيها الآية الشريفة « أَلَمْ غَلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى  
الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ » . وكان ذلك من معجزات  
النبي صلى الله عليه وسلم

ملخص

أهم الحوادث التاريخية من عهد دخول الفرس في مصر الى أن فتحها العرب

البلاد الأجنبية	التاريخ ق م	مصر
تأسيس «كورش» لدولة فارس	٥٥٠	
واستيلاءه على «ميديا»		
استيلاءه على «ليديا» ومعظم المدن الاغريقية بآسيا الصغرى	٥٤٦	
استيلاءه على بابل	٥٣٨	
	٥٢٥	
حكم دارا الأول ملك فارس	٤٨٦ - ٥٢١	استيلاء الفرس على مصر بقيادة ملكهم «قيز»
طرده آخر ملك من ملوك رومية الأقدمين	٥١٠	قدوم دارا الأول الى مصر وقيامه باصلاحات كثيرة
مهاجرة البليان من رومية	٤٩٤	
واقعة مرتون بين الفرس والاعريق	٤٩٠	
	٤٨٦	
حكم اجزرسيس الأول ملك فارس	٤٨٥ - ٤٦٥	اخراج الفرس من مصر
	٤٨٥	
واقعة ترموبيل وواقعة سلاميس	٤٨٠	رجوع الفرس الى مصر
صد الفرس جملة عن بلاد الاغريق	٤٧٩	
عصر بركليس	٤٨٠ - ٤٣٠	
حكم ارتجزسيس الأول ملك فارس	٤٦٥ - ٤٢٥	محاولة المصريين أن يطردوا الفرس
حروب بلوجونيز	٤٢١ - ٤٠٤	استمرار في العمل على طرد الفرس
حكم اجزرسيس الثاني ودارا الثاني	٤٢٥ - ٤٠٤	
	٤٠٥	طرد الفرس من مصر لثاني مرة
استيلاء الرومان على فياي	٣٩٦	
اغارة الفالين على رومية	٣٩٠	
	٣٤٠	
قهر الاسكندر الفرس في واقعة اسوس	٣٣٣	دخول الفرس مصر لثالث مرة وانقراض دولة الفراعنة

البلاد الأجنبية	التاريخ ق م	مصر
	٢٣٢	دخول الاسكندر مصر وتأسيس مدينة الاسكندرية
قهر الاسكندر الفرس في واقعة اربيل	٣٣١	
	٢٢٣ — ٢١	عهد البطالسة في مصر : ٢٩٢ سنة
	٢٨٥ — ٢٢٣	(١) بطليموس الأول : غزو فيليقية وجزء من سورية والاستيلاء على بيت المقدس
حرب رومية مع « بيروس » ( ٢٨٠ — ٢٧٥ ) — سقوط « تارتو » في أيدي الرومان ( ٢٧٢ ق م )	٢٤٧ — ٢٨٥	لقب بلقب « ملك » — نظم البلاد ووسع الاسكندرية (٢) بطليموس الثاني : جدد الخليج القديم بين النيل والبحر الاحمر وجدد وادي الحمامات — راجت التجارة وارتقت العلوم والمارف — عظم مكتبة الاسكندرية ودار تحفها — بخطب ود رومية (٢٧٣)
	٢٢٢ — ٢٤٦	(٣) بطليموس الثالث : الاستيلاء على قيريقية (رقة) وجميع سورية حتى نهر الفرات — استرد السوربول الاجزاء الشرقية — اخضاع بلاد النوبة — تشيد مبان عظيمة ( مبد أدفو )
الحرب البونية الاولى واقعة ميبلى	٢٤ — ٢٦٤	اضمطلال البطالسة ( ٢٢٠ — ٣١ ق م ) بسط نفوذ الرومان على البطالسة تدريجياً :
انهزام ريجولوس باعريقية	٢٥٦	(١) تأييد الرومان لبطليموس السابع : ١٧٣
انهزام القرطاجيين بالقرب من جزائر اجيت	٢٤١	(٢) استمداد الرومان لبطليموس العاشر في حروب رومية السكتيرة : ٨٧
الحرب البونية الثانية واقعة ترازمين ٢١٧ واقعة كان ٢١٦ واقعة متوروس ٢٠٧ واقعة زاما ٢٠٢	٢٠١ — ٢١٨	(٣) تأييد الرومان لبطليموس الثالث عشر بدون حق : ٨١ (٤) ارسال بطليموس الثالث عشر صورة من وصيته بالملك عند وفاته الى رومية لتعفظ بها : ٥١ (٥) قيصر يفصل بين كليوبطرة وأخيها : ٤٧ (٦) واقعة اكتيوم واستيلاء الرومان على مصر : ٣١ (أو ٣٠)
الحرب البونية الثالثة — احراق قرطاجنة — انتهاء الحرب البونية وابتداء سيادة الرومان في الغرب	١٤٩ — ١٣٦	
تنازع السلطة بين ماريوس وسلا رومية	٨٨ — ٨٢	
تولي سلا دكتاتوراً على الدوام	٨٢ — ٧٩	



البلاد الأجنبية	التاريخ ق م	مصر
ظهري بومي	٨٠ - ٦٧	
ظهري بوليوس قيصر	٦٧ - ٦١	
الحكومة الثلاثية الاولى (تميين قيصر قنصلا سنة ٥٩)	٦٠	
غزو بلاد الفال (غزو برطانية سنة ٥٥)	٥٨ - ٥١	
تميين بومي قنصلا وحده	٥٢	
واقصة فرساليا بين بومي وقيصر وقتل بومي بالاسكندرية	٤٨	
قتل قيصر برومية	٤٤	
الحكومة الثلاثية الثانية	٤٣	
وفاة نيرون ٦٨ م	٣٠ ق م - ٦٤١ م	عهد الرومان في مصر (نحو ٦٧٠ سنة)
		تقدم في اول العصر بلغ انصاه في عهد نيرون - اشتهار مصر بالحبوب وكثرة تصديرها الى رومية - كثرة الثورات والفتن بين اليهود والاغريق بالاسكندرية مثل :
	٣٨ ميلادية م	فتنة سنة ٣٨ ميلادية دخول المسيحية مصر (في عهد نيرون)
	٩٨ - ١١٧	عهد الامبراطور تراخان حفر الخليج بين النيل والبحر الاحمر - تجديد حصن بابليون اتمام معبد فيلة
	١٧٢	قيام ثورة في الجيش ضد الرومان لظلمهم وتأثير هذه الثورة السي في تأخير الزراعة وحالة البلاد على العموم مدة طويلة
	٢٦٨	اغارة زنوبيا ملكة تدمر على مصر ومساعدة قبائل البجة لها قدوم دقلديانوس الى مصر - اقامة عمود السواري (عصر الشهداء سنة ٢٨٤ م)
	٣٠٠ - ٦٤١	عصر ظلم واستبداد كثرت فيه الفتن الداخلية بسبب اختلاف طوائف المسيحية
	٦١٦	دخول الفرس مصر
	٦٢٨	طرد الرومان الفرس
	٦٤١	خروج الرومان من مصر واستيلاء العرب عليها

# الباب الثالث

## عهد الدول الإسلامية

### الفصل الأول

#### العرب وفتوحهم

(١) - \* العرب قبل الإسلام \*

العرب أمة قديمة العهد لا يزال جيلها متميزاً واقتها حية منذ آلاف  
من السنين

والعرب أمة سامية جلت من الشمال ، ونزلت في أزمان بعيدة ،  
وأحوال العرب وطبقاتهم

وعصور متفاوتة جزيرة العرب من غربي آسيا . وهم ثلاث طبقات :

(١) العرب البائدة ، من عاد وثمود وطسم وجديس وحضرموت

والمالقة وغيرهم . وهم سكان الجزيرة القدماء

(٢) العرب العاربة ، وهم الجالية الثانية من ولد يعرب بن قحطان

جد العرب المسمين بالقحطانيين ، النازلين في الجنوب أولاً ، والمشتتين

في الوسط والشمال آخراً ، بحدوث الفتن الكثيرة بينهم وظلمهم أنفسهم

وفساد مراقهم ومزارعهم وتهدم سدود مياههم

(٣) العرب المستعربة ، من العبرانيين ولد اسماعيل بن ابراهيم (عليهما السلام) ، وهم الجالية الثالثة النازلون أولاً في مكة والمنتشرون بعد في وسط الجزيرة وشرقها . وهم المسمون بالعدنانيين نسبة الى جدّهم عدنان ، وهو آخر عمود النسب المعلوم لهم من بني اسماعيل . ومن شعب قحطان وعدنان تتألف العرب

البدو والحضر

وليست العرب كلها أمة بدوية ، بل ان من نزل منهم البقاع الخصبة أنشوا دُولاً عتيّدة ، مثل دول التّابعة في اليمن والناذرة من الأحميين في العراق والفسانيين في الشام . وجل هذه الدُول من القحطانية وكان أكثر العرب العدنانية بدواً يعيشون في وسط الجزيرة وغربها وبعض شرقها كما يعيش العرب الرحّل الآن

وإذ كانت جزيرتهم تحوطها الصحارى والبحار وبلادهم لا تقوم بنفقات الجيوش الجرارة الغازية لها ، عاشوا أكثر أزمانهم في مأمن من غارات الفاتحين وعبث الملوك المستبدين . والنازلون منهم في أطراف الممالك الشمالية العظيمة كالروم والفرس اتخذتهم تلك الممالك حرساً على حدودها وعوناً لها على أعدائها ، كالمناذرة مع الأكاسرة والفسانيين مع الروم

ومن أخلاق العرب التي طبعت فيهم بطبيعة بلادهم : الحرية والشجاعة والكرم والوفاء والأخذ بالثأر والقناعة

اخلاق العرب وعاداتها

ومن عاداتهم القديمة تقليل الطعام والنمائم ورياضة الجسم وتقديم الكبير في الرأي والعمل

ولم يكن للبدو منهم من علوم الحضر وصناعاته الدقيقة المتقنة شيء يذكر . وإنما كانت علومهم فرض الشعر ( وهو ديوانهم ومنبعت آدابهم )

علوم البدو والحضر

وعلم أنساب العرب وأخبارها وأيامها ، وعلم أحوال الجو والنجوم من أسماؤها وحركاتها ومنازلها وأنوائها<sup>(١)</sup> ومهبّ الرياح ومناثي السحب وعلم القيافة<sup>(٢)</sup> ولم يكن لهم في الطب إلا ما عرفوه بالتجارب أو تلقاه حكماؤهم من أطباء النَّسَاطِرَةِ<sup>(٣)</sup> والروم المجاورين لهم . ولم يكن هذا شأن دولهم المتحضرة في اليمن والعراق والجزيرة والشام ، فقد كانت لهم علوم وصناعات ، كدبغ الجلود ونسج الملابس وطبع الأسلحة ، وخاصة اليمن التي كانت وسائل معيشتها التجارة والزراعة والصناعة . ولذلك لم يكن كلهم أميين كما كان الشأن في عرب البادية ، بل كانت اليمن تكتب المُسْتَد ( الذي قيل انه من اختراعها ) وعرب الشمال تكتب النبطي والأنباري من الخطوط العربية أما ديانات العرب فكانت على ضروب وأنواع شتى ، حتى لم يمكن القول بأنهم عبدوا كل ما كان يعبد في الأرض في عصورهم ، بل أن منهم من أنكروا المعبود بتة . فمن العبدة الموحّدون الباقيون على مذهب ابراهيم ، ومنهم عبدة النجوم والشمس والقمر والكواكب السيارة وبعض الثوابت ، ومنهم المجوس الثنوية<sup>(٤)</sup> وعبدة النار ، وعبدة الجن والملائكة ، ومنهم اليهود والنصارى ، وعبدة الأحجار والأشجار . وكلما كانت عبادة من هذه تخلو من اتخاذ الأصنام إماماً معبودة لذاتها ، وإماماً معتبرة شفعاء لهم عند الله . وكانت الكعبة (المعتبرة أقدم معبد لهم من عهد اسماعيل) تُنصب عليها وحولها الأصنام المختلفة

ديانة العرب

(١) جمع نوء وهو غروب نجم معلوم في الفجر وشروق آخر في وقته . ويزعمون ان ذلك يبعث المطر (٢) علم معرفة الأشياء بآثارها كمواقع الاقدام على الأرض ونحو ذلك (٣) طائفة نصرانية (٤) فرقة تقول بانثينية الاله أى اله الخير واله الشر تاريخ (١٣)

(ب) ﴿ تَأْتِرُ بَعْثَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴾

( في تأسيس مجد الأمة العربية وانتشار الملة الإسلامية )

كانت الروم قبيل البعثة قد استولى عليها بعض الضعف بطول ضعف ملوكها ، وجاوزت الحد في الترف والانهماك في اللذات . وألهتهم فتنهم الدينية والسياسية عن أن يكونوا دعاة سلام ورعاية لأمتهم أنفسهم وإن سقط في أيديهم من الأمم . وكانت فارس قد أخذت تنتقص أطراف بلادهم ، بل كادت تحترق قلب مملكتهم : فاستولت على مصر سنة ٦١٦م ، وكانت على وشك بسط سلطانها الى ما وراء ذلك ، لولا انحلال قوتها نوعاً ما بسبب حروبها الطويلة مع الروم وبعض الفتن الأهلية ، وظهرت أمة بدوية قوية اكتسحت أمامها كلاً منها واستولت على أجل بلاد العالم المتمددين : تلك هي الأمة العربية المفطورة على حب القتال ، والتي ما زالت في جاهليتها تخطو الى جمع شملها وتوحيد كلمتها ، الى أن تهبأت لقبول الوحدة الدينية والسياسية بالدعوة العظيمة المحمدية ، فأنهضتها نهضة لم يحل دونها أعظم ممالك الأرض

الروم والفرس  
قبل البعثة

وذلك ان العرب كانت في جاهليتها قبائل متقاطعة متدابرة قد أنهكتهم الغارات وإدراك الثارات ، فحدثت أمور استدعت تضامهم وائتلافهم بعض الشيء ، فهد ذلك للإسلام طريق جمعهم على كلمته وقيامهم بدعوته . فمن تلك الأمور :

تهيؤ العرب  
لقبول الوحدة  
الدينية والسياسية

( ١ ) اتفاهم مع اختلاف ملهم ونحلهم على تعظيم الكعبة واعتقاد مناسك الحج وتشريف قريش سدة الكعبة وأهل البصر بالدين منهم ،

• خدمتها وقوامها

وتحريمهم على أنفسهم إحداث حرب في الأشهر الحرم من السنة إلا إذا  
أحلت لهم ذلك أشراف كِنانة وفريش

(٢) انتشار التجارة في العصور الأخيرة بينهم ، وقيام فريش بها  
بين اليمن والشام والعراق واقتداء كثير من القبائل بهم ، واختلاطهم بالأمة  
المتدينة ، فتولّد فيهم حبّ تبادل المنفعة

(٣) اتخاذهم الأسواق الكثيرة للتجارة وتجاذب الأفكار وتناشد  
الأشعار والقاء الخطب والمباهاة بفصاحة اللسان وشرف العشير واستكمال  
الصفات المدوحة فيهم ، مما كاد يوحد لغتهم وآدابهم ، ويحسن التفاهم  
بينهم . ومن أشهر هذه الأسواق عُكاظ وذو المجاز

(٤) قصد الفرس لبلاد العرب لإبادتها ، وتجمع بعض قبائل العرب  
لصد غارتهم ، وانتصارهم عليهم قبيل انتشار الإسلام في موقعة «ذى قار»  
عرفوا من كل ذلك فائدة الاتحاد ، وزادت ثقمتهم بأنفسهم ، فتطلعوا  
الى الانتفاع بمواهبهم ، وهياهم الله لأن يكونوا رسل الهداية والتوحيد  
المطلق لعامة البشر ، فأرسل رسوله فيهم ، فلم شعنتهم وجمع شعابهم وساقهم  
هو وأصحابه من بعده الى أملاك كسرى وقيصر فافتتحوها ، وقام لهم فيها  
ملك كبير

﴿ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ﴾

وُلد عليه الصلاة والسلام بمكة سنة ٥٧١ م من أشرف أبوين في مولده ومنشؤه  
فريش ، وهما «عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم» ، و«آمنة بنت وهب  
ابن عبد مناف» . ومات أبوه بعد شهرين من جملة ، وأمّه في السادسة  
من عمره . وكفّله جدّه منذُ ولد الى الثامنة . فكفله عمه أبو طالب حتى بلغ

مبلغ الرجال . فكان أوحد الناس عفة وأشرفهم قصداً وأصدقهم حديثاً  
وأعظمهم أمانة ، حتى صار يلقب في مكة بالأمين

وكان يعيش مما يعيش منه أكثر أشرف قريش : تربية الإبل  
والنعم وربح التجارة . فعمل في ماله ومال عمه ومال السيدة خديجة التي  
تزوجها بعد وصارت أمماً لأكثر أولاده ، وكان له من شرف بيتها ومالها  
وحسن عشرتها خير معين له في حياته قبل البعثة وبعدها

ونشأ رسول الله مُبغضاً لعبادة الأصنام وشرب الخمر ولعب الميسر  
وكل ما كانت تدين به الجاهلية ، وحبب إليه النُّسك والزهد ، فكان  
كثيراً ما يذهب إلى غار حراء قُرب مكة ليتعبد ويذكر الله فيه حتى بُعث  
للناس بشيراً ونذيراً . فأتاه فيه الوحي أول مرة بالقرآن الكريم والرسالة .  
فذهب وأخبر السيدة خديجة ، فأمنت به وآمن ابن عمه « علي بن أبي  
طالب » وهو صبي ، وآمن مولاه زيد بن حارثة ، وآمن صديقه الحميم  
أبو بكر . وكان أبو بكر رجلاً سهلاً محبباً لقومه عالماً بأنسابهم وأخبارهم .  
وكان رجال قومه يالْفونهُ لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى  
الإسلام سرّاً من وثق به منهم . فأسلم علي بن عبد عثمان بن عفان والزبير بن  
العوّام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله .  
فكان هؤلاء هم المسلمين السابقين ، وبهم انتشر الإسلام

بعد أن أسلم من ذكرنا من الصحابة أخذ رسول الله هو وأصحابه  
هؤلاء يدعون الناس سرّاً إلى الإسلام حتى صاروا نحو أربعين رجلاً  
يجمعون خفية في دار أحدهم ، فانضم إليهم عمر بن الخطاب وحزرة عم النبي ،  
وبهما اعتز الإسلام

انتشار الدعوة  
المحمدية

ومكث النبي بمخني الدعوة ثلاث سنين ، ثم أمره الله باظهارها واذار  
عشيرته الأقرين ، فنبذوا دعوته و عملوا على ابطالها بكل قوام ، تحمسا في  
دينهم ، إذ كانوا رؤساء دين العرب وأهل البيت الحرام ، وخوفاً أن تنتقض  
عليهم العرب فتبور تجارتهم وتخطفهم الناس ، وحسداً لرسول الله أن  
يستأثر بالنبوة والسيادة عليهم على فقره وقلة جاهه . ولذلك كان أشد الناس  
معارضة له وإذراء عليه أشرف قريش وأغنياؤهم ، كعمه ابى لهب وكأبى  
جهل وأبى سفيان ، ولكنه كان محمياً منهم بعمومته وأصهاره . ومن لم يكن  
من أصحابه له نصير أمره بالهجرة الى الحبشة ، حتى مات عمه أبو طالب  
وزوجه خديجة . فقل بموتها ناصره وأصبح في حاجة الى قبيل يعتز به ،  
فعرض نفسه على القبائل في الأسواق ومواسم الحج يدعوم الى توحيد الله ،  
فاستجاب له ستة نفر من أهل المدينة ، فأسلموا ورجعوا الى قومهم ، فأسلم  
كثير على أيديهم ، ثم رجع منهم في الموسم التالي اثنا عشر رجلاً بايعوه  
على الاسلام ، وبعث معهم النبي صل الله عليه وسلم مُصْعَب بن عُمَيْر ليعلمهم  
القرآن وشعائر الاسلام . فانتشر بهم الاسلام في المدينة حتى لم تبق دار  
ليس بها مسلم الا القليل

ثم جاءه في الموسم الثالث ٧٣ رجلاً وامرأتان بايعوه على الإيمان  
والمدافعة عن دعوته بالسيف ، ثم عادوا الى المدينة . وقد تمكن بذلك أمر  
رسول الله وأصحابه ، فأمرهم بالهجرة الى المدينة ، فخرجوا اليها تباعاً

ولما علمت قريش أن أهل المدينة بايعوا النبي صل الله عليه وسلم على  
حرب العرب والمعجم ، وأنذ على عزم الخروج اليهم ، خافوا أن يؤت بهم عليهم  
وينزروهم في دارهم ، فعمزوا على قتله . فعلم بذلك فخرج مع أبى بكر مهاجراً

هجرة



الى المدينة سرّاً . ففرح به أهلها ، واتخذها دار إقامة ، وبنى بها مسجده  
العظيم أحد الحرمين الشريفين . ثم تلاحق به أصحابه من مكة . فسيماهم  
المهاجرين ، وسمى أهل المدينة الأنصار . ثم أخذ ينشر دينه بالدعوة اليه  
مع حماية هذه الدعوة بالسيف إن اعترض لها معترض بالقوة ، كالتعدى  
على المؤمنين ، ومنعهم أن يظهروا شعائر دينهم ، أو الوقوف في سبيل الداعي  
بالقوة ، ومنع مرید الاسلام من اعتناقه <sup>(١)</sup> ، فكان من ذلك غزواته التي  
أيد الله بها الاسلام وأطلقت للناس الحرية في عبادة الله وحده

غزواته وسراياه بلغت غزوات رسول الله ٢٧ ، وقع القتال منها في تسع . وبلغت  
سراياه <sup>(٢)</sup> وبموته ٤٨ . فمن أعظم غزواته :

(١) غزوة « بدر » <sup>(٣)</sup> الكبرى . وهي أول غزوة انتصف فيها  
الاسلام من أعدائه بالسيف ، وبها اشتد أزره وقويت كلمته . وذلك أن  
قريشاً كانوا أشد الناس نكاية في الاسلام وصداءً عن سبيله ، فأخرجت  
المسلمين من ديارهم ، وصادرت أموالهم ، ومنعتهم من المسجد الحرام وحبّه

(١) من هذا يعلم أن الغرض من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ليس مجرد  
الفتح والملك ، بل الغرض نشر دينه بالتي هي أحسن ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا  
عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) . ولذلك كان المسلمون يعرضون الاسلام على القبائل  
والأُمم ، فاذا امتنعوا رضوا منهم أن يقوا على دينهم في مقابل ضريبة صغيرة هي  
الجزية ، وبها يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . فاذا امتنعوا من كليهما وصدوا  
عن السبيل وجب حربهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله

(٢) الغزوة ما خرج فيها رسول الله بنفسه وقع فيها قتال أم لم يقع . والسرية  
ما أرسل فيها قائداً غيره

(٣) موضع أو بئر بين مكة والمدينة

وهو ركن من دينهم ، وبقيت تعمل بعد هجرتهم على كيدهم ، فرأى النبي أن يضعف قوتهم بتعطيل متاجرهم الى الشام والإغارة على قوافلهم . فبلغه أن « أبا سفيان » عائد من الشام بتجارة لقريش ، فتمرض لها ، ونهضت قريش لا تقاذهما ، فالتقى الجمعان على ماء بدر في ١٧ رمضان سنة ٥٢ هـ ( ٦٢٤ م ) . وكان عدد المسلمين ٣١٣ رجلاً وعدد المشركين ٩٥٠ ، فانتصر المسلمون ، وقتلت صناديد قريش ، وفيهم أبو جهل أكبر أعداء النبي . ورجع رسول الله الى المدينة ، وقبِل فداء بعض الأسرى بالمال ، ومن لم يكن له مال ممن يعرف القراءة والكتابة جعل فداءه تعليم عشرة من الأتصار الكتابة<sup>(١)</sup>

(٢) غزوة « أحد » . وذلك ان قريشاً اجتمعت في ثلاثة آلاف احد مقاتل بقيادة « أبي سفيان » للأخذ بشار قتي « بدر » . فالتقى بهم النبي وأصحابه في ٧٠٠ رجل يوم ٧ شوال سنة ٥٣ هـ ( ٦٢٥ م ) عند جبل « أحد »<sup>(٢)</sup> . فانتصر المسلمون أولاً ، ثم خالف بعضهم أوامر النبي ، ففارقوا مكانهم ، فانكشفوا وجرح النبي ، وقتل المشركون من المسلمين بقدر ما قتل هؤلاء منهم يوم بدر . ورأوا أنهم أخذوا بشارهم فكفوا عن القتال ، وتجاوز الفريقان وانصرف أبو سفيان الى مكة . ودفن النبي الشهداء ، وفيهم « حمزة » عمه ورجع الى المدينة

(٣) غزوة الخندق أو الأحزاب : وذلك ان قريشاً اجتمعت في الخندق سنة ٥ هـ ( ٦٢٧ م ) هي وكثير من قبائل العرب من أهل نجد والحجاز

(١) ومن ذلك تعلم ان روح الاسلام وغايته هو نشر العلم والتعليم

(٢) قرب المدينة

واليهود، وقصدوا المدينة للقضاء على الاسلام وأهله، فبلغ رسول الله خبرهم، فحفر حول المدينة خندقاً عمل فيه بنفسه. وجاءت الأحزاب فأحاطوا بالمدينة بضعا وعشرين ليلة، ورسول الله مقابلهم، وايس بينهم قتال غير المراماة، وبرز من فرسان المشركين عمرو بن عبد ود فقتله علي بن أبي طالب ولما طال عليهم المقام دس عليهم رسول الله من أوقع الشقاق والاختلاف بينهم. وهبت عاصفة شديدة. وكانت في أيام شاتية، فجعلت تطرح خيامهم وتكفأ قدروهم. فرحلت قريش مع أبي سفيان، وتبعهم بقية الأحزاب راجعين الى بلادهم. وكان بين بني قريظة من اليهود وبين النبي عهد، فنقضوه وتابعوا الأحزاب. فلما انصرفوا لحقهم رسول الله في اليوم الثاني، وحاصروهم في حصونهم وأوقع بهم

وفي سنة ست خرج رسول الله الى مكة مُعْتَمِراً لا يريد حرباً. فننعت قريش وحبست عثمان بن عفان رسوله اليهم. فبايع النبي أصحابه على الموت، وأراد فتح مكة. فهادته قريش وحلفاؤها. وأبرم معهم معاهدة صلح، ورحل الى المدينة

المدينة  
مع قريش

(٤) ثم افتتح حصون خيبر\*، وفيها جمرة اليهود. ففتحها حصناً حصناً. وبعد رجوعه قدمت عليه بعثة مهاجرة الحبشة

خيبر

(٥) غزوة فتح مكة: لم يمض على معاهدة الصلح بين النبي وقريش أكثر من عامين حتى تقضها حلفاؤهم بتمديهم على حلفاء النبي. وعلم ذلك أبو سفيان، فقدم المدينة لتجديد المعاهدة، فلم يصغ له رسول الله. وبعد قليل، سنة ٨، خرج رسول الله الى مكة في عشرة آلاف مقاتل فيهم خالد

فتح مكة

• شمالي المدينة

ابن الوليد ، وكان قد أسلم هو وعمرو بن العاص قبيل ذلك . فلم تبد قريش الا مقاومة قليلة وألقت إليه بأيديها . وجاء أبو سفيان مسلماً ، وأكرمه النبي . وعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة ، ثم دخل الحرم وأزال الأصنام عن الكعبة وكسرها . ثم أسلم جميع أهل مكة

حنين

(٦) غزوة حنين<sup>(١)</sup> : وبعد فتح مكة تجمعت هوازن وثقيف وغيرهم من القبائل الضاربة حول مكة لمحاربة النبي ليبدؤوه قبل أن يبدأهم . فخرج اليهم في اثني عشر الف مقاتل . فاغتر المسلمون وأعجبتهم كثرتهم . فما التقى الجمعان ، حتى حمل عليهم الأعداء حملة شديدة ، ففر أكثر المسلمين وثبت رسول الله في خاصة أصحابه وأهل بيته حتى تراجع اليه الفارون ، وقاتل قتالاً شديداً ، وحمل بالمسلمين فكانت الهزيمة على المشركين ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة فرق النبي أكثرها في عطاء قريش وغيرهم ليتألف قلوبهم ، ومنع الأنصار لثقتهم بهم وحبهم له

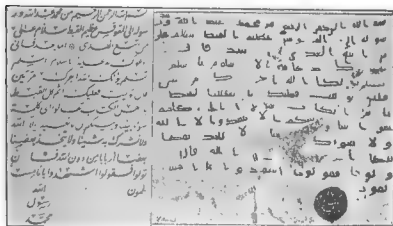
تبوك

(٧) غزوة تبوك<sup>(٢)</sup> . وهي آخر غزواته : وذلك أنه لما رأى أكثر العرب دانوا له خرج الى الروم في سنة تسع (٦٣٠-٦٣١ م) ومعه ثلاثون ألفاً وكانت الخيل عشرة آلاف ، وضرب الجزية على أهل أيلة<sup>(٣)</sup> وأذرح<sup>(٤)</sup> ودومة الجندل<sup>(٥)</sup> . وكلها كانت إمارات نصرانية تابعة للروم وكان أثناء غزواته يبعث سراياه وبعوثة الى قبائل العرب كافة فأمنوا تباعاً

(١) موضع بين مكة والطائف (٢) موضع بين الشام والحجاز وهو الآن إحدى محطات سكة الحديد الحجازية (٣) مكانها الآن العقبة أو قريب منها (٤) بلدة قريية من تبوك من أطراف الشام الجنوبية (٥) حصن وقرى شرقى تبوك ببادية الشام

كتب  
رسول الله  
الى الملوك

وفي سنة سبع هـ (٦٢٨ - ٦٢٩ م) أرسل كُتُبَهُ الى الملوك والأمراء  
يدعوهم الى الاسلام ، مثل كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي والحارث  
ابن أبي شمر الغساني وهروذة ملك اليمامة والمنذر بن ساوى ملك البحرين  
فأسلم النجاشي والمنذر بن ساوى وقومهما ، وأكرم المقوقس رسوله حاطبياً  
وأهدى للنبي جارين من قبط أنصنا ( احداهما مارية أم ولده ابراهيم )  
وبقلة وحماراً وكثيراً من عسل ينها ، ورد قيصر رداً جليلاً ، ولم يقابل بقية  
الملوك دعوة الاسلام بالحسنى . ولم تدخل سنة عشر هـ (٦٣٢ م) حتى دخل  
الناس في دين الله أفواجاً ، وأقبل عليه الوفود من جميع أنحاء الجزيرة ،  
وآمن من فيها من العرب إلا قبائل الشام والعراق . وحج حجة الوداع  
من هذه السنة ، وحج معه من أصحابه يومئذ أربعون ألفاً



صورة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم  
الى المقوقس عظيم القبط

وفي هذه الحجة تم نزول القرآن الكريم ، وكان ينزل مفرقاً على حسب الوقائع . وخطب فيها رسول الله خطبة الوداع الشهيرة التي بين فيها معالم الاسلام وأتم أصوله ووصاياه . ومات بعد أن بلغ وأرشد ، وترك ديناً خالداً وأمة كريمة

مرض رسول الله نحو اثني عشر يوماً انقطع فيها عن الناس ثلاثة أيام ، وأتاب عنه أبا بكر يصلي بالناس . ومات في بيت عائشة ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ١١ هـ ( ٦٣٢ م ) عن ثلاث وستين سنة . ودفن مساء الثلاثاء في حجرة عائشة حيث قبض . ولم يخلف من بنيه وبناته إلا السيدة فاطمة زوج علي بن أبي طالب . وماتت بعد النبي بأشهر قلائل ، وكل أولاده ماتوا قبله

كان رسول الله ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس ، كث<sup>(١)</sup> اللحية ، عظيم الكفين والقدمين ومفاصل العظام ، أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج<sup>(٢)</sup> العينين ، سبط<sup>(٣)</sup> الشعر ، سهل الخدين ، أفتى الأنف أشمة<sup>(٤)</sup> ، في مقدم لحيته ومفرق رأسه شعرات بيض . وكان أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً ، قليل المزاح واللغو ، مطيل الصمت ، دائم البشر ، متفقداً لأصحابه ، متواضعاً ، يخصف<sup>(٥)</sup> نعله ويرقع ثوبه ، وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير زهداً فيها

(١) غزير شعر اللحية (٢) شديد سواد العين مع سعتها (٣) مرسل غير مجعد  
(٤) الشم ارتفاع في قصبه الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلاً ، فإن كان فيها احديداب فهو القنا (٥) يخرزها

(ح) ﴿ حالة الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

لما قبض رسول الله لغير وصية بالخلافة تنازع المهاجرون والأنصار في أمرها ، وبعد أخذ وردّ وامتناع من بعضهم انتخب أبو بكر رضي الله عنه خليفة ، وقررت الخلافة من بعده في قريش . وقد كان لأبي بكر وباقي الخلفاء الراشدين من بعده ( عمر وعثمان وعلي ) رضوان الله عليهم الفضل الأكبر في توطيد دعائم الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فابتدأ أبو بكر بتسيير الجيش الذي جهزه رسول الله قبل وفاته لغزو أطراف الشام ، فذهب الجيش وعاد غانماً

خلافة أبي بكر  
١١ - ١٣ هـ  
٦٣٢ - ٦٣٤ م

ولم تسمع العرب بموت النبي حتى ارتدت عن الإسلام ، وبعضها منع الزكاة إلا أهل المدينة ومكة والطائف . وتنبأ كثير من شياطين العرب كمسيلمة الذي قد كان كاتب النبي في اقتسام الأرض ، وطلحة بن خويلد وسجاح التميمية . وكاد الإسلام يقتلع من أصوله ويذهب كأن لم يكن لولا حزم أبي بكر ومضاء عزمته ، فانه استشار الصحابة في محاربة المرتدين فكلمهم أشار عليه بلزوم بيته وعبادة ربه ، إذ لا طاقة لهم بحرب العرب كلها . فغضب وبعث الجيوش واكثرهم من قريش لمحاربة المرتدين . فقتل جيش خالد بن الوليد مسيلمة الكذاب ، وقهر طلحة وسجاح ففرا وأسلما بعد ذلك . ولم يمض أقل من سنة حتى خضعت العرب ورجعت الى الإسلام . فساقهم الى ممالك كسرى وقيصر ففتح من العراق في زمانه المشنى ابن حارثة ثم خالد بن الوليد وعياض بن غنم الحيرة وجميع سقى الفرات الى تخوم الشام . وفتح أبو عبيدة بن الجراح وأمراؤه شرقي الشام ،

حتى اجتمعت الروم في اكثر من ٢٠٠ ألف . فأمدَّ أبو بكر عسكر الشام  
ببخالد ونصف عسكر العراق . ومات وجيوشه تحارب المملكتين ( الفرس  
والروم) . وكانت وفاته بالمدينة ، ودُفن بجانب رسول الله سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)  
وعمره ٦٣ سنة ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر . وفي مدته جُمع  
القرآن الكريم بإشارة عمر لقتل اكثر القُرءاء في حرب مسيطة ، وحُفظ  
في بيت حفصة بنت عمر زوج النبي ، حتى نسخهُ عثمان

وبويع عمر بن الخطاب بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر  
بوصية منه وسُمي بأمر المؤمنين . فاستفزَّ الناسَ لحرب الفرس والروم  
ففتحت في زمانه ممالك الفرس والشام ومصر

وهو أول من دوّن الدواوين من خلفاء المسلمين ، ومصر الأمصار ،  
فبنيت في مدته الكوفة والبصرة والفسطاط وغيرها ، وأول من عَسَّ  
بالليل ، ونصب القضاة ، ووضع التاريخ الإسلامي وجعل مبداء هجرة  
رسول الله الى المدينة المنورة . وكان لا يشغله عن تدير أمر المسلمين  
شاغل ليلاً أو نهاراً : بحرك الجيوش بأوامره وهو في المدينة ، وترجع اليه  
غنائم فيصرفها في مصالحهم من غير أن ينال منها لنفسه إلا دريهمات  
لنفقته كل يوم . فهو رجل المسلمين وموطد ملكهم ، ولم يقم لهم خليفة بعده  
مثله في حزمه وعزمه وزُهدِه وعدله

وقُتل رحمه الله غدراً وهو قائم يصلي بالناس ، طعنه بخنجر أبو لؤلؤة  
فَيُرُوز المجوسي عبد المغيرة بن شعبة سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) ، وكانت خلافته  
عشر سنين وستة أشهر

وعهد بالخلافة الى واحدٍ يُنتخب من النفر الذين مات النبي وهو

خلافة عمر  
١٣-٢٣ هـ  
٦٣٤-٦٤٤ م



عنهم راض ( علي و عثمان و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبير و سعد بن ابي وقاص ) ، و جعل ابنه عبد الله شريكاً لهم في الراى لا في الخلافة

فانتخب الناس من نفر الستة الذين عهد اليهم عمر بالخلافة ه عثمان ابن عفان ه . فسلك طريق عمر في سياسته مدة فُتحت فيها بلاد جنوبي التركستان و برقة و طرابلس الغرب و النوبة و جزيرة قبرس . ثم ظن أن في توليته الممالك المفتوحة من يثق به من أهله و أقربائه ضماناً لمصاحبة المسلمين ، لنصحهم له و شدحم بمصبيتهم ازره ، فكان غير ما ظن ، و تقم منه كثير من العرب فعله ، و رموه بمحاباة أهله و التغيير و التبديل في سنة رسول الله و صاحبيه . و ذهب اليه كثير من سُذَّاذ العرب من أهل مصر و العراق و رعاعهم . و فيهم بعض أبناء الصحابة ، فحاصروه في داره بالمدينة ، و طالبوه بعدة أمور لم يرها من حقهم ، فتسوروا عليه و قتلوه وهو يتلو في مصحفه سنة ٨٣٥ ( م ٦٥٥ ) . و دُفن بالبقيع ، وله من العمر ٨٢ سنة . وكانت خلافته ١٢ عاماً . وكان موته سبباً للإثارة الفتن بين المسلمين . و في مدته نُسخ من المصحف الذي عند حفصة أربع نسخ أرسلت الى الأمصار ليُنقل عنها و يُحرق ما سواها

خلافة عثمان  
٢٤-٣٥ هـ  
٤٤-٦٥٥ م

و بعد أن قُتل عثمان تنازع الناس فيمن يتولى الخلافة ، فانتخب الاكثرون علياً و بايعوه ، و بقي نفر من الصحابة و بنو أمية لم يبايعوه . و حقق علي مقتل عثمان فلم يتوصل الى معرفة القاتلين . و خرج الى الكوفة و جعلها مقر خلافته . و عزل ولاة عثمان على غير رغبة أصحابه ، فأتهمه بنو أمية ( و رأسهم معاوية و طلحة و الزبير ) بتهاونه في إظهار القاتل . و ظنوا أن قتله كان عن رغبة منه . فامتنع معاوية بالشام عن مبايعته ، و تبعه أهل

خلافة علي  
٣٥-٤٠ هـ  
٦٥٥-٦٦٠ م

بينه وجند الشام . وخرج طلحة والزبير الى مكة وقابلا السيدة عائشة ،  
وكانت في الحج ، وحرصاها على الأخذ بثأر عثمان ومحاربة علي . فخرجت  
معهما في جيش استولى على البصرة وانضم اليهم أهلها . فسار اليهم علي في  
أهل الكوفة وحاربهم ، وكانت السيدة علي جمل جلال هودجه بصفايح من  
الحديد . فقتل دون الجمل مئات من الناس ، ثم عُقر وانهمزم أصحاب الجمل ،  
وقُتل طلحة وكذلك الزبير عند منصرفه الى المدينة . وأرسل علي السيدة  
عائشة مكرمة الى المدينة

ثم ازدادت الوحشة بين معاوية وعلي ، فجردا جيشين عظيمين التقيا  
بصيفين\* ودام الحرب بينهم أربعين صباحا . ثم عرض جيش معاوية علي  
جيش علي أن يحكما بينهما حكيمين يختار كل واحد من فريق . فحكما  
« أبا موسى الأشعري » من قبيل علي و « عمرو بن العاص » من قبيل  
معاوية . فاتفقا علي خلع الاثني ليعاد انتخاب الخليفة من جديد ، وفي يوم  
الحكم اجتمع العرب ، فحكم أبو موسى بخلع صاحبه ، ورجع عمرو عن  
اتفاقه وحكم بتثبيت معاوية . فقت ذلك في عهد أصحاب علي ، وتقاعد  
عن نصرته كثيرون ، حتى اتفق ثلاثة من فتاك الخوارج علي اغتيال علي  
ومعاوية وعمرو بن العاص ، فنجح أمرهم في علي وخاب في معاوية وعمرو ،  
فقتل علي غيلة بيد « عبد الرحمن بن ملجم » ، وهو ينادي لصلاة الصبح  
غلسا بمسجد الكوفة . فدفنه ابنه الحسن خفية وستر قبره وقتل قاتله .  
وبايه أهل الكوفة بالخلافة ، فتنازل عنها لمعاوية بعد أشهر حقا لدماء  
المسلمين . فتم الأمر لمعاوية واستولى علي الممالك التي دخلت في طاعة علي ،

\* موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات . وكانت الواقعة في صفر سنة ٣٧

وأسس دولة بني أمية . فصارت الخلافة ملكية وراثية في دولته  
وقُتل أمير المؤمنين عليّ سنة ٤٠ هـ وعمره ٦٣ سنة . وكان شجاعاً  
عالمًا ، شهد المواقع بين يدي رسول الله . ومن مآثره أنه أمر « أبا الأسود  
الدؤلي » ، فوضع النحو

وكان العرب قد استمروا في فتوحهم بقية حكم الخلفاء الراشدين  
حتى استولوا على معظم أملاك الدول القوية إذ ذاك مما سيأتي ذكره

### ( ٥ ) ﴿ الفتح الإسلامية ﴾

التحام العرب مع الفرس والروم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين طولَ مدة رسالته بفتح  
ممالك فارس والروم . وشرع في ذلك آخر حياته ليقتدى به خلفاؤه من  
بعده ، فغزا بنفسه غزوة « تبوك » وأغزى أصحابه غزوة « مؤتة » وخرج  
من الدنيا وقد جهز جيشاً أمر عليه مولاه « أسامة بن زيد » ، فبرز خارج  
المدينة لحرب الروم ، وأوصى في مرضه بانتقاه إلى الشام . فأنفذ « أبو بكر »  
وصيته ، وسير هذا الجيش فغزا القبائل الموالية للروم في جنوبي الشام وعاد  
بعد أربعين يوماً

ومن ذلك الوقت شرع أبو بكر في تحقيق بشارة النبي واستنجاز  
وعده . ولثقته بإيمان أصحابه وعلو هممهم على قلة عددهم وعددهم رأى أن  
ينغزو بهم الفرس والروم في آن واحد . ونفذ « عمر » بعده خطته على ما فيها  
من المصاعب وتفريق القوة فأعقبت النجاح والظفر ، وأكمل بقيتها الخلفاء  
الراشدون وبنو أمية وبنو العباس . حتى كان لهم من نشر دينهم واتساع  
ملكهم ما استطالوا به على أكثر الممالك العظيمة في تلك العصور :

(١) فتح فارس : من سنة ١٢ الى سنة ٢١ هـ (٦٣٣ - ٦٤٢ م)

لما فرغ أبو بكر من حرب المرتدين ، ودانت جزيرة العرب للإسلام رأى أن يشغل العرب بعدها عن الفتن الدينية والسياسية بسوقها الى الممالك الغنية الخصبه المجاورة لها لعلها بما فيها من الفتن الداخلية . فجهز لغزو فارس جيوشاً متفرقة جعل قيادتها العامة لخالد بن الوليد . ففتحوا العراق والجزيرة . ثم أرسل أبو بكر الى خالد أن يذهب في نصف الناس لإنجاد عسكر الشام . وبقي أحد قواده « المثنى بن حارثة » يحارب الفرس حتى مات أبو بكر . فأمدّه عمر بجيش ، فخاربوا في جملة وقائع انتصروا في بعضها وأصيبوا في آخر حتى ملك « يزْدَجِرْد » ، فجمع أبطال الفرس وصناديدهم في جيش بلغ ١٢٠ ألف مقاتل . وعلم ذلك عمر فجمع أشرف العرب وفرسانهم وخطباءها وشعراءها ، وجعل على الجميع أميراً « سعد بن أبي وقاص » القرشي . فبلغ عدد المسلمين بضعة وثلاثين ألف رجل ، فالتقوا بالفرس سنة ١٤ هـ (٦٣٦ م) بالقرب من « القادسيّة » في موقعة

واقعة القادسية

١٤ هـ

فاصلة من أشد الوقائع ، لم يفلح بعدها الفرس في موقعة ، فقتلت أبطالهم وشجعانهم وقائدهم العظيم « رُستَم » . وغنم المسلمون معسكر الفرس وراية مملكتهم ، وكانت من جلد مستر بالجواهر الكريمة

الأبلة

وفي هذه السنة بعث عمر « عتبة بن غزوان » في جمع الى « الأبلة » (مرقأ للسفن على شمالي بحر فارس) فافتتحها وهزم حامية الفرس مراراً في جنوبي العراق ، واختط مدينة البصرة ، وبعث بالفنائم الى عمر . وأعجب المسلمون بذلك ، فأقبلوا على البصرة تباعاً . ولما فرغ سعد من أمر

تاريخ (١٤)

«القادسية» واستراح جيشه خرج الى «المدائن» (إكثيسيفون) عاصمة  
الفرس وبها إيوان كسرى العظيم . فهزم في طريقه اليها جموعاً كثيرة  
للفرس وحاصر المدائن الغربية ، ثم عبر بجيشه الى الشرقية وحاصرها . فقرت  
«يزدجرد» في خاصته وبقية عساكره الى «حلوان» بعد أن أباح بيوت  
المال والذخائر لقواده ، وخلف أخارستم على المدائن . فشدد العرب عليهم  
الحصار ، فهرب من في المدينة ودخلها العرب سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) . وأمر  
سعد أن يلحقوا حملة الأموال والنفائس فأدركوا كثيراً منهم ، ووضعوا  
أيديهم على خزائن الفرس مما لا تقدر قيمته ، وكان في ذلك تاج كسرى  
ومنطقته وسواره ودرعه وبساطه ( وكان ستين ذراعاً في مثلها ، وكان على  
هيئة روضة قد صورت فيه الأزهار بالجواهر المختلفة الألوان على نسيج  
الذهب ) ، واستولى العرب كذلك على ذخائر الملوك الذين قهرتهم فارس

فتح عاصمة  
فارس ١٦ هـ

وأقام سعد بالمدائن مدة . وبمث بالجيوش فتحت بقية البلاد . وفي  
سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) جمع «يزدجرد» جميع من في فارس وخراسان من  
المقاتلة وانضم اليهم بقية المنهزمين ، فاجتمع له ١٥٠ ألفاً فتحمسوا وصمموا  
على إخراج العرب من بلادهم . فبلغ «عمر» ذلك نخاف على المسلمين  
وأمدتهم بجيش عليه «الثمان بن مقرن» ، فساروا وانضم اليه ثلث من  
في العراق وقصدوا الفرس في نحو ٣٠ ألفاً فالتقوا بهم قرب «نهاوند» في  
موقعة لم يقع للعرب مثلها ، قاوم الفرس فيها مقاومة عظيمة ، وقتل فيها  
«الثمان بن مقرن» فتولى مكانه «حذيفة بن اليمان» ، وحمل بالناس  
فانهزم الأعداء ، وقتك العرب بهم فتكاً ذريعاً ، ولم يفلت منهم إلا القليل .  
وتسمى واقعة «نهاوند» هذه بفتح الفتوح ، إذ لم يكن للفرس بعدها

واقعة نهاوند  
٢١ هـ

اجتماع ، ودخلت مملكتهم جميعاً في حوزة المسلمين  
أما « يزدجرد » فما زال يفرّ أمام العرب من بلد الى بلد حتى قُتل  
أثناء فراه زمن عثمان سنة ٣١ هـ ( ٦٥١ م ) . وبموته انقرض آل ساسان

## (٢) فتح الشام

بعد أن سار أبو بكر خالداً الى العراق بقليل سير أربعة جيوش الى  
بلاد الشام لغزوها من جهات مختلفة . فساق « هرقل » قيصر الروم على كل  
جيش جيشاً أضعافه في العدد . فرأى قواد جيوش المسلمين الأربعة أن  
يجتمعوا في بسيط واحد . فعلم ذلك هرقل ، فأمر جيوشه أن ينزلوا على نهر  
« اليرموك » . فنزلوا بين النهر وبين وادٍ عميق كأنه خندق يُعرف  
« بالواقصة » في أكثر من ٢٠٠ ألف مقاتل سنة ١٣ هـ ( ٦٣٤ م ) ،  
وكانهم رأوا أن الوادي والنهر يحميان جانبهم . ونزل العرب أمامهم على  
نفس الضفة من النهر ، فصار الروم كأنهم محصورون ولا طريق لهم إلا  
على العرب . وحفر الروم بينهم وبين العرب خندقاً ، وطاولوهم في القتال  
ليضروا على العرب ولا يخشوا بأسهم . وبقوا كذلك ثلاثة أشهر كاتب  
العرب فيها أبا بكر واستنجدوه . فكتب الى خالد بن الوليد أن يجدهم  
بنصف عسكر العراق . فسار مسرعاً سالكاً بادية السماوة\* حتى بلغ الشام

واقعة اليرموك  
أو الواقصة  
١٣ هـ

\* سلك خالد هذه المفازة المهلكة المدومة المياه لجملة وجوه حرية وغيرها  
أهمها سرعة نجدته لجند الشام لقصر مساقها عن الطريق المعتاد سلوكة على شاطئ  
الفرات ، وتجنب العوائق التي تعترضه في الطريق المعتاد لاعتراض كثير من حصون  
الجزيرة وشمال الشام له . وحكاية اختراق جيشه هذه البادية أعجب من اختراق  
جيش انيال جبال الألب . فلتراجع في كتب التاريخ المطولة

ففتح في طريقه مدينة «بُصْرَى»\* وانضم الى معسكر المسلمين ، فتكامل  
به عددهم نيفاً وأربعين ألفاً . وراى خالد متساندين ، كل رئيس منهم مستقل  
برأيه وجماعته . فجمعهم على أن يتولى كل أمير القيادة يوماً . وبدأ هو باليوم  
الأول . فعبأ جيشه تمبئة لم يسبق للعرب مثاها : فرقم ٣٨ كردوساً وهاجم  
بهم الروم . فخرجوا من خندقهم . فهاجم خالد بقلب الجيش ، ففرق بين  
فرسانهم ورجالتهم . وراى فرسانهم أنهم صاروا في وسط العرب ، ففروا  
الى الصحراء ، وأوسع لهم المسلمون الطريق ، واكتفوا شرهم . ثم أطبقوا  
على الأعداء ، فردوهم الى خندقهم ، بل اقتحموه عليهم ، وأقبل الليل فلم  
توقف العرب القتال ، وحصروا الأعداء فتساقطوا في الهوة من جانب  
وفي النهر من الآخر . وقتل منهم غرقاً وتردياً اكثر مما قتل بسيف العرب ،  
وتم النصر للمسلمين . ولم ينج من الروم غير فرسانهم إلا القليل . وكانت  
هذه الموقعة أعظم الوقائع بين الروم والعرب ، فلم يثبت لهم بعدها أمام  
العرب جيش ولو اكثر عدده . وفي أثناء تلك الواقعة جاء البريد بموت  
أبي بكر وعزل خالد عن قيادة الجيش وتولية أبي عبيدة قيادته ، فقبل خالد  
ذلك بالسمع والطاعة . ونصح لأبي عبيدة في الراى والجهاد . وساروا  
لفتح دمشق فحاصروها ٧٠ يوماً وفتحها خالد عنوة من جانب . وبينما هو  
يتقدم داخلها خرج محافظ المدينة وقابل أبا عبيدة من جانب آخر وسلمها  
له صلحاً سنة ١٤ هـ ( ٦٣٥ م ) . وبعث أبو عبيدة الجيوش لفتح سائر مدن  
الشام ، ففتحوا بلاد الساحل ومدينة حمص واللاذقية وقنيسرين وحلب

\* وهى مدينة صغيرة شرقى الشام على أبواب الصحراء

وأنطاكية . وكان هرقل يتنقل في مدن سورية الحصينة يراعى جيوشه .  
فلما أوغل المسلمون في الجهات الشمالية صعد على نَشْر من الأرض ثم  
التفت الى الشام وقال : « السلام عليك يا سورية سلام لا اجتماع بعده » .  
وهرب الى القسطنطينية

وكان جيش من المسلمين يقودهم عمرو بن العاص ذهبوا لفتح بيت  
المقدس ، فالتقوا في طريقهم بالروم في موقعة عظيمة تعرف بواقعة أجنادين  
هُزم الروم فيها هزيمة شنيعة . ثم حاصروا بيت المقدس أربعة أشهر ، وأبى  
بطريقها أن يسلم المدينة إلا على يد الخليفة عمر ليكتب بنفسه شروط  
الصالح ، فحضر عمر الى الشام وتسلم المدينة سنة ١٥ هـ ( ٦٣٦ م ) وأسس  
مسجده على الصخرة . وخرج عمر الى الشام ثلاث مرات غير هذه المرة .  
وتم فتح الشام في أقل من ست سنوات

تسليم بيت  
المقدس ١٥ هـ

وفي سنة ١٨ هـ ( ٦٣٩ م ) حدث في الشام طاعون عظيم يسمى  
طاعون عمّواس مات به ٢٥ ألفاً من الصحابة منهم أبو عبيدة

### ( ٣ ) فتح مصر

لما قارب فتح الشام الانتهاء استأذن « عمرو بن العاص » أمير  
المؤمنين « عمر بن الخطاب » في فتح مصر ، ووصف له ثروتها وهوّن  
عليه أمرها ، فامتنع « عمر » بادئ بدء ، ثم بعثه ( والتردد يخالجه ) في  
أربعة آلاف أو أقل ، وقال له : « سيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله  
تعالى ، فإن أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن  
تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك



كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره »

فلم يكده عمرو يتجاوز الحدود المصرية حتى تسلّم كتاب « عمرو » ،  
فواصل السير حتى بلغ « الفرما » في أواخر سنة ٦٣٩ م ( ١٨ هـ ) . فقاوم  
الروم فيها مقاومة ضعيفة ، حتى ان العرب مع قلة عددهم ونُدرة ما عندهم  
من آلات الحصار استولوا عليها عنوة في شهرين

الاستيلاء  
على الفرما

ولما أمن « عمرو » طريق الاتصال بالشام أجدّ السير في طريق  
المواضع التي تُعرف الآن « بالقنطرة والقصاصين والتل الكبير » حتى نزل  
على « بلبيس » ، فحاصرها شهراً ثم فتحها بعد قتال شديد . وعند ذلك  
انضم الى عسكره كثير من بدو الصحراء فموضوا ما خسره من جيشه الصغير  
ثم سار حتى وصل الى قرية على النيل تُدعى « أم دُنين » ( موقعها  
الآن ما بين عابدين والأزبكية بالقاهرة ) \* . وكان معظم الجيوش الرومانية  
حينئذٍ ممتنعة في حصن بابليون ، ولكن الحامية المرابطة في « أم دنين »  
عانت « عمراً » عن التقدم بضعة أسابيع حدثت فيها مناوشات عديدة  
اتّمت باستيلاء عمرو عليها

بلبيس

أم دنين

ولما رأى « عمرو » ان ما معه من المقاتلة لا يكفي لفتح « حصن  
بابليون » أراد أن يشغل جيشه بعمل ريثما يأتيه المدد ، فخرج في غارة  
إلى الفيوم ( وتلك مخاطرة كبيرة ) ، فعبر النيل في قوارب وسار بطريق  
منف الى الفيوم ، فلم يفلح في الاستيلاء عليها ، إلا أن هذه الخرجة اتّمت  
بما قصد اليه ، فإنه عند ما عاد الى عين شمس في صيف سنة ٦٤٠ م

غارة الى الفيوم

٥ يعلم من ذلك ان النيل غير مجراه منذ ذلك العهد وتحوّل الى الغرب

لحق به المدد الذي بعثه أمير المؤمنين وفي مقدمته الزبير بن العوام .  
وعدتهم ١٢٠٠٠ مقاتل

واقعة  
عين شمس

واتهز الروم فرصة تغيّب « عمرو » بالفيوم فاستولوا ثانية على  
« أم دُنين » ثم أعدّ « تيودور » قائدهم نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل وأراد مناجزة  
العرب ، فزحف الى عين شمس قاعدة الجيش العربي . فوضع « عمرو » كميناً  
من جيشه في موضع خفي بالقرب من « الجبل الأحمر »<sup>(١)</sup> وآخر في النيل  
قريباً من « أم دنين » ، ولاقى « تيودور » بالفريق الأكبر من الجيش .  
فلما حى وطيس الحرب ثار الكمينان على جناحي الجيش الروماني وساقته  
وسحقوم سحقاً ، ولم يبق للروم منهم سوى ٣٠٠ مقاتل وفُقد الآخرون  
ما بين قتيل وهارب . واستولى « عمرو » بهذه المعركة على مدينة « مصر »<sup>(٢)</sup>  
فانتسح أمامه السبيل لإتمام إخضاع الفيوم والشروع في محاصرة  
« حصن بابليون »

المقوقس

وكان القائد الحقيقي للجنود الرومانية في حصن بابليون وقتئذٍ هو  
« سيرُوس » بطريق الطائفة الملكية بالاسكندرية والحاكم الإداري  
لمصر ، وهو المعروف عند العرب بالمقوقس<sup>(٣)</sup>  
وقد كان له يد عاملة في هذا الفتح ، ومضى عليه عشر سنين وهو

(١) شرقى العباسية

(٢) اختلف في موقع هذه المدينة وحقيقتها . والأرجح أنها كانت امتداد  
مدينة منف على شاطئ النيل الشرقى . ومبانيها تمتد شمالى الحصن وجنوبه  
(٣) وفي المقرئى أنه يسمى « المقوقس بن قرقت » ولعله محرف عن  
« سيرُوس » لأن حرف (C) ينطق به قافاً في العربية كثيراً

مكروه لدى الأقباط لاضطهادهم . ولما حاصر العرب الحصن كان النيل  
مادًا ( أو آخر أغسطس ) وليس لهم من آلات الحصار والحيل الهندسية  
ما يسهل عليهم اقتحام الحصن ، على عكس ما كان لعدوهم من ذلك فوق  
امتلاء الخنادق بمياه الفيضان . فلما أخذ النيل في الهبوط ( في شهر أكتوبر )  
أخذ « المقوقس » يئس من ردّ العرب عن البلاد ، وسعى سرًا في عقد  
صلح معهم في جزيرة الروضة ، فلم يرض « عمرو » منه إلا بخصلة من ثلاث  
( وهي الاسلام أو الجزية أو القتال ) . ثم كتبت المعاهدة وأرسلت الى  
امبراطور الروم لإقرارها ، فسخط « هرقل » وأخذته دهشة من التسليم  
لبضعة آلاف من المسلمين . فاستدعى « المقوقس » الى القسطنطينية في  
الحال ( نوفمبر سنة ٦٤٠ م ) . فواصل العرب حصار الحصن بنشاط جديد  
وجمع « تيودور » جيشًا جديدًا في الوجه البحرى يحاول به فض الحصار  
عن الحصن فلم يستطع شيئًا حتى ولا الدنو من الحصن . وفي شهر مارس  
سنة ٦٤١ م سمع المحصورون ضجة فرح في معسكر المسلمين ، وبان لهم  
أنها كانت لموت هرقل ، ففت ذلك في عضد الروم وأوهن عزائمهم  
وفي ٦ أبريل سنة ٦٤١ م عمد الزبير الى تسور الحصن بسلم كبير ،  
ولما صار في أعلى السور تبعه الناس ، فلم يسع الروم إلا التسليم على شريطة  
أن ينجوا بحياتهم ، فقبل « عمرو » ذلك وأمهلهم ثلاثة أيام يجلون فيها عن  
الحصن . ومن الغريب أن الأحزاب الدينية بالحصن لم يأههم ما حاق بهم  
عن الخصاص في الدين ، فان الطائفة « الملكانية » قضت يوماً من أيام المهلة  
الثلاثة في تعذيب الأقباط الذين سجنوا في الحصن قبل الحصار ، حتى أنهم  
قطعوا أيديهم وأرجلهم

فتح  
الاسكندرية

ولما أخلى الروم الحصن بادر عمرو الى اتمام فتح البلاد ، فسار الى الاسكندرية واستولى في طريقه على مدينة « تقيوس »\* . وكان « تيودور » قد جمع فلول جيشه معزماً بمدد كبير ، فالتقى بالعرب بالقرب من « دمنهور » في موقعة عظيمة دامت أكثر من عشرة أيام واضطر الروم بعدها الى التحيز الى الاسكندرية ، فاقتفى العرب آثارهم . وكانت الاسكندرية عظيمة التحصين وبها من الروم ٥٠٠٠٠ مقاتل ، وكان يُتوقع أن تصد العرب زماماً طويلاً : فلا هي ضعيفة التحصين حتى يأخذها العرب عنوة ، ولا هم يستطيعون في قلة عددهم حصرها براً وبحراً . لذلك ترك « عمرو » جيشاً بظاهرها ( يوليه سنة ٦٤٠ م ) يرقبها ، وسار في آخر لاخضاع بعض بلاد الوجه البحرى الصغيرة . وفي خلال ذلك كان المقوقس قد عاد الى الاسكندرية وتولى منصب البطريق ثانية . وفي هذه المرة نجحت مساعيه فانه أقنع الامبراطور الجديد ( وكان ضعيفاً ) بضرورة الموافقة على تسليم الاسكندرية . ثم شرع سراً في عقد معاهدة ثانية مع « عمرو » فتقابلوا في بابليون وعقدا الشروط الآتية :

معاهدة تسليم  
الاسكندرية

- (١) أن تدفع الجزية للمسلمين
- (٢) أن يُعقد لذلك هدية مدة ١١ شهراً
- (٣) أن تجلو الجيوش الرومية من الاسكندرية
- (٤) أن لايتدخل المسلمون في دين المسيحيين أو يستبيحوا كنائسهم
- (٥) أن يُسمع لليهود بالإقامة بالاسكندرية

\* موقعها الآن قرية اشاداي بمديرية المنوفية على فرع النيل الغربى . وقيل أيضاً انها كانت تسمى « نخو »

(٦) أن يسلم الروم ١٥٠ من جندهم و٥٠ من رجالهم غير المحاربين  
رهناً وضماناً لما تقدم

وعند ما سمع أهل الاسكندرية وحاميتها بذلك هاجوا غضباً وكادوا  
يفتكون «بالمقوقس» لولا ما أوتيته من البلاغة ، فانه تمكن بها من اقناعهم  
بأن ما وقع خير لهم من أى شئ . وفي أول المحرم سنة ٢١ هـ (١٠ ديسمبر  
سنة ٦٤١ م) ذفعت الجزية ودخلت الاسكندرية في قبضة العرب .  
ويُعتبر تسليم الاسكندرية من الوجهة الحربية أمراً لم يكن في الحسبان ،  
فانها كانت تستطيع المقاومة ثلاث سنوات أو أربعا حتى يرسل اليها  
القيصر المدد الكافي لانقاذها . ولكن الاسكندريين كانوا قد سئموا  
تقلبات الروم وسوء حكمهم في الأربعين سنة الأخيرة ، فسهل عليهم  
التأثر ببلاغة المقوقس ورجوا أن ينالوا في ظل المسلمين هدواً وسلاماً  
ولا شك أن المقوقس كان أكبر مساعد على تسليم الاسكندرية ،  
وربما كان له في ذلك مآرب خاص وهو جعل بطريقته مستقلة عن  
« القسطنطينية » ، فرأى أن ذلك أسهل في عهد المسلمين منه في عهد  
أمة مسيحية

( هـ ) كلمة في الأمويين والعباسيين

( ١ ) دولة بني أمية

٤١ - ١٣٢ هـ ( ٦٦١ - ٧٥٠ م )

معاوية تمت الخلافة لمعاوية ( ٤١ - ٦٠ هـ : ٦٦١ - ٦٨٠ م ) فكان بذلك مؤسساً  
لدولة بني أمية\* ، وأقام بدمشق فبقيت دار الخلافة العربية ٩٠ عاماً . وكان

\* نسبة الى « أمية » بن عبد شمس « جدم

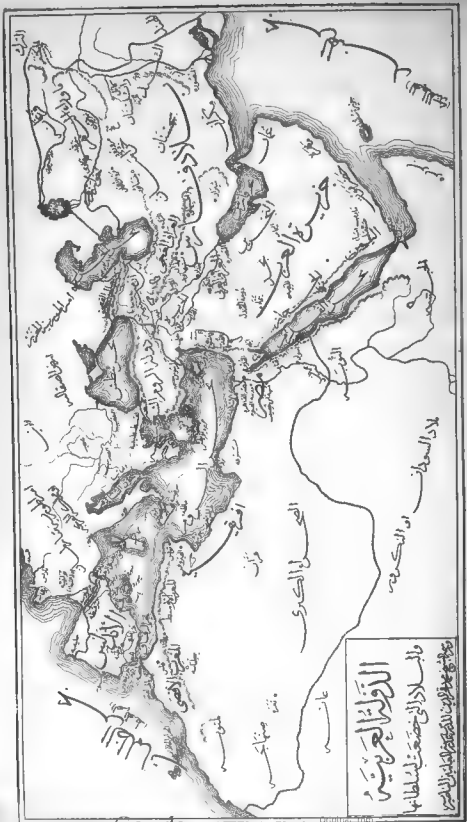
موقعها أوفق لمقر الملك من سابقتيها « المدينة » و « الكوفة » لاتساع  
أملاك المسلمين التي كان « معاوية » يرمي الى مداها شمالاً حتى يستولى على  
القسطنطينية، ومع أنه لم يتم له ذلك وأحرق أسطوله في حصار تلك المدينة  
فُتحت في عهده بعض بلاد التركستان وبلاد الأفغانستان وشمالى الهند  
وبلاذ البربر ( الجزائر ومراكش ) ورودس . ثم حمل الناس على البيعة لابنه  
« يزيد » فقبها العرب لأن الغلب والعصبية كانا لبني أمية والمصلحة تقتضى  
ذلك . وخالف بعض الصحابة فلم يستطيعوا اخراج الخلافة من بيت بني  
أمية بل بقيت فيهم ملكاً عضوضاً . وأعظم خلفاء بني أمية بعد معاوية  
« عبد الملك بن مروان » ( ٦٥ - ٥٨٦ : ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) ، فهو المجدد  
الثاني لملكهم والمستخلص له من يد الخليفة عبدالله بن الزبير الذى دانت  
له الممالك الاسلامية عقب موت معاوية . وبلغت دولة بني أمية أقصى  
مبلغها في عهد « الوليد بن عبد الملك » ( ٨٦ - ٥٩٦ : ٧٠٥ - ٧١٥ م ) .  
ولى الخلافة والملك ثابت الدعائم فسهر على توسيع الأملاك الاسلامية ،  
فجذت جيوشه في الفتوح شرقاً حتى مدينة « سمرقند » ونهر « السند » . ولما  
تارت برايرة المغرب بالمسلمين بعث اليهم الوليد « موسى بن نصير » بجيش  
عظيم فتح به عامة بلاد المغرب وثبت فيها سلطان العرب الى المحيط . ثم  
بعث موسى بمولاه « طارق بن زياد » فى جيش الى « الأندلس » فقهر  
جيوش « القوط » ( قبائل القوط الغربية ) فى موقعة « شريش » سنة ٥٩٢ هـ  
( ٧١١ م ) ودخلت الأندلس بأسرها فى الأملاك العربية  
وبينا كانت جيوش الوليد تجدد فى فتح البلاد وتظهر للعالم مهارة العرب  
فى الحرب كان هو يلتفت الى داخل بلاده وتهيئة ما يلزمها من أسباب

عبد الملك  
ابن مروان

الوليد

التقدم وال عمران . وكان له ولع شديد بالعمارات العظيمة ، فبنى جامع بني أمية العظيم وداراً للمعزة والمرضى بدمشق ، وجدّد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . ويمكن اعتباره في الحقيقة المحرض الأول على انشاء العمارات العربية . ومات الوليد سنة ٩٦ هـ ( ٧١٥ م ) وسلطان المسلمين يمتد من المحيط الأتلتى الى الصين وجبال الهند ، ومن بلاد السودان واليمن الى سهول سيبيريا ، وهي أكبر مساحة وصلت إليها المملكة العربية وبعد وفاة « الوليد » دخلت الدولة في طور تقهقر ووقفت الفتوح العربية العظيمة . ولما خلف الوليد أخوه « سليمان بن عبد الملك » سير جيشاً وأسطولاً عظيمين الى « القسطنطينية » فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها . على ان الجيوش العربية في الأندلس كانت سائرة في فتح جنوبي فرنسا حتى وصلت الى نهر « اللوار » ولكنها التقت بجيوش شرل مرّتل « في موقعة « بواتيه » ( ثور ) سنة ١١٤ هـ ( ٧٣٢ م ) فقتل قائدها واضطر المسلمون الى التراجع الى الأندلس ، ولم يفكروا بعدها في فتح فرنسا ومن ذلك الحين كثرت الفتن الداخلية في دولة بني أمية وقويت الأحزاب المشايعة لأهل البيت ولبنى العباس . ثم أخذ أمر دعاة بني العباس يستفحل في « خراسان » بزعامة « أبي مسلم الخراساني » حتى أقبلت جيوشه من « خراسان » والتقت بجيوش « مروان بن محمد » آخر خلفاء بني أمية على نهر « الزاب » أحد فروع « دجلة » ، فانهزم مروان وتبعته جيوش العباسيين الى الشام فصر حتى لحقته بقرية « بوسير » من مديرية الجزيرة وقتلته . وبذلك انقرضت دولة بني أمية سنة ١٣٢ هـ ( ٧٥٠ م ) وكانت دولة بني أمية من أعظم دول الاسلام . وهي الدولة العربية

سليمان  
ابن عبد الملك



والبلاد التي خضعت لسلطانها  
 الذوق العجيب  
 على ما عرفت من الكثرة والجموع التي لا تحصى



المحنة التي حافظت على الشعار العربي في لبسها ومعاشتها وحكومتها ،  
وكانت السلطة في زمانها كلها بيد العرب . ويرجع سقوط هذه الدولة الى  
جملة أمور منها :

(١) مزاحمة ييتين عظيمين لهم في الخلافة : هما بيت العلويين  
والعباسيين ، ولكل شيعة عظيمة تنصره لقربته من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم

اسباب سقوط  
الدولة الأموية

(٢) كثرة الخوارج الذين لا يرون وجوب انتخاب الخلفاء من قريش  
(٣) نهاون الطبقة الثانية من أبناء خلفائهم بأمر الملك واشتغالهم  
بالهو ومشاحة بعضهم لبعض وتنازعهم في الخلافة

(٤) ترفعهم على الأجناس المحكومة من الفرس والترك والروم  
وغيرهم ، فقلما كانوا يتخذون منهم ولاية أو قواداً أو يتزوجون منهم ، مما  
يقضم فيهم وجماعهم ينصرون العباسيين عليهم

(٢) الدولة العباسية

(١٣٢ - ٥٦٥٦ : ٧٥٠ - ١٢٥٨ م)

بدأ أمر هذه الدولة ان الأمويين اضطهدوا جد العباسيين (علي بن  
عبدالله بن عباس ) ونفوه الى قرية من بادية الشام ، فرّ بولده محمد فيها  
أحد زعماء العلويين مريضاً فتنازل لمحمد عن حقوق المطالبة بالخلافة  
ولقب بالإمام ، فسهل ذلك عليه وعلى أولاده دعوة الناس سرّاً الى بيعتهم  
فعظم شأن شيعتهم في خراسان بزعامه « أبي مسلم الخراساني » . ثم زحفوا  
على العراق ، فظهر « عبدالله السفّاح » بن محمد وبايعه أهل الكوفة سنة ١٣٢ هـ

السفّاح

(٧٥٠ م) فكان بذلك مؤسساً للدولة العباسية . ثم تتبع بنى أمية قتلاً وحبساً فهاموا على وجوههم في أنحاء البلاد . واتخذ السفاح مدينة الأنبار بقرب الكوفة داراً للخلافة . وهو أول من اتخذ الوزراء ، وكانت مدته القليلة مدة تأييد لدعائم الملك وترتيب لنظام حكومته . ومات بالأنبار بعد ٤ سنين وعمره ٣٣ سنة

ثم ولى الخلافة بعهد منه أخوه « أبو جعفر المنصور » ، وهو شيخ المنصور العباسيين وأعظم خلفائهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم : لم يكذب على الخلافة حتى خرج عليه أشراف العلويين وبعض أعمامه وتفاقت الثورات والفتن ، وطمع « أبو مسلم الخراساني » نفسه في انتزاع الملك من بيته ، فاحتال عليه بحسن سياسته ودهائه وقتله وأخذ الفتن والشور ، حتى اذا صفا له الجؤ أقبل يرغب العلماء في التأليف والتصنيف ، فكان عصره أول عصور وضع العلوم الاسلامية العربية ، وفيه تُرجم كثير من كتب الفرس وغيرهم وبنى « المنصور » مدينة « بغداد » وجعلها عاصمة له . وبقى ملكاً أبناؤه

« وهرب منهم « عبد الرحمن بن معاوية » ابن الخليفة « هشام » فسار الى « الاندلس » حيث وجد كثيراً من عسكر آباءه وشيعتهم فتغلب على تلك البلاد وأسس بها دولة أموية مستقلة كانت تضارع العباسية في العلم والحضارة وعاصمتها « قرطبة » . ومن أشهر خلفائها « عبد الرحمن الناصر » الذي نافست قرطبة في عصره بغداد . وبقيت دولتهم الى سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ثم ورثهم ملوك الطوائف من العلويين وغيرهم فأخذ الإسبان ينقصون الأندلس من أطرافها بلداً بلداً . ثم استولى عليها ملوك البربر من « المُلُتَمِينِ والموحدين ثم بنو الأحر » من العرب حتى سقطت في يد الإسبان سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م)

بها حتى صارت أزهى وأنعم مدينة في الدنيا . وكان رجل جده واقتصاد  
وعلم وفضل . مات سنة ١٥٨ هـ ( ٧٧٥ م ) وترك خزائن الدولة مفعمة  
بالأموال فكان ذلك سبباً في مساعدة الخلفاء من بعده على تنمية الآداب  
والعلم والحضارة

الرشد والمأمون      وبلغ هذا الرقي أقصاه في عهد «هرون الرشيد» (١٧٠ - ١٩٣ هـ :

٧٨٦ - ٨٠٩ م ) وابنه «عبد الله المأمون» (١٩٨ - ٢١٨ هـ : ٨١٣ -

٨٣٣ م ) ، فانه في عهدهما بلغ العرب أقصى مبلغ من الحضارة وتمتعوا  
بأعظم أسباب النعيم والرفاهية . وظهر في بغداد شغف بالعلوم والآداب  
والفنون والفلسفة لا يكاد يكون له نظير في تاريخ العالم بأسره

وبعد أيام «المأمون» أخذ الانحلال يتسرب الى جميع أنحاء الدولة

بأخذ المعتصم جنوداً عظيمة من ممالك الأتراك يستعز بهم على العرب

والفرس ، فعظم شرمهم في زمنه حتى خرج بهم من بغداد وبنى شمالها مدينة

«سُرْمَنْ رَأَى» فاستفحل أمرهم بها ، واستطالوا على الخلفاء من أولاده

وأحفاده : يخلعونهم ويقتلونهم ويسلمون أعينهم . وسقطت مهابة الخلفاء

من أعين الولاة ، فاستبدوا بنواحيهم ، وكثر الخوارج والمفسدون من

الزنج<sup>(١)</sup> والفرامطة<sup>(٢)</sup> ونشأت الدولة السامانية بخارى ، والدَيْلَمِيَّة بفارس

والعراق ، وبنو حمدان بالجزيرة ، والطولونية ثم الإخشيدية ( مع الاعتراف

بسيادة الخليفة ) ثم الفاطمية ثم الأيوبية بمصر والشام

(١) جمع أحد المدعين الاتماء الى على جيوشاً من الزنج وخرج بهم على

العباسيين (٢) فرقة دينية مبدؤها التشيع لعل أيضاً ولكنها معتبرة عند

أكثر الناس خارجة على أصول الإسلام

ثم ورث السُّلْجُوقِيُّونَ الإماراتَ الشرقية ، أي ما عدا مصر والشام ،  
واستولوا على ديوان الخليفة ببغداد حتى أصبح لاجئاً له ولا عقد ، واستمر  
ذلك الى زوال الخلافة حتى أغار التتار بقيادة زعيمهم «هولاكو» فاستولوا  
على بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بمساعدة الخائن «مؤيد الدين بن العلقمي»  
وزير المستعصم آخر خلفاء بغداد ، وقتلوا الخليفة وأهله ومثأوا بهم . وبموت  
المستعصم سقطت الخلافة العباسية من بغداد . وفرّ بعض الخلفاء الى  
مصر في زمن الملك الظاهر بيبرس . فأنزهم وخصص لهم بعض وظائف  
لماشهم ، وبقوا فيها حتى جاء السلطان سليم الى مصر وافتتحها من يد  
المماليك ، فبايعه الخليفة المتوكل آخر خلفاء العباسيين بمصر بالخلافة ،  
فانتقلت بذلك الى العثمانيين سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م)

وكانت الدولة العباسية دولة عظيمة الشأن قوية السلطان طويلاً  
العمر انتشرت في مدتها العلوم والمعارف واتسع نطاق الفنون والصناعة ،  
والزراعة ، وبلغت من الحضارة مبلغاً لم تصل اليه دولة اسلامية بعدها .  
وقد كان قيامها بمساعدة الفرس فلذلك كانت حكومتها فارسية الصبغة  
وأثر خلفائها الفرس ثم الترك على العرب بالمناصب والعطاء  
ومن أهم أسباب سقوطها :

(٢) اقطاع خلفائهم الولايات القاصية لبعض الولاة وذراريهم مكافأة  
لهم على خدمة ، فاستقلوا بها

(٢) ابعادهم أهل العصبية من العرب لتوهمهم ميلهم الى العلويين  
واستعاضوا عنهم بالفرس والترك ، فكانوا معهم كالمستجير من الرمضاء  
بالنار ، فخرجوا عليهم

تاريخ (١٥)

- (٣) عدم سنّ نظام لولاية العهد ، فولّى أصحابُ القوة في الدولة من الترك والديلم الصبيان والأطفال منصبَ الخلافة واستبدّوا هم بها
- (٤) انتشار مذاهب الشيعة بتعزيد المستبدّين بالملك من الفرس والديلم وغيرهما ، حتى آل الأمر الى استدعائهم التار لتزع الخلافة من العباسيين وجعلها في يد العلويين فاكسحوا الطائفتين
- (٥) تكوين الدولة العباسية من عدة شعوب قوية ذات حضارة قديمة كل منها يعمل على إعادة دولته ، فسهل ذلك اتقسام الدولة الى عدة ممالك وإمارات أعقبها الفناء

## الفصل الثاني

### مصر

في عهد الخلفاء الراشدين وبنى أمية وصدر بنى العباس

٢١ - ٢٥٤ هـ (٦٤١ - ٨٦٨ م)

فُتحت مصر فيما بين سنتي ١٨ و ٢٠ هـ (٦٣٩ - ٦٤١ م) . وبعد قليل أُلحق بها جزء من بلاد النوبة ثم بلاد برقة ثم بلاد إفريقية (تونس)

﴿ شكل حكومة مصر ولواحقها ﴾

كانت هذه البلاد منذ افتتاحها المسلمون الى أن تولّاها احمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) ولاية بحتة ، أي معتبرة جزءاً من أملاك الخلافة يحكمها وال يُرسل من قبل الخليفة ، مطلق التصرف غالباً فيما

يوافق سنن الإسلام وتقتضيه العدالة ، ولأهل الرأي من فؤاد العرب ووجوه الناس واكابر العلماء والفقهاء عنده قول مستمع ، ورأى متبع . ولم يغير المسلمون في بده فتحهم كثيراً من شكل النظام الإدارى ، وهو فى الجوهر تقسيم مصر الى كُور أو أعمال يرأس كلًّا منها حاكم خاضع فى إدارتها لإشارة الوالى ويصدر أوامره الى من تحت إدارته من رؤساء القرى ، وذلك شبيه جدًا بالنظام المتبع الآن . كذلك لم يغير العرب كثيراً من طرق الرى وجباية الخراج وكتابة الدواوين ، غير أنهم جرّدوا بقايا الروم من أعمال الحكومة ووضعوها فى أيدي الأقباط لعظيم ثقتهم بهم ، وأبقوا لأنفسهم المناصب السياسية والدينية . ولما تعلم العرب فنون الإدارة وكتبوا الدواوين بالعربية بدل القبطية فى ولاية « عبد الله بن عبد الملك ابن مروان » سنة ٨٧ هـ ( ٧٠٦ م ) ، وزاحموا القبط بعض الشئ ، وحرّموا بعض مزاياهم تألبوا مراراً وخرجوا على العرب وشاربوهم ، وقابلهم هؤلاء بالقوة فلم يسعهم إلاّ تعلم العربية واعتناق الإسلام ، فأسلم كثير منهم وصاهروا العرب وامتزجوا بهم وانتظموا فى سلك الحكومة ، ثم أخذ نظام الحكومة الإدارى يتغير بعد ذلك بمناسبات الأحوال

حفظ النظام  
القديم

وكان الولاية بحسب مقدرتهم وثقة الخليفة بهم : أمّا ولاية مطلقه لهم الحرية ، يقومون بأعمال جميع المناصب الثلاثة العظيمة التى تدور عليها رعى الولاية ، وهى إمامة الناس فى الصلاة وجباية الخراج وقيادة الحرب ، وإمّا ولاية خاصة مقصورين على واحدة أو اثنتين منها . وكل والٍ خاص يرسل بعهد خاص من الخليفة ولا يملك أحدهم عزل الآخر ، وإن كان صاحب الحرب أو صاحب الصلاة له الزعامة والإشراف على غيره غالباً

أنواع الولاية  
وحقوقهم

وربما ولى الخليفة والياً عاماً على ولايات الغرب كلها أو بعضها، فنيب هذا عنه بعهد منه والياً على مصر كما كان يقع في عهد بني العباس ومن حقوق الوالى المطلق الصلاة بالناس في الأوقات الخمسة والجمعة والعيدين، والخطبة بهم فيها وفي الحوادث العظام، وانتخاب أعوانه من الحكام وجباة الخراج وقادة الجيوش، ونصب القضاة وأصحاب الشرطة والمظالم وغيرهم من كبار العمال، بشرط انتخابهم من أشرف العرب أو أفاضل الموالى<sup>(١)</sup> المسلمين، وتنفيذ الأحكام والحدود من القصاص وغيره. ولا يرجع الى الخليفة غالباً في شيء من ذلك. فالوالى مستقل في الحقيقة نوع استقلال داخلي، إلا أن حكمه مؤقت قصير المدى، فكان الخليفة يستبدل به غيره عند ظهور أى عيب فيه ولو صغيراً أو وقوع ظلم منه، وربما كان ذلك سبباً في انصراف كثير من الولاة المصلحين عن القيام بالأعمال النافعة العظيمة

مقر الحكومة بنى عمرو بن العاص عقب الفتح مدينة « الفسْطاط<sup>(٢)</sup> » (وموضعها

(١) الموالى هم سكان البلدان الأصليون أو من جرى عليهم رق ثم اعتقوا

(٢) قال « المقر بى » في وصف موضع الفسْطاط ما يأتى :

« اعلم ان موضع الفسْطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء وهزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع والمعلقة ، ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ، ويقم فيه ما شاء ، ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك بالاسكندرية . وكان هذا الحصن مُطلاً على النيل ، وتصل السفن فى النيل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب

الآن جامع عمر وما جاوره ) وجعلها مقرًا للإمارته . وبقيت كذلك الى العصر العباسى ، فبنى « أبو عؤن » قائد جيش العباسيين المقتفين أثر مروان ( آخر خلفاء الأموية الهارب الى مصر ) « مدينة العسكر » شمالي القسطنطينية حيث نزل عسكره ، فسكنها اكثر ولاية بنى العباس الى زمن « ابن طولون »

### ﴿ الخراجُ والنِّقَاقُ ﴾

لما فتح العرب مصر ضربوا على أهلها الجزية : جزية الرهوس والأرض . نوعا الجزية فأما جزية الرهوس فكانت دينارين ( جنيتها واحداً ) على كل رجل قادر على العمل ، وأُغنى منها الصبيان والشيوخ والرهبان والنساء . وأما ضريبة الأرض فكانت على كل قرية نصيب يختلف باختلاف غلتها وعمراتها وخرابها ، وعلى أهل القرية من ذلك ضيافة من يمر عليهم من جند الحامية ثلاثة أيام . وكان مجموع ما يجبيه المسلمون من الجزية وخراج الأرض أقل كثيراً مما كان يجبيه الرومان ، ولذلك أحب القبط وملأك الأرض من الروم أنفسهم حكم المسلمين ونصحوا لهم في خدمتهم . وكان لكل قرية مجلس محلي من رؤسائها يقررون ارتفاع القرية ( أموال ضرائبها السنوية ) ويوزعون أرضها على القادرين على زرعها . ويقومون بتأدية خراجها الى عمال الخراج . وكان ذلك في أول الفتح . ثم صاروا يؤدونها إلى أصحاب الالتزام وهم الذين يرسلو عليهم خراج النواحي مدة ثلاث سنوات بمد اعلان التزايد فيها

الحديد . . . . . وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق . وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى . . . . .



بمسجد عمرو، وهؤلاء يجمعون الخراج بواسطة أعوانهم ومماونة الحكومة أحياناً ثم يقدمونه الى صاحب الخراج (شبيه بوزيرى المالية والأشغال) وكان أكثر الخراج يجبى من جزية الرءوس التى تضرب على أهل الذمة فقط، ويرسل جزء كبير منه للخليفة لقلعة جالية العرب بمصر يومئذ. وبلغ مجموع ما جباه عمرو من الخراج فى السنة ١٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار جمعت على الأرجح على الوجه الآتى:

أرض مصر  
وعدد سكانها

(١) ٣,٠٠٠,٠٠٠ جزية الأراضى عن الف الف وخمسة الف من الفدادين المزروعة (مليون ونصف)

(٢) ٨,٠٠٠,٠٠٠ جزية الرءوس على أربعة آلاف الف من المذكور البالغين (أربعة ملايين)

(٣) ١,٠٠٠,٠٠٠ ضرائب شتى

فلما فشا الإسلام فى القبط وكثر ورود قبائل العرب الى مصر وزاد عدد مقاتلتهم بها قل المتحصل من جزية الرءوس، وكثرت النفقة على جنود الديوان، فكان صافى الخراج بعدئذ دون ثلاثة آلاف الف، وإذا حسنت وجوه العمارة واستقصيت أبواب الجباية بلغ أربعة آلاف الف، وقلما زاد على ذلك

### ﴿ القضاء والشرطة والمظالم ﴾

كان من حق الوالى بمصر تنصيب القضاة وعزلهم من غير مراجعة الخليفة. واستمر ذلك الى أوائل الدولة العباسية إذ ولى «أبو جعفر المنصور» ابن لهيعة القاضى بأمره، وأجرى عليه ثلاثين ديناراً فى الشهر

القضاة  
واختصاصهم

وكان قاضي القسطنطين ينوب عنه قضاة البلدان الأخرى . أو يعينهم  
الوالي رأساً . وكان مجلس القاضى إما فى المسجد الجامع غالباً ، وإما فى داره ،  
وقلماً يجلس فى دار الإمارة . ولم يكن يُشترط فى القاضى أن يقضى بمذهب  
خاص ، بل يكون مجتهداً أو على مذهب أحد الأئمة . وكان منصب القاضى  
فى ذلك العهد من أهم المناصب وأكثرها عملاً ، وكان من أعماله الفصل فى  
الدعاوى والأوقاف والنفقات ونصب الأوصياء ، وأحياناً تضاف إليه  
الشرطة والمظالم وبيت المال ، ولذلك كان القضاة يُختارون من أغزر الناس  
علماً وأكثرهم فضلاً . ومن أعظم من اشتهر منهم بالفضل والاستقامة  
والعدل القاضى « غوث » بن سليمان المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، ولى قضاء  
مصر مراراً ، ولم يُمنع عن الوصول إليه متظلم قط . ومنهم أيضاً « المفضل »  
خلفه ، وهو أول من أمر بتدوين الأسباب المبني عليها الحكم بأكملها . وقد  
كان الكثير من القضاة يتنجس عن تقلد هذا المنصب لكثرة أشغاله  
وخطورة مسئوليته ، ولم يقبله « أبو خزيمة » إلا بعد أن نادى الحاكم بالجلاد  
أما الشرطة فكان يابها غالباً عامل خاص يسمى « صاحب الشرطة »  
( حكمدار البوليس ) وله ما لهذا فى زماننا تقريباً

بعض مشاهير  
القضاة

الشرطة

المظالم

وأما صاحب المظالم فهو الذى ينظر فى القِصص\* والشكاوى التى  
ترفع إليه من الرعية تظلماً من عمال الحكومة أو غيرهم ، فيفصل فى بعضها  
بنفسه أو يحيل النظر فيها على القاضى . ونظيره الآن النائب العمومى  
وأقلام قضايا المصالح

\* القِصص هى العرائض

### ﴿ المقاتلة ﴾

كانت تُعرف رجال الجيش بالمقاتلة، ويسمون أيضاً أصحاب الديوان «  
أى أصحاب الأعطيات التى تصرف لهم فى الديوان كل سنة . وكان كلهم من  
العرب، بل كان كل عربى ينزل الى مصر يُفرض له ولأولاده وعباله فرض  
فى الديوان . وكانوا يُنهون عن الاشتغال بالزراعة . ويُعاقبون على ذلك  
لأنهم ينسوا ملكة الحرب . ويقودهم فى الحرب والى مصر . ولكن لما وفر  
عددهم وزادوا عن حاجة الديوان زاولوا الزراعة ودخلوا فى غمار الفلاحين  
بالتدريج . وبقى العرب هم أصحاب الفروض فى الديوان الى عهد الدولة  
العباسية ، فاشتركت معهم فى المقاتلة من الفرس والترك حتى أمر المعتصم ،  
الخليفة العباسى ( جازاه الله ) بإخراج العرب من الديوان وحرمانهم من  
المطاء ووضع الترك بدلهم ، فحآت الجيوش العربية ، وثاروا على الحكومة  
مراراً فقهرتهم ، ومن ذلك تضعف سلطات العرب فى مصر وزالت  
دولتهم واشتغلوا بالزراعة وصاروا مزارعين ، وكان جزاء الدولة العباسية  
من الترك فى مصر أن خرجوا عليها واستقلوا بها

### ﴿ الرى والزراعة والتجارة ﴾

كانت الأعمال الخاصة بهندسة الرى ، من كرى الخلابان وإقامة  
الأحواض والقناطر والجسور وتقدير الأقيية ونحو ذلك ، تقوم بشؤونها  
الحكومة نفسها فى مبدأ الفتح ، ويتولى ذلك صاحب الخراج ( صاحب  
المالية والأشغال ) جريباً على النظام الذى كان متبعاً زمن الرومان

ثم لما ضعف شأن الولاة أضيفت هذه الأعمال الى أصحاب الالتزام فأهملوها وقلّ بذلك العمران تدريجاً . وكان أكثر ربيها بالحياض النيلية فتقتصر على الزراعة الشتوية . وبمض أرض الفيوم والوجه البحرى تروى بالترع والسواقي فتخرج الزراعة الصيفية أيضاً . وكان يزرع بمصر الكتان والقمح وباقي الحبوب وكثير من الكروم والنخيل والفاكهة وكانت تجارة مصر الى الخارج فى الحبوب والمنسوجات الكتانية التى كانت تضارع فيها وقتئذٍ أصنع أهل الدنيا ومما كان يساعد على انتشار التجارة بين مصر وغيرها البحران الأحمر والأبيض ، ونهر النيل ، وكثرة الترع ، خصوصاً خليج أمير المؤمنين الذى كان يصل النيل بالبحر الأحمر ، وبقى الى صدر الدولة العباسية حتى ردمه المنصور

### ﴿ أهل البلاد ﴾

كان أهل مصر فى أول الفتح هم جمهور الأقباط وبقايا الروم ومهاجرة العرب ، فكان القبط هم المزارعين وأرباب الوظائف الصفرى والوسطى . وكان العرب هم الحامية وأهل الحرب . ثم اشتغل العرب بعد نحو قرن بالزراعة . وأسلم كثير من القبط وصاهروا العرب ، فضربت على العرب المزارعين الضرائب التى كانت تضرب على القبط فقبلوها إذ كانت معتدلة . ثم اشتط بعض العمال فى زيادة الضرائب وجباية الرؤوس فكان ذلك سبباً فى كثير من الفتن وكان القبط حينئذٍ على حال عظيم من الرخاء ، ومما قيل فى وصف

ذلك أن عجوزاً منهم من أهل طاء النمل أضافت المأمون بجيوشه ثلاثة أيام، وقدمت له هدية أربعة آلاف دينار من ضرب سنة واحدة\*

### ﴿ أشهر الولاية وأهم الحوادث في هذا العهد ﴾

عمر بن العاص أول ولاية مصر من المسلمين فاتحها العظيم «عمر بن العاص» القرشي وولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولاية مطلقاً. وكان «عبد الله بن سعد ابن أبي السرح» عاملاً على الوجه القبلي. وبقى عمرو والياً على مصر ولو احقها قائماً بالعدل محبوباً عند القبط وجنود العرب ضابطاً لبلادهم أحسن ضبط طول خلافة عمر. وقد قام في هذه المدة بكثير من الإصلاحات العظيمة، فنظم الإدارة وأصلح القضاء ورسم الخطة الأولى في جباية الخراج. ثم انه عني كثيراً بالأعمال الخاصة بهندسة الري من كرى الخلجان وإصلاح مقياس النيل وإنشاء الأحواض والقناطر والجسور، فسخر في ذلك ١٢٠٠٠٠٠ عامل لا يفتر عن العمل صيفاً وشتاءً، وبذا تم كرى الخليج القديم الموصل بين النيل والبحر الأحمر في أقل من سنة، وسماه «خليج أمير المؤمنين»، فصار القمح يرسل إلى المدينة بجرأ بعد أن كان يرسل بطريق القوافل. ولم تلبه هذه الإصلاحات السلمية عن الواجبات الحربية، فانه في سنة ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) أرسل «عبد الله بن سعد» في عشرين ألف مقاتل لإخضاع بلاد النوبة. وفي سنة ٢٤ هـ (٦٤٥ م) أوائل ولاية عبد الله بن سعد الآتي ذكره صد غارة للروم عن الاسكندرية، وكان قائدهم

خليج  
أمير المؤمنين

إخضاع النوبة  
وصد الروم  
بالاسكندرية

\* الحكاية مبسطة في كتاب خطط المقرئ في فصل نزول العرب بمصر من الجزء الأول وفي غيره ببعض تغيير

« منوِيل » ، فهزّمهم شرّه هزيمة وهدّم أسوار الاسكندرية . على أن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » كان يأخذ عليه قلة الخراج الذي يجبيه ، فإن أكبر خراج جباه لم يزد عن ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار

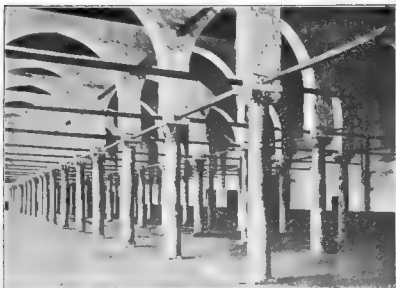
عبد الله  
ابن سعد

ثم لما ولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان عزله وولى بدله « عبد الله ابن سعد بن أبي السرح » فلم يقل عن عمرو كثيراً في ادارتها ، وجعل همه الفتح ففتح بقية بركة وإفريقية . وفي سنة ٣١ هـ ( ٥٦٠ م ) غزا بلاد النوبة حتى « دُثِقَلَة » وفرض عليها جزية سنوية تشمل ٣٦٠ رأساً من الموالى ، على أن يمدّم بمونة من الحبوب وغيرها ، وبقي هذا الاتفاق نافذاً الى عهد المماليك . وكسر الروم في البحر كسرة شنيعة بالاسكندرية سنة ٥٣٤ هـ ( ٦٥٥ م ) وتعرف بغزوة ذات الصواري . وتشدد في أوجه الاقتصاد وتنمية الخراج حتى جباه ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار فكرهه بعض القبط والعرب ، وبقي الى قبيل قتل عثمان . ثم حدثت فتنة عثمان فطرده عرب مصر ورحل منهم فريق الى المدينة اشتركوا في قتل عثمان

وولى أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » والياً من قبله ثم صرفه وولى « محمد بن ابي بكر الصديق » فقتله جيش معاوية الداخل الى مصر بقيادة عمرو بن العاص

نولية عمرو  
ثانية

ثم تولى « عمرو بن العاص » ثانية بتنازل من معاوية له عن مصر بأن تكون طعمة له ولولده من بعده في نظير نصرتة له على علي بن ابي طالب فبقي والياً عليها وقواده يجدون في فتح افريقية والمغرب الأقصى حتى مات سنة ٤٣ هـ ( ٦٦٣ م ) ، ودفن بسفح المقطم ، وكان عمره إذ ذاك ٩٠ سنة . ومن آثاره مسجده العظيم بالقرب من مصر القديمة



( جامع عمرو )

رسم على اقتدى يوسف

وولى بعده ولده « عبد الله بن عمرو » فمزله معاوية بعد سنتين ،  
وولى مكانه أخاه « عتبة بن أبي سفيان » وكان خطيباً مفاهاً ، فكث  
سته أشهر . ثم ولى « عتبة بن عامر الجهني » المشهور قبره بالقرافة ،  
فصُرف بعد سنتين وثلاثة أشهر وجُمِل أميراً للبحر ففتح « رودس » . وهو  
أول من وضع الأعلام على السفن من المسلمين . وولى بعده مسلمة  
ابن مخلد ، وفي امارته نزلت الروم البرُّس فطردوهم الى البحر . وهو أول  
من بنى منارات المساجد . وتوفى بعد ولايته بخمس عشرة سنة وأربعة  
أشهر . وكان من خيرة الولاة علماً وقراءة وعدلاً وجهاداً . ثم ولى  
« سعيد بن يزيد » ثم « عبد الرحمن بن عتبة » من قبل عبد الله بن الزبير ،

عبد العزيز  
ابن مروان

ثم « عبد العزيز بن مروان » من قبل أبيه مروان بن الحكم ، ثم من قبل أخيه عبد الملك بن مروان فكانت ولايته قريباً من احدى وعشرين سنة . وحدث في مدته طاعون في القسطنطينة ، فسكن حلوان وجعل بها الأعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وغرس بها النخيل والكروم ، فكانت القاعدة الثانية للديار المصرية مدة من الزمان

نسخ الدواوين  
بالعربية

ثم ولى « عبد الله بن عبد الملك بن مروان » وفي مدته نُسخت دواوين مصر بالعربية بدل القبطية على يد « ابن يعفور الفزارى » . ثم تولى بعده عدة ولاة من قبل بني أمية كان آخرهم « عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير » ، وفي مدته هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى مصر ، فلحقه « صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وأبو عون عبد الملك ابن يزيد » بجيشهما فقتلوه ببوصير من اقليم الجزيرة . فكانت ولاية مصر منذ الفتح الى آخر بني أمية ٢٨ والياً كلهم من العرب

انتهاء عهد  
بني أمية

وتولى مصر « صالح » من قبيل ابن أخيه ابي العباس السفاح سنة ١٣٣ هـ ( ٧٥٠ م ) وسكن القسطنطينة وأقام بها سبعة أشهر . ثم استخلف أبا عون بها . فانتقل الى مدينة بناها شمالي القسطنطينة سماها « العسكر » موضع نزول عسكره\* ، فكانت مقر الولاة العباسيين حتى بنى احمد بن طولون « القطائع » شرقها

العسكر

ثم توالى ولاية بني العباس على مصر فتم انتقالها من يد الأمويين الى يد العباسيين بدون صعوبة كبيرة ، بل ان كثيراً من العمال والموظفين

\* ومحلاها الآن أبنية خط فم الخليج وأبي السمود الجارحي والماوردي وزينهم والبلغالة الى طولون والصحراء قبالة كيان البغالة وجبل قلعة الكباش



بقوا في مناصبهم وأخلصوا للعباسيين في خدمتهم

وفي عهد العباسيين كثرت الفتن والقلاقل في البلاد، ولم يكن للأقباط يد فيها أكثر مما كان للمسلمين أنفسهم بسبب الخلاف بين الشيعة والسنيين : وكان بمصر لكل من العلويين والخوانسار طائفة تعززم، وتفاقت العداوة بين الاثنين حتى أدت الى اضطراب مستمر. وساعد على اضطراب تلك النيران أهل « الحوف »، وهم عرب من قبيلة « قيس » كان قد أنزلهم « عبيد الله بن الجحّاب » والى الخراج سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) في الحوف الشرقي (الأراضي التي شرقي فرع النيل) ليساعدوا على انتشار الإسلام في مصر

كثرة الفتن

فمن ذلك ان الخوانسار ثاروا سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤ م)، إذ كان أبو عون في « برقة » لإخضاع البربر، فاضطر إلى الرجوع الى مصر فقهر الثائرين وأرسل ثلاثة آلاف رأس من قتلاهم الى القسطنطينية

ثورة الخوانسار  
١٣٧ هـ

وفي سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) خرج الأقباط بجمعة « سخا » وهزموا جيوش الحكومة وطردها جباة الخراج. وكانوا قد خرجوا قبل ذلك مراراً على بني أمية بسمنود وبالصعيد فلم يفلحوا. ولكن أمرهم استفحل هذه المرة حتى عمّت الثورة جزءاً عظيماً من الوجه البحرى، واستمر الحال كذلك عدة سنوات. ثم سلكت معهم الحكومة مسلك الشدة والاضطهاد تأديباً لهم حتى انتهى الأمر بكبح جماحهم

خروج الأقباط  
١٥٠ هـ

ومن الولاة الذين اتخذوا الشدة وسيلة لتوطيد الأمور « أبو صالح » المعروف « بابن ممدود »، وهو أول من ولى مصر من الأتراك، وليها سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ م)، فكان غاية في الشدة: ضرب على السرقة وقطاع

ابن ممدود  
أول ولاية  
الأتراك

الطريق من عرب الحوف وغيرهم يدي من حديد حتى أصبح الناس يتركون منازلهم مفتوحة ولا يخشون عليها من سوء

وفي سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢ م) حدثت فتنة سياسية كبرى بالصعيد ، سنة ١٦٦ هـ فإن دحية بن مصعب الأموي ادعى الخلافة فانضم إليه معظم الوجه القبلي وهزموا جيوش الحكومة . وانهز عرب الحوف هذه الفرصة فخرجوا ، فانهمزت جيوش الحكومة وقتل الوالي . ولم تزل الأحوال في اضطراب حتى ولي مصر « الفضل بن صالح » بن علي العباسي . فانه أتى بجيش من الشام فهزم الثائرين عدة مرات في الصعيد وقبض على المطالب بالخلافة ، ثم ضرب عنقه بالفسطاط وصلبة وأرسل رأسه للخليفة ببغداد ومن سوء الحظ ان « الفضل » خالجه الفرور ليماً رأى من انتصاراته ، فعزله الخليفة « المهدي » . ومن بعده عاد الاضطراب وكثر عزل الولاة حتى أنه في عهد « الرشيد » تولى مصر ١٦ والياً في اثني عشر عاماً

وفي هذا العهد كثر خروج عرب الحوف : ففي سنتي ١٨٦ و ١٩١ هـ عرب الحوف ( ٨٠٢ و ٨٠٦ م ) ثاروا وامتنعوا عن دفع الضرائب وسلبوا أموال التجار والمسافرين ، ثم انضمت اليهم قبائل البدو النازلة على الحدود ، وأغاروا على الشام . ثم تجددت ثورتهم بعد وفاة « الرشيد » عند ما تنازع « الأمين » و « المأمون » بسبب الخلافة ، فرأى الأمين اتقاء لشرم أن يعين رئيسهم والياً على مصر ، فزادت بذلك شوكتهم وكبر شأنهم

ومما ساعد على ازدياد قوتهم أنه في سنة ١٨٢ هـ ( ٧٩٨ م ) جاء الى الاسكندرية ما يزيد على ١٥٠,٠٠٠ رجل من الأندلس عدا أطفالهم ونسائهم ، طردهم من أسبانيا الامير الاموي « الحكم » عقب فتنة كبيرة حدثت

مهاجرو  
الاندلس

بقرطبة . ولم يمض زمن طويل حتى تدخلوا في شؤون مصر السياسية ، وانضموا الى عرب «لخم» ، واستولوا على الاسكندرية سنة ١٩٩هـ (٨١٥م) . وما زالوا في حرب مستمر ، مع الحكومة تارة ، ومع الساخطين من عرب الحوف أخرى ، حتى أرسل اليهم « المأمون » سنة ٢١١هـ ( ٨٢٦ م ) قائداً من أعظم قواده وهو « عبد الله بن طاهر » فاستولى على الاسكندرية بعد أن حاصرها أربعة عشر يوماً ، فخرجوا منها بنسائهم وأطفالهم ونزلوا بجزيرة « إقريطش » ( كريد ) سنة ٢١١هـ ( ٨٢٧ م )

عبد الله  
ابن طاهر

وكان ابن طاهر قد بدأ بقتال الوالى السابق فتغلب عليه وأخرجه من « القسطنطية » . ثم عمل على تنظيم الجيش ونشر الأمن حتى دانت له البلاد . وأراد « المأمون » مكافأته على ذلك فوهب له الجزية سنة بأكملها ، وكانت إذ ذاك ٣٠٠٠٠٠٠ دينار

وكان « عبد الله » من أحسن الحكام الذين ولوامصر ، له ولع بالعلوم ، حريص على أكرام العلماء والشعراء . ومن أعماله أنه جدّد بناء جامع عمرو

ولم يكذب يخرج من مصر ويذهب الى موطنه بخراسان حتى جدّد أهل الحوف ثوراتهم وهزموا الحاكم الجديد بجهة المطرية . ثم جاء المعتصم أخو الخليفة في ٤٠٠٠ مقاتل من الأتراك ، فبدد شمل العرب سنة ٢١٤هـ : ( ٨٢٩ م ) وقتك بزعمائهم ، غير أنه لم يمض على عودته الى بغداد أكثر من

\* يقال ان نوع القثاء المعروف بعبد اللاوى سُمى بهذا الاسم نسبةً الى عبد الله ابن طاهر لأنه أول من أدخل زرعه بمصر

خمسة أشهر حتى تجددت ثورة العرب وخرج معهم القبط سنة ٢١٦ هـ  
والقبط عامة

( ٨٣١ م ) خروجاً عاماً  
وبعد فتنة طويلة جاء المأمون بنفسه سنة ٢١٧ هـ ( ٨٣٢ م ) وحارب  
القبط وأنزلهم من حصونهم ، فلم يجرّدوا بعدها سيفاً ، وأخذوا يمتنعون  
الإسلام أفواجاً . ومن ذلك العهد ابتدأ الطور الحقيقي لانتشار الدين  
الإسلامي في مصر حتى صبغت صبغة إسلامية محضة

وبقيت البلاد هادئة بعد مجيء المأمون لم يعكر صفوها شيء من  
الغلافل ، اللهم إلا اختلاف قليل بين العلماء ورجال الدين من المسلمين  
أنفسهم . وبقيت ولاية بني العباس تتوالى على مصر من العرب والموالي  
حتى ولي « عنبسة بن اسحق الضبي » سنة ٢٣٨ هـ ( ٨٥٢ م ) ، فكان  
آخر أمير عربي ولي مصر ، وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع .  
وهو من أحسن ولاية مصر عدلاً ، وأكثرهم فضلاً وأكبرهم ورعاً

عنبسة آخر  
وال عربي

وفي مدته هوجمت مصر من جهتين ، فدخل الروم دمياط سنة ٢٣٩ هـ  
( ٨٥٣ م ) ، فردم عنها وحصنها بحصون منيعة كان لها الفضل الأكبر  
في الحروب الصليبية . وفي سنة ٢٤٠ هـ ( ٨٥٤ م ) أراد « علي بابا » ملك  
النوبة أن يزحف على مصر ، فهزبه « عنبسة » وحمله على دفع الجزية ،  
وإن كان قد أكرم مشواه وردّه معزّزاً الى بلاده بعد أن زار القسطنطينية  
وبغداد . وعُزل « عنبسة » سنة ٢٤٢ هـ ( ٨٥٦ م ) وخلفه من الموالي  
والأتراك عدّة كان آخرهم « أرجوز بن اولغ طرخان » التركي ، ثم صرف  
بأحمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ ( ٨٦٨ م ) ، فخرج على الخلافة واستقل  
بملك مصر وأسس الدولة الطولونية

تاريخ (١٦)

## الفصل الثالث

### الطولونيون والاششيديون

#### (١) الدولة الطولونية

٢٥٤ - ٢٩٣ هـ (٨٦٨ - ٩٠٥ م)

بقيت مصر بعد سنة ٢٤٢ هـ (٨٥٦ م) ولاية للعباسيين ، يقلدها خلفاؤهم من أحبوا من الموالى والأتراك ، فيقيم هؤلاء ببغداد ويستخلفون عليها نوابا يحكمونها لهم ويرسلون الخراج اليهم

فلما كانت سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) قدم اليها « احمد بن طولون » التركي نائبا عن الأمير « باكباك » الذي قلده مصر من قبل الخليفة . وأصل أبيه « طولون » مملوك للمأمون . فنشأ ابنه احمد نشأ حسنا ، فتعلم وتأدب وأحب الغزو ، وظهر فضله وشجاعته . فوقع اختيار « باكباك » عليه ، وخصه بأعمال القصب\* (الفسطاط) بحيث لا يدخل في دائرته الاسكندرية وغيرها

ابن طولون

وكان بمصر « احمد بن المدبر » واليا على الخراج ، وقد تحكم في البلد . فما زال به حتى كفت يده ، فعظم بذلك شأن ابن طولون ثم أخذ « ابن المدبر » يشي بآبن طولون ويطلب من الخليفة عزله فلم ينجح . ومن حسن حظ « ابن طولون » أنه لما مات « باكباك » وهبت

\* قصبة الملكة حاضرتها الكبرى الأصلية

مصر للأمير « ماجور » حتى\* « ابن طولون » ، فأبقاه في منصبه وزاد على أعماله أعمال الاسكندرية وغيرها من الجهات التي لم تكن من أعماله وذلك سنة ٢٥٧ هـ ( ٨٧٠ م )

فعمم بذلك شأن ابن طولون . وكثرت أعداؤه حتى أنه لما انتهى تقليد ماجور سنة ٨٧٢ م أرادوا أن يوقعوا به ، وكاد « الموفق » أخو الخليفة وصاحب الكلمة إذ ذاك أن يمزله ، ولكنه تمكن بدهائه وماله من دفع ذلك ، وقويت شوكتة وخشيته « ابن المدبر » وقبل بمعظم الارتياح نقلته الى منصب والي الخراج بالشام ، فخلا لابن طولون جو مصر

فأخذ في الإكثار من الجند والخدم والحشم . ولما رأى أن بيت الإمارة بمدينة « المسكر » أصبح غير كاف لجميع ذلك بنى له مدينة جديدة تمتد من المقطم الى جبل الكباش ، سماها « القطائع » لأنه جعل فيها لكل طائفة من أصناف خدمه « قطيعة » وبنى قصره تحت « قبة الهواء » ( القلعة الآن ) ، واتخذ غريبه ميدانا عجيبا للعب الصوالة ومسابقة الخيل وبنى مسجده المشهور سنة ٢٦٤ هـ ( ٨٧٧ م ) ، وهو من أقدم مساجد مصر . وبنى كذلك مارستانا للمرضى ، وقرب العلماء والزهاد والقراء ورتب الصدقات والمبرات ، فكثرت بذلك نفقاته فتمنع ارسال الخراج الى « الموفق » فسير اليه « الموفق » جيشا ليمزله فلم يصل الجيش . وعند ذلك ازدادت ثقة « ابن طولون » بنفسه وأراد توسيع نطاق ملكه ، فأغار على الشام سنة ٢٦٤ هـ ( ٨٧٨ م ) ودانت له معظم مدنها ، وعاد منها بعد سنة بعد أن ثبت بها دعائم ملكه

\* أي أبي زوجته



( جامع ابن طولون )

رسم لكحيان

فلما وصل الى مصر وجد أن ابنه « العباس » قد انتهر فرصة غيابه وحاول الاستيلاء على الملك فتغلب عليه وسجنه باقى حياته وأراد « ابن طولون » الاستيلاء على مكة فلم يفلح، ولعن المسجد الحرام. فزاد كل ذلك من كراهته للموفق، فحذف اسمه من الخطبة سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٣ م) فقطع بذلك كل صلة بالخلافة. « ومات ابن طولون » سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) وله ملك لا يمدله ملك الخليفة : يشمل الشام والجزيرة وبرقة

قطع الملائق  
مع الخلافة

وقد كان لقوة « ابن طولون » وسطوته خيرا أثر في مصر، فسادت السكينة في البلاد ونمت ثروتها. وتوفى وخزائنه مفعمة بالأموال وكان مع ذلك طائش السيف : يقتل ويحبس بالظننة، ولما اشتد عليه

المرض قبيل وفاته غضب على أطبائه فأعدم كثيراً منهم وعذب آخرين وخلفه ابنه « خمارويه » فسار سيرة أبيه في الاحسان ، وبالغ في الممارسة وأنواع الترف ، فجعل ميدان أبيه ( مكان الرميثة الآن ) بستاناً لم يُسمع بمثله : جمع فيه غرائب الأشجار والأزهار ، واتخذ حظيرة للسباع والوحوش ، وأعد بقصره بحيرة عظيمة من الزئبق يبلغ مسطحها مائة قدم في مثلها

ولما ولي هذا الملك الشاسع استولى الحسد على أميرى « الموصل » النزاع مع اميرى الموصل والانبار ووالى دمشق حوزته ويسلموها للخلافة . وكانت حجبتهم في التعدي على « خمارويه » أنه استولى على أملاكه بعد أبيه من غير أن يقلده الخليفة اياها . وساعدهم « أبو العباس » بن « الموفق » ، وأغاروا جميعاً على الشام ، فدخل « أبو العباس » دمشق سنة ٢٧١ هـ ( ٨٨٥ م ) وبعد ان دارت بينهم وبين « خمارويه » عدة مواقع انتصروا في بعضها وهزموها في اخرى هزمهم « خمارويه » بجهة دمشق سنة ٢٧١ هـ ( ٨٨٦ م ) في موقعة فاصلة ، فدخل دمشق وساق أمير الموصل الى مدينة « سُرّ من رأى » على نهر دجلة

وعند ذلك عقد صلحاً مع الموفق ، وقلده الخليفة حكم مصر والشام الصلح مع الموفق وأطراف بلاد الروم مدة ثلاثين سنة . ثم وقع في مشاحنة مع أميرى الموصل والأنبار ، فكانت نتيجة ذلك أن نودى به في الخطبة حاكماً على الموصل والجزيرة

وفي سنة ٢٧٨ هـ ( ٨٩١ م ) مات « الموفق » وتبعه الخليفة « المعتمد » بعد سنة واحدة ، فحسنت الملائق بين خمارويه والخليفة ، واتفق



« خمارويه » ان يدفع الجزية ٣٠٠,٠٠٠ دينار سنوياً ، وتزوج الخليفة  
زواج قطرالندى « المعتضد » ابنة خمارويه « قطر الندى » فجهزها خمارويه جهازاً يضرب  
به المثل ، فلم يُبق نفيسة ولا تحفة من كل لون أو جنس الا حملها معها :  
فكان من جملة ذلك ٤٠٠٠ منطقة مرصعة وعشرة صناديق مملوءة بالجواهر  
والف هاون من الذهب . ولما فرغ خمارويه من جهازها أمر فبني لها على  
رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبنفداد ، فاذا وافت المنزل  
وجدت قصرأ أعد فيه من أسباب الراحة والترف ما يصلح لمثلها في  
حال الإقامة

كل ذلك وما شاكله من أنواع الإسراف الأخرى التي تعودها فقر البلاد  
أضعف حالته المالية وكاد يفضى بجزائنه الى الخراب . ثم قتل خمارويه  
بدمشق ، ذبحه بعض خدمه على فراشه ، وحمل تابوته الى مصر فدفن فيها  
سنة ٢٨٢ هـ ( ٨٩٦ م )

ثم تولى بعده ابنه « أبو العساكر جيش » ، فلم يحسن السيرة مع  
اهله وقواده فخلعوه بعد ستة شهور ، ومات بعد أيام في السجن  
ثم خلفه أخوه « أبو موسى هرون » ، وفي أيامه ضعف نفوذ مصر  
في الشام ، فاغارت القرامطة عليها وحاصروا دمشق بعد ان حملوا الجيوش  
المصرية خسائر كبيرة . ثم رأى الخليفة أن يدخل بينهم ، فقهر القرامطة  
وزاده هذا النصر إقداماً فساق الى مصر جيشاً وأسطولاً . وجمع « هرون »  
جيشه بالقرب من حدود الشام ابتغاء الالتحام بجيوش الخليفة ، فقتله  
عمأ غنراً في فراشه سنة ٢٩١ هـ ( ٩٠٤ م )

فولى بعده « شيبان » ( عمه وقاتله ) ، فبقي أياماً . وخالفه القواد فكتبوا  
شيبان

الى « محمد بن سليمان » قائد الخليفة فدخل مصر بمسكر جرار، فهرب  
« شيبان » وأخرج محمد بن سليمان بقية آل طولون الى بغداد، وهدم  
القصر والميدان وخرّب البستان وأحرق أكثر القطائع. وبذلك انقرضت  
دولة آل طولون سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٥ م) بعد ان ملكت ٣٧ سنة

انقراض  
آل طولون

### (ب) الدولة الإخشيدية

(٣٢٤ - ٣٥٨ هـ - ٩٣٥ - ٩٦٩ م)

بعد أن انقرضت دولة آل طولون عادت مصر ولاية عباسية يتوارد  
عليها الولاة من بغداد مدة ٣٠ سنة كانت فيها في غاية من الارتباك  
والاضطراب. وذلك لأن الخلفاء كانوا قد استولى عليهم الضعف وزال  
بعض السلطة من أيديهم، وصارت القوة الحقيقية بيد الجند من الأتراك،  
فأصبحت الكلمة في مصر للجيش التي ترسل من وقت لآخر لتوطيد  
النظام. وازدادت الحالة حرجاً بتوارد غارات الفواطم على البلاد

عودة النفوذ  
للعباسيين

وبينما البلاد تن تحت عبء هذه الفوضى ولى حكمها « محمد بن طنج  
الإخشيد » سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م). وهو من اسرة ملوك « فرغانة \* »  
القدماء الذين كان يُطلق عليهم لقب « إخشيد »، فمنحه الخليفة هذا اللقب  
تشجيعاً له ومكافأة له على جدّه. وكان قد تقلّد من قبل منصباً في مصر،  
فأبدى كفاءة كبيرة حتى أنه نُصّب حاكماً لدمشق سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠ م)  
ولم يكده يدخل مصر سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) حتى أخذ الفتن وسكن  
الخواطر. ثم التفت الى الفاطمية فأخرجهم من الاسكندرية، ولم تأت

الاشيد

\* كانت بلدة عظيمة ببلاد التركستان ولها كورة تسمى باسمها

سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) حتى قبض على كل شيء، وصار أشبه بملك مستقل  
شأن باقي الولاة اذ ذاك في الولايات الأخرى للدولة

وأهم غرض كان يرمى إليه «الإخشيد» حماية الشام من اغارة الولاة  
المجاورين. وأول ما حدث من ذلك ان «ابن رائق» أغار على «رحص»  
و«دمشق»، ثم هزم جيوش الإخشيد سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) وعقد  
معه صلحاً على أن يبقى شمالي الشام في قبضته. ولما مات «ابن رائق»  
بعد ذلك بسنتين استرد «الإخشيد» ما فقد ودخل دمشق دون أن  
يلقى مقاومة. وفي سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) قلده الخليفة أيضاً حكم «مكة»  
و«المدينة». وأراد الإخشيد أن يجعل ملكه وراثياً فأخذ البيعة من قواد  
مصر لابنه «أونوجور» من بعده. وفي سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) أغار «الحمدانيون»  
(امراء الموصل وأعلى الجزيرة) على شمالي الشام، فهزمهم «الإخشيد»  
وعقد معهم صلحاً على أن تبقى حلب وشمالي الشام بأيديهم، وأن يدفع لهم  
اتاوة نظير نزولهم عن «دمشق». ولعل السبب في تساهله هذا ان  
سنه كانت قد بلغت الرابعة والستين، وأصبح لا يقدر على مناوأة المزارحين  
له في شمالي الشام. ولم يلبث بعد ذلك سنة واحدة حتى مات بدمشق  
سنة ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) ودفن ببيت المقدس

ولم يبق للآن شيء من آثاره بمصر يدل على حالة البلاد في عهده،  
ولكننا نعلم انه أوجد في البلاد هدواً وسكينة لم تمهدهما منذ ثلاثين عاماً  
وخلفه ابنه أبو القاسم اونوجور (٣٣٥ - ٣٤٩ هـ : ٩٤٦ - ٩٦١ م).  
وكان صغيراً فأقيم الاستاذ «أبو المسك كافور الإخشيدى» الخصى الأسود  
قيماً عليه. فقام مع رجال الدولة بتدبير الملك حتى مات اونوجور بعد ١٤ سنة:

اونوجور

سنة ٣٤٩ هـ (٩٦١ م). ثم تولى بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد، ولم يقتصر الخليفة «المطيع» على توليته مصر والشام، بل أضاف إليه ولاية الحرمين. ولم يكن لأبي الحسن مع كافور من الأمر شيء، ثم فسد ما بينهما، ففزع «كافور» الناس من الاجتماع به، فبقي كذلك حتى مات سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) ودفن في القدس.

فتولى الاستاذ أبو المسك كافور الإخشيدى بدله، وجاءه التقليد بولاية مصر والشام والحجاز. وأصله عبد حبشى خصى اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً، فما زال يتقدم عنده لعقله وحسن رأيه وشجاعته إلى أن صار من أكبر القواد الذين أسسوا له دولته. ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغه كافور هذا: ملك أنفـس ممالك الإسلام، وخدمه كبار العلماء، ومدحه المتنبى (وكان قد طمع أن يوليه منصباً، فلما لم يحقق أمـله هرب من مصر وهجاه) وولى كافور الملك سنتين. ومات سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م). فولى أهل مصر «أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد» وهو صغير، فأقام شهوراً حتى أتى «جوهر الصقلى» قائد جيوش المعز الفاطمى، فدخل مصر بلا قتال، وانزعها من الدولة الإخشيدية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) بمد أن ملكت ٣٤ سنة

كافور

## الفصل الرابع الدولة الفاطمية<sup>(\*)</sup>

٣٥٨ - ٥٦٧ هـ (٩٦٩ - ١١٧١ م)

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع أبو بكر بالخلافة، وامتنع عليّ ونفر قليل عن بيعته مدة لا اعتقادهم أنه أولى منه بها لقربته وصهره من رسول الله، ثم لم يلبث عليّ أن بايع ودخل فيما دخل فيه المسلمون. ثم لما انتهت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وجاءت نوبة خلافة عليّ تارت عليه عواصف الفتن والدسائس وانقسم المسلمون: طائفة معه (وسميت شيعة عليّ) وطائفة عليه (وسميت شيعة بني أمية). ثم انتهى الأمر بقتله غيلة، ثم بموت ابنه «الحسن» وقتل أشياخ بني أمية ابنه «الحسين» المطالب بالخلافة بعد أخيه، فحُرّم نسله من الخلافة. فكان ذلك سبباً في استفحال العداوة بين شيعة عليّ وشيعة أمية التي انضمت إليها جماعة المسلمين. فاضطرت شيعة عليّ أن تعمل في السر لإعادة الخلافة للعلويين، وغلا أكثرهم حتى ادعى أنها لم تصح ولن تصح لغير أهل البيت من أولاد عليّ، فانكر عليهم بقية المسلمين ذلك، ولا يزال بين الفريقين خلاف كبير في الرأي والمذهب إلى الآن. واختص الفريق الأول باسم الشيعة والثاني بأهل السنة والجماعة. ولما عجز العلويون عن الاستحواذ على السلطة

تمهيد  
في أصل الشيعة

\* وتسمى أيضاً الدولة العبّيدية نسبة إلى رأمها عيد الله المهدي، والدولة

المصرية، ودولة المصريين، ودولة العلويين المصرية

من طريق السياسة والقوة، لقتل من خرج من أئمتهم، التمسوها من طريق الدين، فقالوا ان الله لا يترك خلقه بدون إمام حق، واعتقدوا بأن ذلك الامام هو المهدي المنتظر الذي يُبَدِّد المغتصبين ويحيي مجد بيت رسول الله، وعملوا على نشر هذه العقيدة بين الناس بكل الوسائل\*

في سنة ٥٢٨٠ (٨٩٣ م) ذهب أحد دعاة الشيعة المدعو «أبا عبد الله منشا الفاطميين الشيعي» الى بلاد البربر (شمالى افريقية) داعياً لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق، فنجح في دعوته وطرد الأمير الأغلبي الحاكم لتلك البلاد التابع للدعوة العباسية سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م). ثم أعلن أن الخليفة الحقيقي للمسلمين ورئيس دينهم المنتظر هو إمامه «عبيد الله» المذكور الملقب بالمهدي. ولما كان «عبيد الله» يقول انه من نسل السيدة «فاطمة» بنت رسول الله سُميت سلالة بالفاطميين، وإن كان بين المؤرخين خلاف كبير في صحة نسبه

فخضر «عبيد الله» الى بلاد المغرب وحكمها أربعة وعشرين عاماً (٢٩٧-٣٢٢ هـ : ٩١٠ - ٩٣٤ م) كان الأمر فيها كله بيده. وأخضع قبائل العرب والبربر، ودان له الحاكم المسلم الوالى على جزيرة «صقلية». وكان من أهم شواغله العمل على نشر الدين الصحيح، فلم يذر مجهوداً في سبيل إبادة البدع والإباحت التي ظهرت إذ ذاك في تلك الجهات. ولما قويت شوكته وخشى أن ينازعه «أبو عبد الله» في السلطة فتك به، مع أنه هو الذى أتى به الى تلك البلاد. وكان من أكبر أمانيه فتح مصر،

\* وكان من بين هؤلاء الشيعة طائفة تعرف بالقرامطة سنأتى على بعض

اخبارها فيما بعد

فأرسل لغزوها ثلاثة جيوش على مرات ؛ اثنان منها بقيادة ابنه «أبي القاسم»  
فحال دون نجاحه عدة أمور ، منها مجاعة في المغرب سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م)  
ووباء فشا في أحد هذه الجيوش وانتقل منه بالعدوى بعد عودته إلى أهل  
المغرب . وشغل « عبيد الله » بالأمور الداخلية باقى حياته

وفي سنة ٣٢٢ هـ ( ٩٣٤ م ) خلفه ابنه الأكبر « القاسم بأمر الله  
أبو القاسم محمد » فبذل غاية همته فى توسيع نطاق ملكه ، فأرسل أسطولا  
أغار على شواطئ إيطاليا وفرنسا والأندلس ، وأرسل جيشا إلى مصر هزمه  
الإخشيدي . ثم صرف باقى أيامه فى التغلب على «أبي يزيد» الخارجي الذى  
ثار عليه وأراد أن يتزعج الملك منه

القاسم

وخلفه « المنصور اسماعيل » سنة ٣٣٤ هـ ( ٩٤٦ م ) ، فظهر ذلك  
الخارجي سنة ٣٣٦ هـ ( ٩٤٧ م ) ، غير أنه لم يحاول الاستيلاء على مصر  
ثم تولى الخليفة الرابع ابنه « المعز لدين الله » أبو تميم معده سنة  
٣٤١ هـ ( ٩٥٣ م ) ، فكانت أيامه مبدأ عصر جديد فى تاريخ الفاطميين .  
وهو يمتاز عن سالفه بتربيته العالية وبلاغته النادرة ، وكانت له دراية  
عظيمة بكثير من اللغات : يتكلم اللغات البربرية والسودانية والإغريقية ،  
وقيل إنه تعلم اللغة الصقلية أيضا . وكان يقول الشعر العربى . وكان  
سياسيا كبيرا الدهاء كريما حريصا على العدل شديد التمسك بالدين

المعز

اتبع « المعز » فى سياسته خطة أسلافه ، فبدأ بتوطيد الأمور فى  
بلادها حتى دانت له جميع رؤساء القبائل المغربية ، وخضعت له مراکش  
بأكملها حتى شواطئ المحيط الأتلى

ثم صرف همه لفتح مصر ، فحفر الآبار وبني أماكن للاستراحة فى

غزو مصر

الطريق الموصل إليها . وكانت مصر وقتئذٍ في اضطراب لحقها عقب وفاة « كافور » ، ولم يكن في وسع خلافة بغداد مساعدتها لاشتغالها بصد غارات « القرامطة » . فسير « المعز » لغزوها أكبر قواده « جوهر الصقلى » ( وهو روى الأصل ) في مائة ألف مقاتل ، وأعدّهم بأنخر العدد ، ووضع تحت تصرف « جوهر » ٢٤٦٠٠٠٠٠٠٠٠ دينار . فدخلوا مصر بلا ضرب ولا طعن ، وسلمت لهم « الاسكندرية » و « الفسطاط » سنة ٣٥٨ هـ ( ٩٦٩ م ) . ومن ذلك العهد ابتدأت دولة الفاطميين في مصر . وشرع « جوهر » في الحال في توطيد الأمور في مصر . وكانت قد فشت بها مجاعة ، فأرسل « المعز » إليها سفناً محملة بالقمح ليخفف وطأتها على الناس ، وأمر بأن لا يبيع تجار القمح شيئاً إلا بإشراف الحكومة

ونخط « جوهر » في ليلة نزوله شمالى الفسطاط مدينة جديدة على انشاء القاهرة نحو ميل من النيل بين « الفسطاط » و « عين شمين » وسماها « القاهرة » . وموقعها الآن وسط مدينة القاهرة الحالية . ثم وضع على كل مصلحة من مصالح الحكومة موظفين أحدهما مصرى والآخر مغربى ، ليكفل بذلك المساواة بين الناس ، وبنى بالقاهرة « الجامع الأزهر » العظيم سنة ٣٥٩ - ٣٦١ هـ ( ٩٧٠ - ٩٧٢ م ) و « القصرين » استعداداً لقدوم الخليفة « المعز » ، فزادت بذلك القاهرة جمالاً وبهاءً ، وفتحت البارة مورد رزق للعمال العاطلين

ثم خضعت بلاد النوبة للخليفة الفاطمى ، فدفعت الجزية ، ودانت له مكة والمدينة ، واعترف له الأمير الحمدانى الوالى على شمالى الشام بالسيادة على « حلب » . وأرسل « جوهر » أحد قواده للاستيلاء عنوة على « دمشق » ،



وكان أهلها شديدي الكراهة للشيعة منذ خلافة معاوية ، فاستولى عليها  
ونشر عقيدة الشيعة فيها كرها

وبينما الفاطميون تزداد شوكتهم داخل مصر وخارجها اذ ألم بهم  
خطر كاد يقضى عليهم سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) . وذلك ان زعيم «القرامطة»  
كان يأخذ ضريبة من «دمشق» ، فمُنعت منه باستيلاء الفاطمية على  
المدينة . فغضب لذلك ، ولم يمنعه اتفاقه مع الفاطمية في العقيدة من الإغارة  
على المدينة وإخراجها من يد الفاطميين . ثم سار بجيشه الى مصر فهزم  
أمام القاهرة وفر هارباً

عند ذلك رأى «المعز» انه قد حان وقت قدومه الى مصر ، فسار  
اليها في موكب حافل ومعه بنوه واخوته وعشيرته وجثث أسلافه ، ووصل  
إلى القاهرة سالماً سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، فأقنع النسابة من سلالة علي  
بصححة نسبه

وفي سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) زحف «القرامطة» على مصر ثانية ،  
وطاردوا جيوش «المعز» الى داخل القاهرة ، فاستمال «المعز» أحد  
رؤساء خلفائهم من البدو بالمال (وكان اكثره زائفاً) فانتصر بذلك على  
القرامطة وردم على أعقابهم . وفي سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) مات «المعز»  
تخلفه ابنه «العزير»

زهاء عصر المعز وكان عهد «المعز» على قصره من أزهى عصور مصر ، وأزهرها  
وزادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة . وكانت القاهرة اذ ذاك تسمى  
«المدينة» ، وكانت في الحقيقة عبارة عن قصرين عظيمين ولواحقهما :  
بهما من السكان ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، وكان بين القصرين ميدان عظيم يكفي

لاستعراض ١٠٠٠٠ جندي، وكانت ثروة الأسرة المالكة زمن المعز وبعده فوق ما يتصور، فإن إحدى بناته ماتت وتركت وراءها ما يعادل ٢٦٠٠٠٠٠٠٠ دينار، وأخرى تركت خمسة أكياس من الزمرد ومقادير وافرة من الأحجار الكريمة الأخرى علاوة على ٣٠٠٠ إناء فضي مطعم وقد بذل « المعز » غاية وسعه في استجلاب محبة الناس واحترامهم له

بعده وحسن إدارته والتفاته إلى جميع دقائق شؤونهم. فكان يرأس بنفسه حفلة قطع الخليج، وزاد من محبتهم له إرساله كسوة فاخرة للكعبة كل عام. ومنع جنده من البقاء في المدينة بعد الغروب اجتناباً لما عساه أن يحدث من الهياج، وألغى نظام جباية الخراج بواسطة الملتزمين، للخسارة التي كانت تلحق البلاد من وراء أربابهم الباهظة، وبذلك زاد الخراج بدون أن يضر بمصلحة المزارعين. وكان « المعز » شديد التسامح مع الأقباط، وقد كثيراً من رجالهم مناصب راقية في الحكومة

بهذه الطريقة ثبتت قدم الفاطميين في مصر، وإن كانت تقاليد الشيعة لم ترق يوماً ما في أعين السواد الأعظم من المصريين

ولي « العزيز بالله أبو منصور نزار » (٣٦٥ - ٥٣٨٦ : ٩٧٥ - ٩٩٦ م) العزيز  
بعد وفاة أبيه، فأظهر من الرفق ولين العريكة ما أرضى العباد. وكان العزيز شهماً عظيم الجسم مولعاً بالصيد ماهرًا فيه، وكان قائداً شجاعاً وحاكماً مدبراً، وكان مثل أبيه شديد التسامح مع المسيحيين، وكثيراً ما كان يجلس للمناقشة معهم في الأمور الدينية. وجدد لهم كنيسة « أبي سيفين » خارج القسطنطينية بعد أن كانت مستترة في شكل مخزن للبضائع. ومن تسامحه في الدين أن كان أكبر وزرائه « يعقوب بن كلّيس »

و «عيسى بن نسطورس» ، وأولها اسرائيلي أسلم والآخر مسيحي . وكان كل شيء في قصره نخباً من حاشية وموائد ودواب ، وقد قيل : «إن خيوله كانت تُكسى الزرد المطعم بالذهب ، وتغطي بأقمشة مرصعة بالجواهر ومغطاة بالعنبر» ، الى غير ذلك من أنواع الفخامة والترف ، وبذل «العزيز» الكثير من المال على إقامة المباني وحفر الترع وانشاء الجسور (الكباري) ومرافق السفن . وبدأ بناء الجامع الذي يعرف بجامع «الحاكم» (لأن الحاكم هو الذي أتمه) بجوار باب الفتوح . وهو أول من سار في موكب الى الجامع في كل يوم جمعة من رمضان للصلاة بالناس ، وأول من استخدم من الخلفاء الفاطمية جند الترك . وسادت في عهده السكينة في البلاد ، فبرهن بذلك على مقدرته في الادارة . أما مملكته فيكنى في وصفها أنها كانت تمتد من المحيط الاطلنطي الى شرق الحجاز ، ومن اليمن الى أعالي الفرات وخلفه ابنه «الحاكم بأمر الله أبو علي منصور» (٣٨٦ - ٤١١ هـ : ٩٩٦ - ١٠٢١ م) وعمره ١١ سنة ، فنشأ مطلق الأمر في آرائه وتصوراته . وتعلم علوم الشيعة فغلا فيها ، كما تعلم علوم الفلسفة والنجوم فكان له بها وابع شديد . وكان على طرفي الغلو في كل أعماله : فاذا عاقب أفرط وسفك الدماء وقتل الأعوان والأقارب والعلماء ، واذا أناب أو أحب بذل ما لم يبذله ملك . وكانت أعماله متناقضة ، يفعل اليوم ما ينقضه غداً ، اشتدَّت به غيرته على النساء فمنعهن من الخروج الى السوق والحمام والتطلع من نوافذ البيوت ، وقتل منهن في ذلك كثيراً ، وعاقب على شرب الخمر أشد العقاب ، ثم غلا وقلع جميع الكروم في أرض مصر ، واضطهد النصارى واليهود فهدم كنائسهم ، ثم أعادها . وانتهى به الأمر ان صار يخبر بالمغيبات من

الحاكم

جواسيس كانت تطلعه على الأخبار، فاغتر به قوم واعتقدوا أن روح الله حلت فيه، وألف رجل منهم كتاباً في ذلك، فثار به الناس فخرج الى الشام ولا يزال اتباعه بها الى الآن. وكان مع سفاهته ونزقه شديد العناية يجمع الكتب ومعاضدة العلم، وأتم الجامع الحاكي (بين باب الفتوح وباب النصر) ولما استطار شره ركب حماره يوماً وخرج على عادته الى جبل المقطم بناحية حلوان للخلوة بنفسه ولرصد الكواكب فلم يعد، ووجدوا بعد أيام ثيابه مضرجة بالدماء وحماره مجروحاً، فعلموا أنه قد قتل، وقيل ان أخته عملت على قتله وذلك سنة ٤١١ هـ (١٠٢١ م)

فتولى مكانه ابنه «الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي» (٤١١ - ٤٢٧ هـ : ١٠٢١ - ١٠٣٦ م)، وكان صبيحاً لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره، فلم يكن بالرجل الذي يقدر على انتشار البلاد مما أصابها من جزاء أعمال والده. وكان في أول أمره في قبضة عمته، فدام ذلك أربع سنوات، ثم غلبه على أمره بعد ذلك ثلاثة شيوخ حكموا البلاد باسمه زمناً. وفي سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٥ م) حصلت مجاعة كبيرة في البلاد، وكاد المصاب يكون أليماً لولا ارتفاع النيل في سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٧ م)

ومن ذلك العهد أخذت قوة الخلفاء الفاطميين في الاضمحلال، قوة الوزراء وتحولت جميع السلطة الى الوزراء. وكان هؤلاء كلمات خليفة اختاروا مكانه من أسرته من كان أكثرهم لينا وأقرب الى التشكل في أيديهم حسب أهوائهم. وفي عهد «الظاهر» قامت على الحاكم الفاطمي لمدينة «قيسارية» عدة فتن في أنحاء الشام، فتغلب عليها جميعاً وأضاف الى أملاك الفواطم «حلب» ومعظم شمالي الشام

تاريخ (١٧)

ثم خلفه ابنه « المستنصر بالله أبو تميم معد » (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) :  
١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) وعمره سبع سنين فأقام في الخلافة ستين سنة لم يقمها  
ملك غيره في الاسلام . وكان حكمه هذا على طوله عهد تدهور سريع في  
الدولة الفاطمية ، قضى أوله في مشاحنات بين عدة وزراء قبضوا على زمام  
الأمر بالتوالي (٤٢٧ - ٤٤٢ - ١٠٣٦ هـ - ١٠٥٠ م) ، وفي مدتهم خرجت  
ولايات شمالى افريقية من يد الفاطميين ورفضت التشيع وعادت سنية .  
وخرجت عليهم الولايات السورية ، وانقسمت الى ولايات عديدة وقعت  
غنيمة باردة للأتراك السلجوقيين سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) . ومن الغريب  
ان الدعوة الفاطمية في عهده بلغت أقصى العراق ، فخطب له ببغداد نحو  
أربعين خطبة وهرب خليفتها العباسى . ثم آلت في عهده أيضاً الى ما ذكرنا  
وكانت مصر ذاتها بالرغم من ذلك في رخاء وسعة ، وكان القصر الملكى  
بها من أنعم وأعظم ما عرف في الاسلام ، يُعلم ذلك من قول سائح فارسى  
يصف القاهرة في ذلك العهد : « يضم القصر بين جدرانها ٣٠٠٠٠٠ نسمة  
ويحرسه كل ليلة ألف حارس ما بين فارس وراجل . ويبلغ عدد المساكن  
نحو ٢٠٠٠٠٠ بيتاً متقنة البناء يفصل بعضها عن بعض الحدائق والبساتين  
ويبلغ عدد الحوانيت ما يقرب من ذلك ، ويدخل متحصل الجميع للخليفة .  
ويعشى في موكب الخليفة يوم فتح الخليج نحو ١٨٠٠٠٠ من الجنود والأعوان  
من أجناس مختلفة ، وكثيراً ما كان يوجد بين حرس الخليفة الأمراء  
وأولاد الملوك من أقاصى البلاد حتى من الهند »  
ثم هدأت حالة البلاد نحو ثمانية أعوام بعد سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) ،  
وكان القاىض فيها على زمام الأمور وزير عامل يدعى « اليازورى » فقام

باصلاحات عديدة، ولكن الحال رجعت بعده الى ما كانت عليه من اضطراب البلاد  
الفوضى والنزاع بين الوزراء، وزادت الفتن بين الجند السودان والأتراك  
حتى كان لذلك أسوأ أثر في البلاد. وبالغ « ناصر الدولة » القائد العام  
للجيش في الظلم والاستبداد حتى خرج عليه بنو جلده من الأتراك، ففر  
من القاهرة ولكنه عاد اليها ومعه ٤٠,٠٠٠٠ مقاتل من العرب والبربر،  
فأفسدوا الترع والجسور في الوجه البحري ومنعوا الزاد عن القاهرة والفسطاط  
وصادف ذلك قحطاً كان قد بدأ بالبلاد سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) بسبب  
انخفاض النيل. فنع هذا الهياج المزارعين من مزاولة أشغالهم، فاستفحل  
أمر القحط حتى استمر سبع سنوات (٤٥٧ - ٤٦٥ هـ: (١٠٦٥ - ١٠٧٢ م) القحط المائل  
مات الناس فيها جوعاً وأكل بعضهم بعضاً، وحدث من الويلات ما يضيق  
المقام عن ذكره. ولم يقدر الخليفة على دفع الأذى عن نفسه، إذ اضطره  
قواد حرسه من الأتراك الى بيع تلك القناطير المقنطرة من النفائس التي  
ورثها عن آبائه وأجداده مما لا يدخل تحت حصر، فقسموا بعضها على  
أنفسهم وباعوا الآخر بأبخس الأثمان. ولم يُجد ذلك نقماً بل انه بقي  
محاصراً بالقاهرة يتكبد آلام الفاقة حتى فتح « ناصر الدولة » المدينة،  
فوجد رسوله الخليفة في قصره جالساً على حصير بال ولا قوت له سوى  
رغيفين أجزتهما عليه كل يوم احدى المحسنات

دخل « ناصر الدولة » القاهرة سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م)، ولكن لم  
يلبث ان حقد عليه مناظروه وقتلوه، فاستراح منه الخليفة. ثم أرسل الى  
« بدر الجمالي » الأرماني الأصل حاكم « عكاً » يسأله القدوم الى مصر  
لتنظيم أمورها واصلاح ما فسد فيها. فقبل « بدر الجمالي » رجاءه ودخل

بدر الجمالي

مصر في جيش من أهل الشام، ففتك بالقواد الأتراك. ثم انصرف الى اصلاح البلاد وإخضاع الخارجين من أهلها، فساد الأمن وازداد الخراج وعم الخير جميع الناس. وبني حول المدينة سوراً جديداً وشيد فيه ثلاثة



(باب النصر)

أبواب ضخام لا تزال الى الآن موضع إعجاب الناظرين، وهي باب النصر وباب الفتوح (سنة ٥٤٨٠: ١٠٨٧ م) وباب زويلة (المتولى) (سنة ٥٤٨٤: ١٠٩١ م). وأعجب الخليفة بـ«كثيراً» فلقبهُ بأمر الجيوش ومات في سنة واحدة مع الخليفة (سنة ٥٤٨٧ م: ١٠٩٤ م) بعد أن قضى في مصر عشرين عاماً امتلأت فيها البلاد هدواً وسلاماً

وتولى الخلافة من بعد «المتنصر» ستة وهم:

- (١) «المتعلى» (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ : ١٠٩٤ - ١١٠١ م)
- (٢) «الأمير» (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ : ١١٠١ - ١١٣١ م)
- (٣) «الحافظ» (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ : ١١٣١ - ١١٤٩ م)
- (٤) «الظافر» (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ : ١١٤٩ - ١١٥٤ م)
- (٥) «الفاخر» (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ : ١١٥٤ - ١١٦٠ م)
- (٦) «العاقد» (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ : ١١٦٠ - ١١٧١ م)

وكلامهم كانوا في شدة الضعف. وتلوا الخلافة جميعاً وهم أطفال ما عدا صف الحنفا.

« الحافظ » فانه وليها وعمره ٥٧ سنة . وكان الوزراء في عهدهم هم الحكام الحقيقيين للبلاد ، ولذلك كان شأنهم في التاريخ أهم من شأن الخلفاء أنفسهم . ولما كان تاريخ مصر في هذا العهد مندجاً بكل الاندماج في تاريخ النزاع بين المسلمين والإفرنج في الاستيلاء على الشام والأراضى المقدسة ، مما أفضى الى تأسيس دولة اسلامية جديدة هي الدولة الأيوبية ، رأينا أن نورد كل ذلك في فصل واحد فنقول :

## الفصل الخامس

### تأسيس الإمارات الصليبية بالشام

وعلاقتها بمصر

٤٨٩ — ٥٦٧ : ( ١٠٩٦ — ١١٧١ م )

#### ﴿ مبدأ الحروب الصليبية ﴾\*

بينما الدولة الفاطمية آخذة في التدهور في أيام المستنصر كانت السلجوقيون الأخطار قد أهدقت أيضاً بالدولة العباسية . وذلك ان الأتراك السلجوقيين واصلوا زحفهم غرباً حتى استولوا على جميع العراق وأرمينية والشام حتى حدود الدولة الرومانية الشرقية ، ولم يبقوا للخليفة العباسي ببغداد سوى

---

\* يطلق هذا الاسم على عدة حروب شنها مسيحيو أوروبا على المسلمين لأخذ بيت المقدس من أيديهم . واستمرت نحو مائتي سنة من ٤٨٩ الى ٦٧٠ هـ ( ١٠٩٦ — ١٢٧٢ م ) وسميت بالحروب الصليبية لأن المسيحيين الذين قاموا بها اتخذوا الصليب شعاراً لهم ورسموه على ملابسهم وأعلامهم



الزعامة الدينية . وكان هؤلاء الأتراك شديدي التمسك بالإسلام عظيمي  
الغيرة على مذهب أهل السنة ، يعدّون التشيع بدعة يجب القضاء عليها  
ولذلك لم يألوا جهداً في استئصال شأفة الفواطم مما بقي بأيديهم من الشام،  
بل كلدوا يغزون مصر ذاتها . واستولت فرقة من هؤلاء الأتراك في هذه  
النهضة على معظم آسيا الصغرى سنة ٧٤٤ هـ ( ١٠٨١ م ) وكونوا لهم فيها  
دولة عظيمة سميت « مملكة الروم » لأنها كانت من قبل جزءاً من بلاد الروم  
فساء ذلك قيصر الرومان وخاصة لقرب عاصمتهم « نيقية » من  
القسطنطينية حاضرة دولته ، فلجأ إلى البابا رئيس النصرانية يستصرخه  
على صد هؤلاء الأعداء ، فلم يقصر هذا في اجابته ، ورأى في ذلك فرصة  
لبسط نفوذه على ملوك أوروبا وامراتها اذا هم اشتركوا في حركة أساسها  
الدفاع عن النصرانية واخراج بيت المقدس الذي هو مهد المسيحية من  
يد المسلمين . ومن أهم الأسباب التي استفزت أهل أوروبا إلى تحقيق هذه  
الأمنية ما كانوا يسمعون من حجاجهم عند عودتهم من الإهانة التي يلاقونها  
من الأتراك ، والضرائب الباهظة التي يؤدونها لهم ، والهوان الذي فيه  
مسيحيو الشرق ، وغير ذلك من الأقوال المبالغ فيها التي كان ينشرها  
رجال الدين في أوروبا بسرعة لشدة تعصبهم وقضاء مآربهم

قيصر يستصرخ  
البابا

وأول من هاج القلوب واخرج هذه الرغبات من القول إلى العمل  
راهب متعصب فرنسي يدعى « بَطْرُس النَّاسِك » ، فطاف بأوروبا بإشارة  
البابا يستنفر القوم إلى استنقاذ بيت المقدس من الأتراك . وكان بليغاً  
مؤثراً ، فأثارهم وملاهم حماسة وحقداً على المسلمين . وعند ذلك جمع البابا  
أمراء أوروبا وحرصهم على اعلان حرب دينية على المسلمين ، فإي ندائه

بطرس الناسك

الألوف من الناس ، وقد أخذت الحمية منهم كل ما أخذ . وخرجت لذلك الحرب الصليبية  
الاولى من أوروبا سنة ٤٨٩ هـ ( ١٠٩٦ م ) جيوش عظيمة بها كثير من أمراء  
أوروبا وفرسانها وقوادها العظام . وكانت بغية الكثير منهم الغنى والمالك في  
البلاد الذاهبين لفتحها

صادف هذا الوقت فترة ضعف في شوكة الأتراك جاءت بين النهضة  
التي ساقتهم الى تلك البلاد والنهضة الجديدة التي أعقبت غارة الصليبيين  
وذلك لضعف امرائهم في ذلك الحين . فانقضت جيوش الصليبيين على  
« مملكة الروم » فهزموا سلطانها وردوا الى قيصر الرومان ما يقرب من  
نصف آسيا الصغرى\* . وعند ذلك نقل سلطان الروم السلجوقي مقر  
سلطته الى « قونية » . وترك الصليبيون قيصر الرومان يفصل لنفسه  
مع سلطان الروم ، ومضوا الى سورية . فوصلوا اليها بعد أن مات عدد  
عظيم منهم ومن دوابهم جوعاً وظماً

### ﴿ تأسيس الإمارات اللاتينية ﴾

وجد الصليبيون في فتح البلاد ، فاستولوا على كثير من مدن آسيا  
الصغرى والشام وكونوا لهم فيها إمارات سُميت بالإمارات الصليبية أو  
« الإمارات اللاتينية » نسبة الى الأجناس اللاتينية التي كان يتألف منها  
الصليبيون

• وكان اتفاقه معهم على ان ترد اليه جميع البلاد التي كانت في قبضته قبل

استيلاء الترك عليها



وأول ما أسس من هذه الإمارات إمارة «أذاسا» (الرُّها) <sup>(١)</sup> الرها وانطاكية  
بوادى الفرات سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) ثم «انطاكية» سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م)  
وفي هذا الوقت كان المصريون قد انتزعوا «بيت المقدس» من  
يد الأتراك السلجوقيين. وذلك ان الوزير «الأفضل» بن «بدر الجمالي»  
لما شعر بقدوم الصليبيين أمل خيراً وظن أنه إن اتحد معهم فاز على  
أعدائه الأتراك، فسار في جيش الى فلسطين وأخذ بيت المقدس من  
السلجوقيين سنة ٤٩١ هـ (سبتمبر سنة ١٠٩٨ م)، غير ان أعمال الصليبيين  
خيبت عليه ظنه، فانهم ما كادوا يعلمون بخروج بيت المقدس من يد  
حُماته البواسل (السلجوقيين) حتى انقضوا عليه وافتتحوه وغنموا منه غنائم  
لا تحصى، وقتلوا من أهله نحو ٧٠٠٠٠ مسلم وأتوا معهم من المنكرات  
والفظائع الوحشية ما لا ينسأه التاريخ. ثم كوّنوا به إمارة لاتينية أخرى  
تُعرف بمملكة بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م)

ومن ذلك العهد بقي «الأفضل» في حروب مستمرة مع الصليبيين،  
ووقعت بينهم عدة وقائع صغيرة انتهت بتراجع المصريين من الشام  
تدرجاً، حتى لم يبق لهم فيها سوى «عسقلان». وفي سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م)  
أغار «بلدوين» (بَقْدُون) <sup>(٢)</sup> ملك بيت المقدس على مصر ذاتها فأحرق  
«الفرما» ووصل الى «تَيْس»، ثم لحقه مرض فرجع ومات. ومن ذلك  
الوقت اكتفى الفاطميون باتباع خطة الدفاع عن مصر  
وفي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أمر الخليفة الفاطمي بقتل «الأفضل»

(١) موضعها الآن «أَرْزَقَة» (٢) ويكتب في التواريخ العربية أيضاً «بَقْدُون»

حسدًا له وحبًا في القبض على السلطة ، ولكنه لم يستطع ادارة شؤون الدولة وحده ، فكرهه الناس وقتلوه سنة ٥٢٤ هـ ( ١١٣٠ م )

### ﴿ حالة الإمارات اللاتينية ﴾

لما حل الصليبيون بالشام لم يكونوا لهم مملكة واحدة تجمع كلتهم ، بل أسس كل قائد منهم إمارة له انفصلت بمضى الزمان تمام الانفصال عن نظائرها . ومن أهم هذه الإمارات « الرها » و « انطاكية » و « بيت المقدس » و « طرابلس » وكانت كل إمارة تسمى وراء مصلحتها الخاصة بدون مراعاة لمصلحة الجميع ، فجر ذلك عليهم الضعف بالتدريج

وبقى الصليبيون ( على اختلافهم وبعدهم عن المدد من أوروبا ) ثابتي الأقدام ، اذ كان الترك أنفسهم لا يزالون متفرقين . ولكن في سنة ٥٢١ هـ ( ١١٢٧ م ) ولى « عماد الدين زنكي » من قبل الدولة السلجوقية حاكمًا لأعلى الفرات والموصل . وكان رجلاً قوياً ، فعمل على توحيد جميع ولايات سورية الإسلامية تحت كلمته ، ولم يلبث ان بسط سلطانه على « حلب » ، وكان أهلها قد استغاثوا به من الفرنج . وفي سنة ٥٢٤ هـ ( ١١٣٠ م ) فتح حصن « الأثارب » ( بالقرب من حلب ) بالرغم من مقاومة الصليبيين . وفي سنة ٥٣٠ هـ ( ١١٣٥ م ) حاول الاستيلاء على دمشق فلم يتيسر له لاستنجاد حاكمها بالصليبيين . غير انه استولى في هذه الجهة على « بعلبك » سنة ٥٣٤ هـ ( ١١٣٩ م ) وعين « أيوب بن شاذي » أحد قواده العظام حاكمًا عليها . وفي سنة ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) استولى على « أذاسا » ( الرها ) عنوة بعد قتال شديد ، فكان لذلك أسوأ وقع على الصليبيين . ولم يمض

زنكي

« زَنْكِي » طويلاً لاستتمام فتوحه ، فقتل غيلة بعد ذلك بعامين ، وتقسّمت دولته بعد مماته

اقتسم دولة « زَنْكِي » بعد مماته ولدان له : أخذ أكبرهما « الموصل » نور الدين وأخذ الأصغر ( وهو نور الدين ) ولاية « حلب » . فانهز مجير الدين أبق ابن محمد « حاكم دمشق فرصة انقسام الدولة واستردّ « بعلبك » ، والتحق « أيوب بن شاذي » واليهما بخدمته ورُقي بعد قليل الى مرتبة قائد جيوشه . ووجه « نور الدين » همته للدفاع عن « أذاسا » ، وكان الفرنج قد حاولوا استرجاعها ، وخرجت لحمايتها من أوروبا قوة حربية جديدة تحت قيادة « كُنْزَاد » امبراطور المانيا و « لويس السابع » ملك فرنسا . فرأوا أن يبدءوا بالإغارة على « دمشق » ( سنة ٥٤٣ هـ : ١١٤٨ م ) ولكنهم اختلفوا وعادوا الى بلادهم بالفشل ( ١١٤٩ م ) . وتُعرف هذه الحملة « بالحرب الصليبية الثانية » ، ولم يكن من ورائها سوى إضعاف آمال الصليبيين في سورية . ولما أنس « نور الدين » من نفسه القوة ورأى ان « أيوب بن شاذي » ( صديق والده القديم ) نافذ الكلمة في دمشق ، وانه أخو « شيركوه » أحد قواده الكبار ، عمل على فتحها . ولم يظهر جيشه أمام المدينة حتى سلّمت له ( سنة ٥٤٩ هـ : ١١٥٤ م ) فدانت له بذلك سورية الاسلامية . ثم عين « نور الدين » « أيوب بن شاذي » حاكماً على مدينة « دمشق » وعين أخاه « شيركوه » حاكماً على ولايتها ( دون المدينة )

الحرب الصليبية  
الثانية

﴿ مصر والصلبيديون ﴾

بينما كان « عماد الدين زنكي » وابنه « نور الدين » من بعده يجذبان في الاستيلاء على الشام كان الفاطمية في مصر يعولون على الاكتفاء باتباع خطة الدفاع . وكان وزراءهم قد جمعوا كل السلطة في أيديهم حتى أن كثرة الفتن بهر « رضوان » وزير « الحافظ » تلقب « بالملك » سنة ٥٢٢ هـ ( ١١٣٧ م ) وتبعه في ذلك جميع وزراء الفواطم من بعده . فأصبح بذلك منصب الوزارة موضع تنافس كبار الرجال في مصر . وكانت « القاهرة » دائماً مشهد مذابح ومعارك بتفانم العداوة والبغضاء بينهم وحلول بعضهم محل بعض . وكثرت هذه الويلات في عهد الظاهر ، فاجتراً أحد الوزراء على الخليفة وقتله ، وأجلس مكانه ابنه الفائز وهو طفل لا يتجاوز الخامسة من عمره ( ٥٤٩ هـ : ١١٥٤ م )

وفى هذه السنة قبض على أزمّة الوزارة رجل قوى يدعى « الملك الصالح » طلائع بن رزيك طلائع بن رزيك . وكانت مصر اذ ذاك في حاجة الى حازم مثله ، خصوصاً ان « عسقلان » آخر أملاكها في سورية كانت قد سقطت في يد افرنج بيت المقدس سنة ٥٤٨ هـ ( ١١٥٣ م ) . وبات كل من « نور الدين » و « صاحب بيت المقدس » يتطلع للاستيلاء على مصر ذاتها ، ولم يمنع أحدهما من الاغارة عليها الآخوفه من الآخر . عند ذلك أرسل « الملك الصالح » وفداً الى « نور الدين » يطلب اليه محالفته على الصليبيين ، فلم يجبه « نور الدين » الى طلبه إماماً خوفاً منه واما كراهة للشيعة . فاكتفى « الملك الصالح » بالدفاع عن مصر وصيانة حدودها الشمالية الشرقية من

تعدى الأعداء . وكان عهده عهد هدو وسكينة في البلاد

ولما قتل سنة ٥٥٨ هـ ( ١١٦٣ م ) تولى الوزارة ابنه العادل رُزَيْك شاوور وضرغام بوصية من أبيه ، ولكن ذلك لم يسكن عواصف الفتن ، فقام نزاع كبير بشأن تقلد الوزارة أدّى أخيراً الى انقراض الدولة الفاطمية . وذلك ان « شاوور » بن مجير السعدى الذى كان والياً على قوص ثار على العادل رُزَيْك بن طلائع وقبض عليه وقتله وأجلس نفسه وزيراً مكانه ، وبقي في الوزارة حتى ثار عليه « ضِرغام » أحد القواد المحبوسين ، فقرّ « شاوور » الى دمشق ، وطلب من « نور الدين » مساعدته على الرجوع الى منصبه ، ووعده بدفع جزية سنوية اليه إن تمّ له ذلك ، فتردّد « نور الدين » . وبينما هما فى أخذ وردّ قام خصام بين « ضِرغام » و « أمّ لريك » ( مرّى ) ملك بيت المقدس بشأن جزية سنوية كان قد اتفق من قبله من الوزراء على دفعها لأملريك . فأغار « أمّ لريك » على مصر فى الحال وهزم « ضِرغاماً » فى « بلبيس » . ثم رجع بعد أن أرضاه « ضِرغام » وحالفه خوفاً من شره واستعانة به على « شاوور » و « نور الدين » لو اتفقا . فعلم بذلك « نور الدين » وبادر بإرسال جيش من الأتراك بقيادة « أسد الدين شيركوه » ومعه صلاح الدين ابن أخيه ، وصحبهم شاوور فدخلوا القاهرة بعد ان هزموا الجيوش المصرية ببلبيس . وانفضّ الناس من حول « ضِرغام » ، ثم قتلوه ولم يتمّ الأمر لشاوور حتى شرع فى التخلّى عن حلفائه وناصرية وتقض شيركوه بمصر جميع عهوده معهم . فاقبلوا عليه ، وأرسل « شيركوه » ابن أخيه « صلاح الدين » للاستيلاء على بلبيس . فاستغاث « شاوور » بأملريك . ولما قدمت



الجيوش الصليبية صدها « صلاح الدين » بيليس نحو ثلاثة أشهر . ثم خاف « أمريك » على مملكته بالشام من غارات « نور الدين » ، فأراد العودة إليها . وكان « شيركوه » نفسه قد سئم البقاء بمصر ، فعقد هدنة وخرج بجيشه تاركاً مصر للجيوش المصرية وحلفائهم من الفرنج ولم تأت غارة « شيركوه » هذه بالفائدة المقصودة ، ولكنها مكنته من الوقوف على حالة البلاد ، فوصفها لنور الدين عند عودته ، وهون عليه أمرها . وطلب إليه أن يرسله في جيش آخر لفتحها ، فرضى بذلك نور الدين مع ما طبع عليه من الحرص والحيطنة

خرج « شيركوه » الى مصر لثاني مرة سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) فأسرع « أمريك » بالقيام وراءه لينجد حلفاءه المصريين . فوصل « شيركوه » الى النيل قبل خصمه ، فعبر النيل جنوبي القاهرة بنحو ٤٠ ميلاً . فلم يكذب يعبره حتى وصل « مري » الى الشاطئ الشرقي . وسار الجيشان شمالاً أحدهما أمام الآخر حتى عسكر « مري » بالقرب من الفسطاط ، وعسكر « شيركوه » أمامه بالجيزة ، وبقي الجيشان يرقب بعضهما بعضاً . وعند ذلك رأى « مري » قبل أن يبدأ في الدفاع عن مصر أن يعقد تحالفاً رسمياً مع الخليفة نفسه مخافة أن يززع « شاوَر » ويصبح تحالفه معه بلا جدوى . فسمع الخليفة بذلك وقابله بعينه مندوبان من قبل « مري » ، وتمّ التحالف على أن يدفع له الخليفة ٤٠٠٠٠٠٠ دينار نظير دفاعه عن مصر وصد الأعداء عنها . وعند ذلك عبر « مري » النيل بجيشه شمالاً القاهرة فترجع « شيركوه » الى الصعيد ، فاحقه الصليبيون بجهة يقال لها « البابان » بالقرب من المنية فانتصر عليه السوريون أصحاب شيركوه (وهم ألفا فارس)

شيركوه  
وامريك مصر

انتصاراً باهراً سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) . وفي هذه الموقعة أبدى صلاح الدين « صلاح الدين » كفاءة عظيمة . ثم سار « شيركوه » الى الاسكندرية فدخلها من غير مقاومة ، وترك فيها « صلاح الدين » في نصف الجيش ، ورجع هو بالنصف الآخر لإتمام فتح الصعيد والاستيلاء على القاهرة والفسطاط . فسار الفرنج وحاصروا الاسكندرية براً وبحراً فدافع عنها « صلاح الدين » أحسن دفاع ( وكان هذا أول عهده بالرياسة ) ، وانتهى الأمر باتفاق « شيركوه » و « مري » على أن يخلى كل منهما البلاد وان يتركوا مصر للمصريين

ولكن الصليبيين طمعوا في مصر ، فابقوا لهم فيها شحنة احتلت أسوار القاهرة . ولم يلبث « مري » ان رجع بجيش آخر ( يريد غزو البلاد هذه المرة لا الدفاع عنها ) . ففتح بلبس سنة ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ م ) وذبح من أهلها ما لا يحصى ، فأثار بذلك حقد المصريين . وخاف « شاور » ان يأخذ « الفسطاط » فأمر أهلها بالجلد عنها الى القاهرة وأحرقها سنة ٥٦٤ هـ احراق الفسطاط ( ١١٦٨ م ) كي لا يأوى اليها الصليبيون . وكانت إذ ذاك مدينة عظيمة فبقيت النار مشتعلة فيها أربعة وخمسين يوماً . وما زالت آثار الحريق تشهد الآن في اطلال « الفسطاط » بالقرب من مصر القديمة الحالية . وجاء الفرنج فحاصروا القاهرة ، فأخذ « شاور » يعدم بالمال ويماطلهم . واستغاث « العاضد » أثناء ذلك « بنور الدين » فلم يتردد وأرسل لثالث مرة جيشاً كبيراً بقيادة « أسد الدين شيركوه » مقصده الحقيقي غزو مصر لا مساعدة المصريين ، وخرج معه « صلاح الدين » وهو كاره . فأرسل « مري » جيشاً لمنع انضمام « شيركوه » الى الجيوش المصرية ، ولكن

شيركوه بمصر  
لثالث مرة

« شيركوه » فاقه في حركاته وانضم الى جيش « شاور » سنة ٥٦٤ هـ (يناير سنة ١١٦٩ م) . فلم يقدم « مري » على القتال ورجع الى الشام  
بجنى حنين

### ﴿ دخول « شيركوه » مصر وانقراض الدولة الفاطمية ﴾

فدخل « شيركوه » القاهرة ظافراً ورحب به الناس ، وخلع عليه الخليفة حلة ، اكراماً له واعترافاً بجميله . وشك « شيركوه » والخليفة معاً في اخلاص « شاور » فقتلاه . وعين « شيركوه » وزيراً فلم يتول المنصب اكثر من شهرين ثم توفى . خلفه في الوزارة ابن أخيه « صلاح الدين » وأُتق بالملك « الناصر » ، فكف يد « العاضد » عن كل شيء بالتدرج . ثم قطع الخطبة للعاضد وهو مريض ، ودعا للمستضيء العباسي . ثم مات العاضد سنة ٥٦٧ هـ ( ١١٧١ م ) ، وبموته انقضت الدولة الفاطمية . واستولى « صلاح الدين » على مصر مع تابعيته للخليفة العباسي أولاً ولنور الدين ثانياً تابعة اسمية

صلاح الدين في  
منصب الوزارة

### ﴿ مزايا الفاطميين وأسباب سقوط دولتهم ﴾

كانت دولة الفاطميين على شذوذها وابتداعها من أعظم دول الإسلام ملكاً ، وأشدّها للعلم أزراً ، وأطولها على الناس عائدةً وفضلاً ، وأرقاها حضارةً وأدباً ، وأنبها ترفاً وتمتعاً

وهم الذين أحدثوا في مصر كثيراً من المواسم والأعياد والحفلات الوطنية كما ابتدعوا عادة الاحتفال بموالد أهل البيت وبأحياء بعض الليالي المباركة ، وبقي أغلب هذه الاحتفالات الى وقتنا . وكانوا في تلك المواسم

الاعباد  
والحفلات عند  
الفاطميين

والموالد يادبون المآدب الجامعة لجميع الطبقات كل على حسب مرتبته ،  
فتقدم الموائد الكثيرة المزخرفة بالذهب والفضة والعاج واللوان الأصباغ ،  
عليها من الأطعمة الفاخرة وأنواع الحلوى اللذيذة ما لا يكاد يصدقه العقل  
كثرةً وتنوعاً ، وكثيراً ما تُقدم معها أصناف الكسوة الثمينة والهدايا  
والدنانير والدرهم لأرباب الدولة والخواص ثم للخدم والجند . فمن المواسم  
موسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين رضي الله  
عنهما ، ومولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ومولد الخليفة الحاضر ، وليلة  
أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه ، وغرة رمضان  
وإحياء ليالي رمضان بالقراءة ، ومدّ أسمطة السحور ، وليلة ختم رمضان  
( ليلة ٢٩ منه ) ، وعيد الفطر ، وعيد النحر ، وقافلة الحج ، وفتح الخليج ،  
وعيد النيروز القبطي ، وعيد الميلاد المسيحي ، وليلة الغطاس ، وخميس  
العهد ، ( وهذه المواسم القبطية معروفة قبل الفاطمية إلا أن عنايتهم بها  
كانت شديدة )

وكان تأتّمهم يجمع التحف والذخائر النفيسة من آنية الذهب والفضة  
والأحجار الكريمة والتماثيل الحيوانية والنباتية المرصعة بنصوص الجواهر  
المُجراة بالذهب والفضة ما لم يُسمع بمثله في الملة الإسلامية . واثن كانت  
مخالفتهم لأهل السنة في المذهب أبعدتهم عن علومهم وآدابهم لقد فاقوهم  
في العلوم الآليّة والفنون الجميلة . ولذلك تقدمت في زمانهم الصناعة العربية  
من الصياغة والحياكة والتطريز والعمارة والزخرفة تقدماً بقي أثره الى الآن ،  
وما زالت دور الآثار بأنحاء العالم مملوءة بأحسن النماذج الدالة على فوقاتهم

تاريخ (١٨)

الصناعة

في ذلك . وكانت للقاهرة والاسكندرية في ذلك العهد شهرة فائقة في صناعة الحرائر الدقيقة ، واشتهرت اسيوط والبهنسا بالأصواف ، ودمياط بنسيج يعرف بالدمياطى و«تنيس» بنسيج آخر دقيق يسمى «أبا قلمون» يصنع لاستعمال الأسرة الملكية خاصة

دور الكتب

وكانت لهم دور كتب عديدة جمعت أكثر من ستمائة ألف مجلد مفتحة أبوابها للخاصة والعامة ، وبها القوام والمغترون والنساخ ، ومن أشهرها دار الحكمة التي كانت بين القصر الغربى والأزهر ( ما بين السكة الجديدة والصناديقية الآن ) . وكان تعظيمهم للعلماء والأدباء والأطباء يحل عن الوصف . وكان لهم المراصد المعروفة على جبل المقطم وجبل الكباش وظاهر القاهرة

وأنشئوا القصور والبساتين والمناظر على ضفاف النيل وحوالى القاهرة . وكانت سفن اسطولهم فى أول دولتهم تعد بالألوف وتقلع الى السفر من منظر المقس ( قرب جامع أولاد عنان الآن )

وجملة القول ان الدولة الفاطمية كانت ذات عظمة وتأثير صبغ مصر بصبغة لا تزال بقيتها الى اليوم ، ولا عجب ان كانت تسمى «دولة المصريين» . ومن آثارها الباقية مدينة القاهرة المعزية ، وباب زويلة وباب النصر والفتوح والجامع الأزهر ، وجامع الحاكم ، والجامع الأحمر ( بالنحاسين ) وأسباب زوال هذه الدولة ترجع الى عدة أمور منها :

(١) استهانة خلفائها بجماها الأولين وأهل الدعوة والعصبية لها من العرب والبربر ، واستعاضتهم عنهم بماليك الترك والديلم والسودان والأرمن والصقالبة ، مما أوقع المنافسة بين جميع هذه الطوائف وأثار بينها الحروب

اسباب سقوط  
الفاطمين

الداخلية التي خربت البلاد، وأهلكت العباد، وعطّلت المرافق، وأذّلت الخلفاء في قصورهم. وهي الغلظة التي غلظها العباسيون من قبلهم



( منارة جامع الحاكم وُرجا باب الفتوح )

رسم على أفندي يوسف

(٢) تهاون أهل الحل والعقد في اختيار الخلفاء الأكفاء واغضائهم على البيعة للأطفال بالخلافة، مما سهّل على الوزراء والحجّاب وأمرأه الجيوش الاستبداد بالملك، ونشأ من ذلك تحاسد أرباب الدولة وتزاحمهم على المناصب وحدوث المعارك بين أشياعهم

(٣) تغالى الفاطميين في التشيع وإحداث البدع فيه، حتى اعتلت عقائدهم، وخالفوا في بعضها جمهور المسلمين، فنفرت عنهم قلوب أهل السنة بل كثير من معتدلة الشيعة، وناذتهم الممالك المجاورة لهم وعملت على محو دولتهم، واستقلت عنهم بعض أطراف بلادهم

(٤) مصادفة خروج الصليبيين لأيام ضعفهم ، واشتداد المجاعات والطواعين في أيامهم

(٥) غفلة وزرأهم ، باستعانة بعضهم بالصليبيين على بعض ، وتكالب الصليبيين عليهم ، مما أوجب تدخل نور الدين في أمر مصر وإرساله الجيوش مع أسد الدين شيركوه وابن أخيه يوسف صلاح الدين إليها ، فقضوا على البقية الباقية من استقلالهم

## الفصل السادس

### كلمة

في الحضارة العربية\* بالشرق

قد أشرنا فيما سبق أن جاهلية العرب كان لها بعض حضارة وعلوم مناسبة لحالة بلادها ، ولا سيما ما كان منها في اليمن وعمان والبحرين وسقي الفرات والشام . ونشرح هنا حال حضارة العرب بعد اسلامها وبسط سلطانها على أنفس ممالك العالم القديم فنقول :

### ﴿ الآداب ﴾

حفظت العرب بعد اسلامها لغتها وشعرها ، حرصاً على بقاء قرآنها مفهوماً ، وشرعها معلوماً ، فوضعوا النحو والصرف ومثنى اللغة والبلاغة

\* تقصد بالعرب هنا كل من كان للغة العرب ودينها وآدابها تأثير في طبيعته الوجودية ولو لم يكن عربى الأصل . فثلاً حضارة الأمة المصرية في عهد المماليك عربية الصبغة

والمروض والقوافي ، وجمعوا دواوين الشعر والخطابة وأخبار جاهليتهم ،  
وألّفوا فيها ألوف الألوف من الكتب والرسائل ، نخدموا بذلك لغتهم  
وأدبها خدمة قلما تُهدى في غيرها . وقد مضى على انقراض قدمائهم  
وفصحائهم اكثر من اثني عشر قرناً وما زالت لغتهم تُقرأ وتُكتب بين  
اكثر من مائتي ألف ألف نفس

### ﴿ علوم الشرائع والقوانين ﴾

ولا تقل براعتهم في حفظ شريعتهم وعلوم قرآتهم عن حفظ لغتهم  
وأدبهم ، بل ان عنايتهم بعلوم اللغة والأدب لم تكن إلا وسيلة الى حفظ  
الشريعة المستنبطة من القرآن الكريم والحديث الشريف . فوضعوا  
الأصول والأقيسة لأن يستنبطوا منها ألوف الألوف من الأحكام العامة  
والشخصية ، مما ملأ دور الكتب في أنحاء العالم . على أن الباقي منها ليس  
إلا نقطة من بحر مما أحرقة الصليبيون والتتار والأسبان . ويعرف المطلع  
على الشريعة أن المسلمين لم يقفوا في فهم شريعتهم عند حد ما أُجمل في  
قرآتهم وسنة رسولهم ، بل استعملوا ذكاءهم العظيم واجتهادهم المطلق في  
استخراج ما يناسب الشعوب وأحوال الزمان والمكان ، غير مُفتاتين على  
الدين ، ولا خارجين عن أصوله

### ﴿ العلوم الإلهية والحِكْمِيَّة ﴾

استخرج العرب أصول دينهم واعتقادهم من الكتاب والسنة ، ثم  
لما دخل في الإسلام كثير من أهل الملل والنحل المختلفة ، اعتقاداً أو  
خدعة ، شاع في الإسلام بعض الشبه ، خصوصاً بعد ما أطلق العباسيون



الحرية للشعوب الأعجمية ، فخرأهم ذلك على مناوأة الإسلام ومجادلة أهله بالأقيسة والبراهين العقلية . فأمر الخليفة المهدي العباسي بوضع الكتب في علم الكلام واجدل بطريقة الاستدلال بالأدلة العقلية ، فخر ذلك علماء المسلمين الى مناظرتهم من جنس كلامهم ، فترجموا كتب اليونان والفرس والهنود زمن الرشيد والمأمون والواثق ، ونقلوا المنطق والفلسفة ، ومزجوا مباحثهما بمباحث علم الكلام والدين ، فنبغ منهم أئمة أعلام أربوا على سقراط وافلاطون وارسططاليس . وافترقوا في ذلك عدة فرق ، أشهرهم « المعتزلة » و « أهل السنة » و « الفلاسفة »

فن الأولى : أبو الهذيل وثمامة بن أشرس والنظام والجاحظ والجبائي  
ومن الثانية : أبو الحسن الأشعري والباقر الأبي والفخر الرازي والغزالي .  
ومن الثالثة : الكندي واحمد بن الطيب وأبو زيد البلخي والفارابي وابن سينا

بعض فلاسفة  
المسلمين  
وأئمة دينهم

### ﴿ العلوم الرياضية والفلكية ﴾

أخذ العرب هذه العلوم عن الكتب اليونانية في العصر الذي لم يكن الروم سلائل الإغريق يعرفون منها إلا قليلاً . وكذلك أخذوا عن الهنود الأرقام الحسائية ، ولكنهم لم يقتصروا على القليل المنقول ، بل توسعوا في الحساب والهندسة واخترعوا الجبر : اخترعه « محمد بن موسى الخوارزمي » ولم يُعرف منه قبلهم إلا مبادئ أخذت عن اليونان والهنود في استخراج القوى ، فوصل العرب فيه الى حل معادلات الدرجة الثالثة ، ووصلوا في القرن الرابع الى نهاية حساب المثلثات الكروية وعن العرب أخذت أوروبا هذه العلوم . ولا تزال أرقام حسابهم هي

علم الجبر

الأرقام العربية وبقاء اسم الجبر عندهم بلفظة العربي شاهد أنه من عمل العرب

أما الفلك والهيئة فللعرب اليد الطولى في تهذيبهما وتحقيق مسائلهما الفلك والهيئة فقد كان عصر المأمون والواثق وغيرهما من خلفاء بغداد والملوك التي اشتقت من الدولة العباسية عصور ازدهاء وعناية عظيمة بهما، فنقلوا في زمن الرشيد والمأمون كتب اليونان من القسطنطينية، وحققوا مسائلها، وأصلحوا خطأها. فعملت الأرصاد والأزياج الفلكية، ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي، وقدروا ميل منطقة فلك البروج، وقاسوا الدرجة الأرضية، فسحوا الكرة الأرضية وعرفوا مقدار قطرها. ومراصدهم في بغداد والقاهرة وغيرهما مشهورة

ونبع في هذه العلوم أبناء موسى بن شاكر والفزاري والخوازمي. بعض الرياضيين والبلخي وأبو معشر الفلكي وثابت بن قرة وابن يونس المصري، ثم البتاني والبيروني والطوسي وابن الهيثم الرياضي وكثيرون والفلكيين

### ﴿ الجغرافيا والتاريخ ﴾

وبرع العرب في أكثر أنواع الجغرافيا، فكتب « المسالك والممالك » الجغرافيا لا يزال منها كثير مطبوعاً في أوروبا وغيرها، ومنها المكتبة الجغرافية الشهيرة. ووضعوا بأنفسهم جغرافية بلادهم، وترجموا عن بطليموس وغيره آراءهم، فصنعوا المصورات والكرات الأرضية على المعادن والورق والجص والثياب، وكان لهم سياحات عظيمة في القارة القديمة، وكفى دليلاً على اهتمام العرب بأحوال الأرض وسلوكها واستعمارها ان الأوربيين لما ذهبوا

الى شرقى افريقية وجنوبيها والى جزائر الأوقيانوسية وجدوا العرب قد سبقوهم اليها من مئات السنين

ومن أشهر جغرافى العرب ابن حوقل والإصطخري وابن خرداذبة بعض الجغرافيين والمسعودى وأبو الفداء والشريف الإدريسي

ولم تتفنن أمة فى التاريخ ما تفنن العرب ، فكتبوا تاريخ الدول ، وتاريخ الأنبياء ، وتاريخ الأفراد من العلماء والشعراء والكتّاب والوزراء والمفسرين والمحدثين ، وتاريخ البلدان فأفردوا لكل بلد تاريخاً . وكتبوا فى آخر دولهم فى فلسفة التاريخ ، فرسموا بذلك خطتها للأوربيين الذين برعوا فيها فى الأزمنة الحديثة

ومؤرخو العرب لا يُحصون كثرة ، من أشهرهم الطبرى والمسعودى بعض المؤرخين وابن الأثير وابن خليكان وابن شاكر والخطيب البغدادي وابن خلدون

### ﴿ العلوم الطبيعية ﴾

أما العلوم الطبيعية فلا تُجحد أعمالهم العظيمة فيها ، فانهم فوق الطبيعة استظهارهم ما عرفوه من اليونان زادوا فيه مسائل تستحق الذكر ، فكشفوا كثيراً من قوانين تناقل الأجسام ، وجعلوا لها الجداول الدقيقة ، وقوانين الضوء ، كما عرفوا علم السوائل الثابتة ( الأيدروستاتيك ) وأظهروا براعة فائقة فى الأمور العملية الخاصة بالسوائل المتحركة ( الإيدروليك ) ، مثل حفر الآبار وإنشاء الخزانات وحفر الترع ووضع الأقنية والبرامخ وما شا كل ذلك ، مما لا تزال آثاره باقية فى العراق والجزيرة والشام ومصر وشمالى إفريقيا والاندلس

ولا ينكر الأوربيون أن علم الكيمياء الحقيقي هو من نتائج بحث  
العرب وتجارهم. ويسمى العرب الكيمياء الحديثة «صنعة جابر»  
(جابر بن حيان)، إشارة إلى أن جابر هو الذي زاو لها وكشف مفرداتها  
ومركبها. وأكثر إطلاق لفظ «الكيمياء» اليوناني عندهم كان على الكيمياء  
الكاذبة التي نقلوها عن اليونان، وهي استخراج الذهب من غير معدنه.  
وهم الكاشفون لزيت الزاج والماء الملكي وروح النشادر والزاج الأخضر  
وحجر جهنم والراسب الأحمر والنؤل (الكحول) وملح البارود وملح  
الطرطير والسليمانى والزرنيخ. وهم المهتدون لأكثر طرق الترشيح  
والتقطير والإذابة والتصفيد. نعم ان الأوربيين كشفوا العناصر البسيطة،  
واستنبطوا التقسيم والتحليل والتركيب باعتبار الذرات، فسهلوا دراسة هذا  
العلم وطرق الاختراع، إلا أن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بأن الفضل  
للمتقدم. ومن أشهر الكيميائيين جابر والكندى والرازى

أما الطب فأخذوه عن اليونان والهنود ثم زادوه بتجارهم وبحوثهم  
فهم أول من استعمل أغلب الكاويات المعروفة الآن، وأول من اشتغل  
بعلاج الجذام والحصبة والجدرى، وأول من كشف عملية قذح العين  
(الكتركتا)، وأول من استعمل السكر في الأدوية بدل العسل، وأول  
من وصف الأمراض الجلدية الدورية وصفاً علمياً. وإن كانت الجراحة  
عندهم ليست في التقدم على ما هي عليه الآن لإحجامهم كثيراً عن تشريح  
الآدميين لقد وضعوا فيها كثيراً من آلات وحسنوا أخرى  
ولم يكن علمهم بالنبات وخواصه وعلم العقاقير والصيدلة أقل منه  
بالكيمياء

وقد أدام نشاطهم وإقدامهم الى الوصول الى معظم الحيل (الميكانيكا)  
المستخدمة الآن في أصعب الصناعات . والعرب هم المخترعون للرقاص  
(البندول) وبيت الإبرة (البوصلة)

### ﴿ الصناعة ﴾

والعرب فضل عظيم في تقدم الفنون الصناعية ، ففتنوا في صناعة  
المعادن ، وبرعوا في طلائها بالمينا ، وعالجوا عمل الصلب الصناعي . ولم تعرف  
الدنيا في تلك الأزمان سيوفاً تفوق سيوف دمشق ، ولا نحاسين فاقوا  
نحاسي بغداد ، ولا صاغة خيراً من صاغة عمان ، ولا نساجاً أحذق من  
نساج تنيس . ونجارتهم العربية الدقيقة لا تزال موضوع تنافس الأوربيين  
في اقتنائها . ونشاهدتها في الأبواب والمناير والمشربات . وهم الذين أدخلوا  
صناعة الحرير والقطن والورق بأوروبا

### ﴿ التجارة ﴾

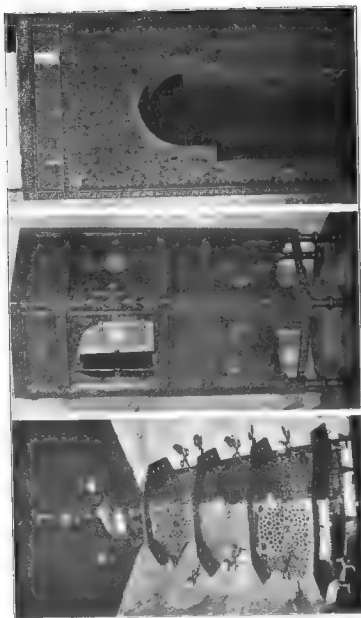
أما تقدمهم في التجارة فلا تزال آثاره شاخصة الى الآن ، فتجارة  
أواسط افريقية بيد العرب ، وكانت قوافلهم تصل في الشمال الى الأستقاع  
القطبية : يدل على ذلك ما وُجد من آثارهم ودنانيرهم فيها . وسفنهم تبلغ  
الصين واليابان والأوقيانوسية قبل كشف البخار بأكثر من ألف سنة

### ﴿ فن العمارة ﴾

نقل العرب أكثر فن العمارة من مباني البوزنطيين والفرس ، ولكنهم  
ما لبثوا أن غيروا فيها تغييراً ممتازوا به كما ممتازوا في غيره . فهم المخترعون

امتد من وقت الصناعات العربية

(دم لكجيان)



محراب من الخشب (من عصر التوالم)

كوس من المعدن (من عصر المايك)

تور من المعدن (من عصر التايك)



للعقود ذات الزوايا . ومما اكسب المباني العربية جمالاً ورواقاً القباب  
الشاحخة المزينة ، والمنارات الشاهقة ، والأبواب العالية مع صغر المدخل ،  
ثم رونق النقوش والزخرفة العربية ، مما سنذكره

### ﴿ الفنون الجميلة ﴾

لما كان من المحرم أو المكروه عند المسلمين تصوير الأحياء وجهوا الرسم والزخرفة  
عنايتهم الى إبداع رسوم جميلة خالية منها ، مكونة من أشكال نباتية غير  
حقيقية متداخل بعضها في بعض ، وأشكال هندسية مركبة من خطوط  
مستقيمة ومنحنية . فكانت أبداع ما صنع الإنسان  
ومن أهم ما استعانوا به في الزخرفة أيضاً تأليف الألوان وكتابة آي  
القرآن الحكيم بأنواع الخطوط الكوفية والثلثية المختلفة الأشكال ،  
وصناعة الفسيفساء والخزف المطلي (القاشاني) والزجاج الملون ، والزخرفة  
بالجص . ومبانيهم بالقاهرة والشام والأندلس ورسومهم في جلود الكتب  
أوضح دليل على نبغهم في ذلك

وبالرغم من تحريم دينهم المكوف على الملاحى وعزف آلات الطرب  
لم يقصروا في إجادة فن الموسيقى وإجادة جعلت الموسيقى العربية ضرباً  
مستقلاً متميزاً بمزايا جميلة . وآلاتهم الموسيقية على خشوتها وسذاجتها  
تأتى من النغم بما هو جدير بالإعجاب ، بل منها ما لم يستطع الأوربيون  
أن يحاكيه في تميم أجزاء النغم . وكان لعصر الرشيد والأمين والمأمون  
والواثق والمتوكل أثر عظيم في تقدم صناعة الغناء والموسيقى عندهم  
وجملة القول ان علوم العرب وآدابهم وفنونهم هي الحلقة الموصلة بين

الموسيقى



حضارة الأقدمين والحضارة الحديثة . ومما يلاحظ ان ما كانوا ينشرونه من التمدن في البلاد التي يفتحونها يبقى وراءهم فيها زمناً طويلاً . وللعرب الفضل ( بالذات أو الواسطة ) في إحياء العلوم والفلسفة في أوربا : أخذت ذلك عنهم شرقاً أثناء الحروب الصليبية وغرباً من الأندلس . وللعرب من كرم الأخلاق ، ورقة العواطف ، والرحمة ، والرفق بالحيوان ، نصيب لم يقل عن أنصباء الأمم الفاضلة

## إفصل السابع

### الدولة الأيوبية

٥٦٧ - ٦٤٨ هـ ( ١١٧١ - ١٢٥٠ م )

#### (١) صلاح الدين الأيوبي

هو « الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب » مؤسس الدولة الأيوبية الكردية . ولد بتكريت من بلاد الكرد سنة ٥٢٢ هـ ( ١١٣٧ - ١١٣٨ م ) منشؤه والتحق بخدمة « نور الدين » أسوةً بأبيه وعمه . فبقى خاملاً الى الخامسة والعشرين من عمره ، شديد الميل الى الانزواء والعزلة . ثم رافق عمه « شيركوه » في الحملتين الأوليين الى مصر سنتي ٥٥٩ و ٥٦٢ هـ ( ١١٦٤ - ١١٦٧ م ) فكان له في موقعة « البابين » وفي الدفاع عن الاسكندرية ما اشتهر أمره ولم يرافقه في الحملة الثالثة إلا بعد إحجام واعتذار ( لعظيم ما لاقى في حصار الاسكندرية ) مع ان هذه الخرجة كانت فاتحة لتأسيس ملكه

وتكوين مجده . وربما لم يُقلده المصريون منصب الوزارة في مصر بعد  
عمه إلا لما كان يدلّ عليه ظاهره من سهولة اتقياده

ولى « صلاح الدين » وزارة مصر سنة ٥٦٤ هـ ( ١١٦٩ م ) فقام بها  
أحسن قيام . ولما رأى أنه صار وزيراً للخليفة الفاطمي الشيعي وعاملاً  
لنور الدين صاحب دمشق السنّي في وقت واحد ، دعا لها معاً في الخطبة  
وبذلك مهد الطريق للقضاء على ما بقي من السلطان للخليفة الفاطمي ،  
وعمل على استجلاب محبة أهل مصر ليشتدّ بهم ازره في الانسلاخ من  
« نور الدين » ، وفي التغلب على الفاطميين وتكوين دولة مستقلة له بمصر  
فغزل من المناصب الكبيرة من يخشاهم من المتشيعين للعاخذ ونصب  
مكانهم اخوته ووالده . وثار عليه جند الخليفة السودان وكاتبوا الصليبيين  
يستنصرونهم ، فعجل صلاح الدين باخاد ثورتهم وطردهم الى الصعيد . ثم  
أغار الصليبيون على « دمياط » فأسرع الى صدم فرجعوا خائبين الى بيت  
المقدس . فكان ذلك ابتداء طور جديد في تاريخ النزاع بين مصر والفرنج ،  
فبعد ان كانوا يوالون الغارات على مصر في عهد الفاطمية أصبحوا ولا حيلة  
لهم إلا الدفاع عن إمارة بيت المقدس . إذ قد أتبع صلاح الدين هذا  
الفوز باغارة على « فلسطين » غنم بها مغانم كثيرة فأحبّه الناس وأحلّوه  
في قلوبهم محل المدافع عن الدين الآخذ بناصره . ولذلك لم يجد صعوبة في  
حذف اسم الخليفة الفاطمي العاضد من الخطبة والدعاء للخليفة العباسي  
مكانه . وكان « العاضد » قد احتجب في قصره منذ قدوم صلاح الدين ،  
وكان عند حذف اسمه في مرض الموت فحبس عنه الخبر حتى مات . ولم  
يأخذ صلاح الدين لنفسه شيئاً من خزائنه ونقائسه بل أرسل جانباً منها

تقلده وزارة  
مصر وانقراض  
الفاطميين

الى « نور الدين » وأهدى بعض خزانة الكتب الى وزيره « القاضي الفاضل »  
وباع الباقي على ذمة بيت المال . ولم يتخذ لنفسه قصرأ من قصور الخلفاء ،  
بل بقى بمنزله وأنزل القصور رؤساء جيشه ، فباتت تلك القصور الجميلة  
بعيدة عن عناية الملوك ، وتسرب اليها الخراب حتى لم يبق لها أثر الآن  
ويمكن تقسيم ما بقى من سيرة « صلاح الدين » الى ثلاثة أطوار :

(١) تحصينه لمصر وتوطيد ملكه فيها

لما أن تمَّ الأمر لصلاح الدين أخذ في تحصين مصر ليأمن شر غارة  
الأعداء ، فعزم على بناء سور عظيم يضم القسطنطين والمسكر والقطائع  
والقاهرة وتشيد قلعة منيعة على جبل المقطم تشرف على الجميع ، فبدأ في  
بناء السور ولكنه لم يتم قط

طور تحصين  
مصر

وأرسل « صلاح الدين » عدة جيوش الى البلاد المجاورة لمصر ، قيل :  
كان الغرض منها حفظ مكان تتراجع اليه جيوشه اذا طاردها الصليبيون  
أو نور الدين نفسه ( وقد كان صلاح الدين لم يبق له سوى سيادة اسمية  
فخفق عليه ، فوجه أحد هذه الجيوش الى سواحل افريقية الشمالية ، والثاني  
الى السودان والثالث الى بلاد العرب حيث أخضع أخوه جميع بلاد اليمن  
وأسس بها دولة حكمت هنالك نحو خمس وخمسين سنة

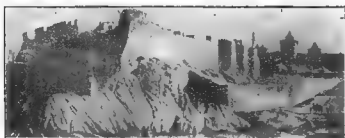
ثم تأمر جماعة الشيعة بمصر على الوثوب بصلاح الدين ، فلم يفلحوا  
وفتك بزعمائهم . وكان الفرنج قد عزموا على مساعدة النصارى ، فهاجموا  
الاسكندرية باسطول من « صقلية » أواخر سنة ٥٦٩ هـ ( ١١٧٤ م ) فردوا  
عنها بالفشل

وفي هذه السنة مات « نور الدين » ، فخلا لصالح الدين الجوى ، وعمد وقادة نور الدين الى بسط نفوذه على جميع الممالك الإسلامية وتكوين دولة واحدة عظيمة منها ، حتى اذا توحدت كلمة المسلمين عمل الى استئصال شأفة الصليبيين من الشرق

## (٢) توسيع نطاق دولته

ترك « نور الدين » ملكه لطفل صغير ، فاستحوذ على السلطة نفر من الأمراء . فاتهز لصالح الدين هذه الفرصة وذهب الى « دمشق » وملكها باسم ابن سيده نور الدين . ثم سار الى « حلب » فأقفلت أبوابها في وجهه ، وأرسل صاحب الموصل ( ابن أخي نور الدين ) جيشاً لينضم الى جيش حلب ، فسار الجميع للقاء صالح الدين ، فانتصر عليهم انتصاراً باهراً بجبهة « قُرُون حَمَاة » سنة ٥٧٠ هـ ( ١١٧٥ م ) . وانتصر في موقعة أخرى في السنة التالية ، فاعترف له بالسيادة على جميع أنحاء الشام من مصر الى قرب الفرات

ثم قضى « صالح الدين » ست سنين ( من ١١٧٧ الى ١١٨٢ م ) قلة الجبل في ضبط نظام أملاكه ومواصلة تحصين القاهرة . فبدأ في سنة ٥٧٣ هـ ( ١١٧٧ م ) بناء « قلعة الجبل » على سفح المقطم ، وبنى فيها قصرًا لسكنه ، وحفر فيها بئرًا عميقة تعرف الآن ببئر يوسف أو « الخلزون » . ولم يتم بناء القلعة إلا بعد موته . وقد عدل بناؤها وزيد عليه بعد أيامه مراراً حتى أخذت شكلها الحالي في عهد المرحوم « محمد على باشا » رأس الأسرة المحمدية العلوية الكريمة ولا يزال جزء من بناء صالح الدين باقياً بها الى الآن



( القلعة قبل عهد محمد علي باشا )

وبذل صلاح الدين عناية في هذه المدة أيضاً باصلاح أعمال الري ونحوها بمصر، وأكثر من انشاء المدارس لنشر مذهب الامام الشافعي ومحو مذهب الشيعة من مصر. ولم يمكث أثناء ذلك عن الحرب جملة، بل حدثت بينه وبين الفرنج بمض مناوشات رجع منها الى القاهرة بكثير من الأسرى سخرم في بناء القلعة

وما زال يعمل على توحيد كلمة المسلمين وبسط نفوذه عليهم، حتى لم تأت سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦ م) إلا وقد ضم الى دولته شمالي العراق وبلاد الكردستان. وبذلك تم له ما أراد، وصار أمراء المسلمين من كل جانب رهن اشارته، يمدونه بالخليل والرجل اذا قام بدعوتهم الى حرب دينية لسحق الصليبيين وإعلاء كلمة الإسلام

( ٣ ) صلاح الدين والصليبيون

كانت بين صلاح الدين والصليبيين هدنة في هذه المدة، ولكنها كانت هدنة ظاهرة فكان كلا الفريقين في أثناءها ساهراً على الاستعداد للحرب للأخذ بناصر دينه. وقامت بأوروبا نهضة جديدة لتأييد المسيحيين

بالشام ، ولم يبق إلا ظهور شرارة صغيرة تلتهب بها نيران حرب دينية عظيمة . فأوقد هذه الشرارة القيم على ملك بيت المقدس ( وكان ملكها طفلاً صغيراً ) بتعرضه لاحدى قوافل صلاح الدين وسلبها ، فنشبت الحرب ودامت خمس سنوات ( ٥٨٣ - ٥٨٨ هـ : ١١٨٧ - ١١٩٢ م )

واكتسح صلاح الدين في أول الأمر كل شيء أمامه ، فقهر جيوش موقعة حطين إمارة بيت المقدس في موقعة فاصلة بجهة « حطين » لم يُنكب الصليبيون منذ خرجوا الى الشام بمثلها . ثم توغل الى فلسطين ، ففتح « عسقلان » وكثيراً من الحصون والمعازل وفادى أسراها بالمال ومبادلة الرجال ، فأنحازت طائفة منهم الى « بيت المقدس » وطائفة الى « صور » . ورأى صلاح الدين ان الفرصة قد حانت لاستنقاذ بيت المقدس فنزل عليه بجيوشه في منتصف رجب ( سنة ٥٨٣ هـ : ١١٨٧ م ) ، وكان محصناً تحصيناً منيعاً ، فدافع الفرنج مستبسلين ، وجدّ المسلمون في الزحف فاجتازوا الخنادق وتقبوا الأسوار ، ولما رأى الفرنج أنهم أشرفوا على الهلاك اتفقوا مع صلاح الدين أن يسلموا اليه المدينة ويخرجوا منها بأموالهم وأولادهم وأثقالهم نظير فدية بضعة دنانير على كل انسان ، فقبل ذلك صلاح الدين ولم يعاملهم بمثل ما عاملوا به المسلمين عندما فتحوه زمن الفاطمية من الفطائح . وفي سنة ٥٨٤ هـ ( ١١٨٨ م ) هادن صاحب « انطاكية » وفتح « الكرك » وجميع مدن الساحل شمالي « صور » . وفي سنة ١١٨٩ م لم يبق بأيدي الصليبيين سوى « صور » و « بلقرت » \* . وقضت مكارم صلاح الدين أن يسمح لحامية البلاد التي فتحها بالتراجع الى « صور » بعد ان أقسموا

\* وتسمى في كتب العرب « شقيف أرزنون » : كانت قلعة بين دمشق والساحل

تاريخ (١٩)

له أن لا يجردوا عليه سيفاً ، ولكنهم تجمعوا هنالك وكونوا قوة جديدة ،  
ثم حملوا عليه

فبدؤوا بحصار « عكا » ، وساق صلاح الدين عليهم جيشاً ليحاصرهم  
سنة ٥٨٥ هـ ( ١١٨٩ م ) . وبقى الحال كذلك سنة ونصفاً الى أن أتى  
« فلب » ملك فرنسا و « ريكارد قلب الأسد » ملك الانجليز بمدد كبير  
للسالبيين ، فسلمت لهم المدينة سنة ٥٨٧ هـ ( ١١٩١ م ) . ثم وقع الخصام  
بين الصليبيين أنفسهم ، فتسرب اليهم الفشل وعاد « فلب » الى بلاده .  
وسار « ريكارد » الى « بيت المقدس » فلم يستطع الاستيلاء عليها . وكان  
الفريقان قد سئما القتال وشرعاً يتخبران في الصلح . وفي سنة ٥٨٨ هـ  
( ١١٩٢ م ) أصاب « ريكارد » مرض ، وحدثت في بلاده أمور تستدعي  
عودته ، فعقد صلحاً بجهة « الرملة » مع صلاح الدين على أن يبقى الساحل  
بين « صور » و « يافا » بأيدي الصليبيين ، وأن يسمح للمسيحيين بحج  
البيت المقدس بلا ضريبة

هذه هي نتيجة الحرب التي قام بها صلاح الدين على الصليبيين مدة  
خمس سنوات . فبعد ان كان المسلمون لا يملكون قبل موقعة « حطين »  
في سنة ( ١١٨٧ م ) شبراً من الأرض غرب نهر « الأردن » أصبحوا بعد  
معاهدة « الرملة » سنة ( ١١٩٢ ) يملكون جميع البلاد عدا ساحل ضيق  
يمتد بين صور ويافا . رأى صلاح الدين كل ذلك ، ورأى أنه قد وحد كلمة  
المسلمين ما بين صحراء لوية وجبال الكردستان ، ونصر بهم الاسلام ،  
فطاب خاطره وتم له ما أراد . وكانت قد أنهكت صحته الحروب المستمرة  
فأصيب بحمى وتوفي بدمشق سنة ٥٨٩ هـ ( ١١٩٣ م )

نتائج حروب  
صلاح الدين

ويعتبر صلاح الدين من أعظم رجال التاريخ ، فقد كان قائداً عظيماً  
وسائساً محنكاً ، جمع بين الشجاعة والمروءة وعلو الهمة ، وبين الشدة  
والتواضع والتقوى والزهد والورع والعدل والرحمة . وكان الفرنج يُعجبون  
بأخلاقه ويمدونه مثل الشهامة الشرقية . وفي مقدمتهم في ذلك « ريكارد »  
ملك الانجائز الملقب بقاب الأسد ، فانه وان لم يقابله قط كان يعجب  
بشهامته كل الإعجاب

وقد ساعد صلاح الدين في ادارة شؤون دولته الشاسعة جماعة من  
النبغاء ليسوا بالقليل ، منهم والده (وهو صاحب الفضل في تمكين العلاقة  
بينه وبين نور الدين) ، ومنهم أخوه « العادل » ووزيره « بهاء الدين  
قراقوش » ، ووزيره « القاضي الفاضل » عبد الرحيم البيهاساني صاحب  
اليد الطولى في الأدب والحكمة ، ثم « عماد الدين » الكاتب وكانت له  
شهرة فائقة في البلاغة

### (ب) خلفاء صلاح الدين من الأيوبيين

لما توفي صلاح الدين تولى أولاده حكم الثلاثة الأعمال العظيمة من  
دولته وهي دمشق وحلب ومصر . وتولى الأعمال الأخرى العادل وبنو اخوته  
نخلفه في مصر ابنه السلطان الملك « العزيز » عماد الدين ، إلا أنه  
حدثت بينه وبين أخيه « الأفضل » ملك دمشق منازعات وحروب  
اتهمت بنى الأفضل عن دمشق وتولاها « العادل » سيف الدين أخو  
صلاح الدين الذي كان وقتئذ حاكماً على الجزيرة . وكان « العادل » من  
أكثر الناس سياسة وحزماً ، فبعد أن قبض على أزمة الأمور بدمشق



أسرع لتنظيم شؤون أملاكه بالجزيرة ، فدانت له جميع البلاد السورية .  
والجزرية . ثم مات « العزيز » ٥٩٥ هـ ( ١١٩٨ م ) ، فحضر « العادل »

الى مصر وتغلب على ابني صلاح الدين وعزل « المنصور » بن العزيز من  
مصر ( وكان طفلاً صغيراً ) وتولى هو ملكها . ودانت له معظم دولة  
صلاح الدين ( ٥٩٦ هـ : ١٢٠٠ م ) ، وصارت مصر صاحبة الشأن الأكبر

في هذه الدولة . ووقع بمصر في زمنه ( ٥٩٧ - ٥٩٩ هـ : ١٢٠١ - ٢ م )  
مخطط شديد ثم وباء عظيم أضعف شأن المملكة . إلا أن « العادل » لم  
يفتر عن توطيد دعائم ملكه ، وجمع كلمة المسلمين وجعلهم يداً واحدة  
ليستعين بهم على استئصال شأفة الصليبيين

وكان الصليبيون أثناء اشتغال العادل بتثبيت ملكه بالشام قد  
جاءتهم امداد من ألمانيا سنة ٥٩٣ هـ : ١١٩٧ م ، وأرادوا أن ينتهزوا فرصة  
تفرق المسلمين للاستيلاء على بيت المقدس ، فانتصروا على العادل وأخذوا  
منه « بيروت » . ولكنهم تفرقوا بعد ذلك وعقد العادل معهم صلحاً بالتنازل  
لهم عن « يافا » و « الرملة » اعتقاداً منه أن الصالح خير له لتعزيز قوته .

وفي سنة ٦٠٥ هـ ( ١٢٠٨ م ) منع « العادل » أهل مدينة  
« البندقيّة » مزايا تجارية بالنيل وبالإسكندرية نظير تهديم بمساعدته  
على صد غارات الصليبيين على مصر

وفي سنة ٦١٤ هـ ( ١٢١٨ م ) نهض الصليبيون نهضة جديدة ، وبدا  
لهم أن يحولوا ربح الحرب الى مصر قلب دولة المسلمين ، فقصدوا « دمياط »  
وكانت حصينة ، فلكوها بعد قتال شديد . وكان العادل في الشام فأتت  
في رجوعه كمداً عليها . وكان العادل من أنبل الناس وأكبرهم حرصاً على

الاسلام: خدم صلاح الدين باخلاص نحو ٢٥ سنة (من ١١٦٨ الى ١١٩٣ م) وجمع كلمة دولته بعد موته، فكان اكبر واقف بعمده في وجه الصليبيين

ثم تولى السلطان الملك « الكامل » (٦١٥ - ٦٣٥ هـ : ١٢١٨ - الكامل

١٢٣٨ م)، فعمل على طرد الصليبيين من دمياط قاتلهم عليها ليلاً ونهاراً، إلا أنه وصلت اليهم امداد جديدة كثيرة، فعرض عليهم الصلح على ان يرد اليهم إمارة بيت المقدس كما كانت قبل الحرب التي شنها عليهم صلاح الدين في سنة ١١٨٧ م نظير جلائهم عن دمياط، فأغرام البابا برفض هذا العطاء الجميل، فكان نصيبهم الفشل بعد ذلك، فإن اختلافهم وجههم حال البلاد الجغرافية حالاً دون تقدمهم. ولما شرعوا في الزحف نحو القاهرة في شهر يولييه سنة ١٢٢١ م اعترضتهم الترع من كل جانب واضطروا الى محاربة المسلمين بمكان كان قد حصنه الكامل بالقرب من المنصورة وجمع اليه الجيوش والأمراء من جميع أنحاء الدولة الأيوبية. ولما علا النيل هدم المسلمون السدود، فانطلقت المياه على موقع الأعداء وأحاطت بهم من جميع الجهات، ولم يبق لهم منفذ سوى ممر ضيق يفرون منه الى دمياط. وبينما هم يهيمون بالفرار ليلاً انقض عليهم المسلمون من كل جانب وأخذوا يحصدونهم حصداً. ثم أمر الكامل أن يكفوا عنهم، وأطلق سراحهم بعد ان عاهدوه على أن يخلوا دمياط ويحلوا عن الديار المصرية، وان لا يجردوا على المسلمين سيفاً مدة ثمانى سنوات. فخلوا عن مصر في شهر سبتمبر سنة ١٢٢١ هـ (٦١٨ هـ) بعد أن قضوا فيها أربعين هلالاً

وفي سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٨ م) خرج الإمبراطور «فردريك الثاني» من أورباني بضع مائة من الفرسان يطالب بملك إمارة بيت المقدس، وكان

على وشك الخروج مع جيوش أوربية، إلا أنه أغضب البابا وغيره من أولى الشأن من المسيحيين لاستقلاله عنهم في الرأي فتركوه يخرج وحده لجهاد المسلمين. وكان «فردريك» قليل التعصب الديني يعيل الى المسلمين حتى ظن البابا انه دخل في دينهم. وكان «الكامل» قد خشي ازدياد قوة أخيه «المعظم» صاحب دمشق، فعقد محالفة مع «فردريك» على ان يتنازل له عن بيت المقدس وعن طرق حجاجه المؤدية الى عكا ويافا، وان يطلق سراح الأسرى من الفرنج، ويقوم فردريك نظير ذلك بمساعدته على رد كل مهاجم ولو كان مسيحياً، وأن يمنع المدد عن أمراء الصليبيين الآخرين في الشام مدة عشر سنين ونصف. فأخذ «فردريك» بيت المقدس بلا ضرب ولا قتال، فعد المسلمون ذلك من أشنع غلطات الكامل، فان طممه في بلاد إخوته وأقاربه وشفاء غل صدره متهم حمله على التنازل عن بيت المقدس وهو بيت القصيد من كل هذه الحروب السماء التي أريقت فيها دماء مئات الألوف من الطائفتين. وبمهادنة الكامل لفردريك وحده قواه لا تنزاع أملاك أقاربه حتى تمت له السيادة على جميعها، ولم يبق له منازع من آل أيوب. وعاش نحو تسع سنين لم يحارب فيها أحداً من الصليبيين. وآخر عهده بالحروب انه خرج سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) للاستيلاء على دمشق فتم له النصر، إلا أنه مات بعد الواقعة بقليل على أثر تعرضه للبرد في ميدان القتال. فعاد النزاع بين ملوك بني أيوب الى أشد ما كان عليه في اقتسام البلاد

وكان «الكامل» يحسن الإدارة والسياسة، ولا يفتر عن العمل. وتقدمت مصر في عهده كثيراً بفضل ما قام به من الأعمال لإصلاح

الرى وتحسين حالة الزراعة . وأتم « الكامل » بناء قلعة صلاح الدين ،  
وأسس كثيراً من المعاهد العلمية . وكان كمعظم أفراد أسرته يحب العلم  
والعلماء ويحلس اليهم في ليالى الجمعة لسماع حديثهم والمناقشة معهم  
العادل خلفه ابنه السلطان الملك « العادل » سيف الدين أبو بكر الثانى  
فاشتغل باللهو عن التدبير ، فأنكر الأمرء ذلك وخلصوه بعد سنتين  
العادل وولى اخوه السلطان « الملك الصالح » ايوب سنة ٦٣٧ هـ ( ١١٣٩ م )  
فكان من خيرة السلاطين : دبر الملكة أحسن تدبير ، وأخذ الفتن .  
وبنى قلعة الروضة ( بجزيرة الروضة ) ، ونزلها وحشد فيها المماليك من الترك  
وبالغ في شرايهم ( فكان ذلك من أكبر غلطاته ، فانهم سلبوا الملك من  
أولاده كما سلبوه من أولاده المعتصم العباسى ) . وكان عمه « الصالح اسماعيل »  
من أكبر أعدائه ، فانه استولى على دمشق واتحد مع الصليبيين وتنازل لهم  
عن بعض المواقع ، فاستعان « الصالح أيوب » بقبائل الخوارزمية وهزم  
الأعداء ، وأعاد « بيت المقدس » للمسلمين سنة ٦٤٢ هـ : سبتمبر سنة ١٢٤٤ م  
وما زال ملكاً لهم الى الآن ، واسترد أيضاً دمشق سنة ٦٤٣ هـ : ١٢٤٥ م  
وعسقلان سنة ٦٤٥ هـ ( ١٢٤٧ م ) ، ورجعت دولته الى ما كانت عليه في  
عهد جده . وفي آخر مدته ( ٦٤٧ هـ : ١٢٤٩ م ) نزل الصليبيون في أكثر  
من مائة الف الى « دمياط » فلكوها بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا  
وكان من أبطال الصليبيين . فرابط الملك الصالح بالمنصورة ومرض مرض  
الموت ، فأرسلت سُرَيْتَه السيدة أم خليل « شجرة الدر » الى ولده « توران  
شاه » ( بالجزيرة تستدعيه . ومات الصالح فأخفت السيدة موته وأصدرت  
الأوامر بما يشبه توقيمه ، وجمعت قواد الجيش وأرباب الدولة وزعمت أن

السلطان يأمرهم بالبيعة لولده توران شاه ففعلوا . ووقع الفرنج في نفس الخطأ الذي وقعوا فيه في عهد « الكامل » ، فانهم بدل أن يأتوا مصر من طريق صحراء سينا مارين بالفرما شأن الفاتحين قبلهم أتوها من طريق دمياط والمنصورة حيث تعترضهم الترع والخلجان ، فزحفوا على المنصورة سنة ٦٤٨هـ :

١٢٥٠ م وكادوا يملكونها ، فحضر « توران شاه » وقت اشتباك الحرب ،

فقاتل الفرنج ودارت عساكره حولهم فاستولى على أكثر مراكزهم وأخذتهم السيوف من كل جانب وقتل منهم نحو ٣٠ ألفاً ، وغرق كثير منهم في النيل وأسر ملكهم « لويس التاسع » وسجن في دار ابن لقمان ( ولا تزال باقية بالمنصورة إلى الآن ) ، ثم فدى نفسه وبقية أهله وعساكره بمبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠

فرنك وخرج من دمياط . وكانت واقعة المنصورة سنة ٦٤٨هـ ( ١٢٥٠ م ) ،

وتعتبر من الوقائع الفاصلة بين المسلمين والصليبيين . وكان الملك الصالح من

أعظم بني أيوب ملكاً وأحزبهم أمراً وأكثرهم عمارة وأشدهم استقلالاً بالدولة

ولما ولي السلطان الملك المعظم « توران شاه » وفرغ من الصليبيين

طالب السيدة بمال أبيه وتهنئتها وتهنئته المماليك ، فقتلوه بعد سبعين يوماً

من ملكه ، وولوا مكانه الملكة أم خليل « شجرة الدر » ، ولم يل المسلمين

امرأة قبلها ، فأقامت في المملكة ثلاثة أشهر وعزلت نفسها . واتفق المماليك

أن يولوا « الأشرف موسى » من بيت الملك ، فلأكوه وعمره ٨ سنوات ،

وجعلوا « عز الدين أيبك التركماني » أحد مماليك الصالح قيماً عليه ، وتزوج

شجرة الدر ، ولم يلبث أن خلع الأشرف واستبد بالملك ، واتته دولة

آل أيوب من مصر . وبقيت دول منهم بالشام دخلوا بعد في طاعة

المماليك مع نوع استقلال

توران شاه

شجرة الدر

## ﴿ مزايا الدولة الأيوبية ﴾

### وأسباب سقوطها

كانت الدولة الأيوبية دولة فتح وجهاد من مبدئها الى منتهائها .  
فؤسسها صلاح الدين وآخرها توران شاه كملت حياتهما بالانتصار الباهر  
على الصليبيين ، وكان بينهما ملوك لم يقصروا عنهما في رد غاراتهم ، فكان  
هذه الدولة وُجدت لتكون عقبة في سبيل تغلب أوربا على الشرق أو  
لتأخير ذلك أكثر من ستمائة سنة وعوده بشكل آخر ، وكأنها كانت  
برفقها وقلة تعصبها ووفائها استاذاً ناصحاً أرشد أخلاف الصليبيين الى حسن  
معاملة البشر والتظاهر بالتسامح الديني ونبتد التعصب الوحشي الذميمة  
ونقض اليهود والغدر القبيح . ولولا وقوف الدولة الأيوبية في وجه أوربا  
المسيحية ( المتعصبة في ذلك الوقت ) لا تقرض الإسلام من جميع بقاع  
الشام والجزيرة ومصر وشمالى افريقية كما انقرض من الاندلس . والفضل  
في ذلك للواقعتين الفاصلتين اللتين قامت بهما هذه الدولة ، وهما واقعة  
حِطِّين ( وبطلها صلاح الدين ) وواقعة المنصورة ( وبطلها توران شاه ) .  
وكان أكثر عمارات الدولة ومصانعها الضخمة هي القلاع والحصون التي منها  
قلعة الجبل بالقاهرة ، وأسوارها المنيعة ، ويلبها أبنية المدارس للشافعية  
والمالكية . وأخذ عمل قامت به فوق ذلك نسخ مذهب غلاة الشيعة من  
مصر والشام ونشر مذهب الامام الشافعي وعلوم السنة فيها . وقد تقدمت  
البلاد في عهدهم باهتمامهم بالزراعة وسهرهم على نشر العدل وتوطيد النظام  
وأسباب سقوط هذه الدولة ترجع الى عدة أمور منها :

- (١) تقسيم صلاح الدين المملكة العظيمة التي افتتحها بين أولاده  
واخوته وأقاربه ، فأوجب تنافسهم وتحاسدهم وتباغضهم وتعدي بعضهم  
على بعض ، فتفككت عصبيتهم وأصبح بأسهم بينهم شديداً
- (٢) العهد بالملك الى الصغار منهم ، مما أوجب اقامة أوصياء عليهم  
من أقوياء رؤساء الجند والوزراء
- (٣) الاستكثار من اتخاذ المماليك التركية أنصاراً وأعواناً وتنازلهم لهم  
عن كل شيء في الدولة حتى تدبير القصر ، وتغاليهم في جلب هؤلاء وهجر  
الأكراد أصول الدولة والعرب أهل البلاد

## الفصل الثامن

### دولتنا المماليك

٦٤٨ - ٩٢٢ هـ (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

(١) - دولة المماليك البحرية

٦٤٨ - ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

منشأ المماليك انقضت الدولة الأيوبية بقتل «توران شاه» ودخلت مصر بعدها  
في حوزة مماليك هذه الدولة . وكان خلفاء الدولة العباسية قبلهم قد  
اعتادوا استخدام عدد كبير من المماليك في الجند والحرس ليحتموا بهم من  
قبائل العرب وبخاصة أنصار العلويين والأمويين منهم ، وليخضعوا بهم  
حكام الأقاليم اذا استفحل أمرهم . فأخذت قوة هؤلاء المماليك تزداد شيئاً  
فشيئاً حتى صاروا بالنسبة الى الخلفاء أقرب الى السجبان منهم الى الحراس

واقتهى بالعباسيين نور الدين وصلاح الدين فى استخدام الممالىك وعُنيا بتدربهم واعدادهم . وبقى ذلك فى عهد الأيوبيين حتى ولى الملك « الصالح أيوب » ، فاشترى عدداً كثيراً من أشداء الممالىك وبالغ فى تدربهم وأنزلهم فى قلعة الروضة التى شيدها بجزيرة الروضة ، فسموا لذلك « الممالىك البحرية »

ووصلوا فى آخر أيام الدولة الأيوبية الى درجة عظيمة من البأس . ولما أغضبهم توران شاه قتلوه واستولوا هم على الملك فبقى فى أيديهم نحو مائة وثلاثين عاماً

وعدد هم ٢٤ سلطاناً أولهم السلطان عز الدين « أيك » التركمانى :  
ولى سنة ٦٤٨ هـ ( ١٢٥٠ م ) وتزوج الملكة شجرة الدر ، ثم سلب منها كل سلطة واضطهدها . فقيل انها أمرت مماليكها بخنقه سنة ٦٥٥ هـ ( ١٢٥٧ م )

فقتلها ابنه وتولى الملك بعده ولقب بالملك « المنصور » وهو صبي لا يزيد عمره على ١١ سنة ، فقام بأمر الدولة الأمير سيف الدين « قُطز » فوقعت فى مدته ( سنة ٦٥٦ هـ : ١٢٥٨ م ) النكبة العظيمة وهى سقوط بغداد فى يد التتار وزوال الخلافة العربية . فجمع « قطز » القضاة وكبار العلماء لذلك ، فأفتوه بخلع السلطان الصبي وولوه مكانه

فتولى سنة ٦٥٧ هـ ( ١٢٥٩ م ) ولقب بالملك « المظفر » ، فجمع الممالىك تحت كلمته وصاروا كلهم وقبائل العرب بمصر معه يداً واحدة على التتار الزاحفين على مصر . فالتقى بهم على عين « الجالوت » بفلسطين ، ثم لاقاهم أيضاً ببيسان فانتصر عليهم فى معركة هائلة . وكان ذلك بحسن قيادة



الأمير رُكن الدين « بيبرس » الذي طاردهم حتى أخرجهم من دمشق وحلب وانتزع أكثر امارات الشام من أيدي بني أيوب ، فوعده « قطز » بولاية حلب ، ثم أخلف وعده ، فقتله بيبرس وهم عائدون الى مصر ، واختاره زملاؤه سلطاناً مكانه

تولى السلطان الملك الظاهر رُكن الدين « بيبرس » البندقدارى  
بيبرس  
( ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ - : ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م ) عرش مصر فكان أشهر  
سلاطين المماليك البحرية ، فبدأ بتنظيم أمور الدولة واصلاح الجيوش  
وانشاء الأساطيل . فكان بوضع أنظمتها الملكية الثابتة المؤسس الحقيقي  
لدولتي المماليك اللتين استمرتتا ٢٦٧ سنة بالرغم من تشاحنهم وتنازعهم . ثم  
عنى بتحصين الشام وأنشأ بريداً سريعاً بحمام الزاجل بين دمشق والقاهرة  
وكان « بيبرس » يرمى الى بلوغ ما بلغه صلاح الدين وإلى استئصال  
شأفة الصليبيين مما بقي في أيديهم بالشام . ولكي يعزز زعامته الاسلام  
دعا الى مصر أحد أولاد الخلفاء العباسيين الذين فروا من وجه التتار من  
بغداد وبايعه بالخلافة ولقبه بالمستنصر ، ثم استمد سلطة الملك منه نائباً  
عنه سنة ٦٥٩ هـ ( ١٢٦١ م ) . ثم ان « المستنصر » هذا ذهب لمحاربة  
التتار فقتل وجاء عباسي آخر يسمى أحمد وبويع بالخلافة ولقب بالحاكم  
بأمر الله ، وهو جد الخلفاء العباسيين بمصر

وكان أكبر خطر يهدد مصر في ذلك الوقت إغارة المغول ، وكانوا  
التتار  
قد اتخذوا « فارس » مقراً لهم . إلا أن منهم طائفة تعرف بالطائفة الذهبية  
نزلوا على نهر « الوُجْجا » ( إيل ) واعتنقوا الاسلام وصاروا من أعداء تتار  
فارس . فاتحد « بيبرس » معهم ومع قيصر الروم وعمل على مقاومة تتار

فارس والقضاء على الصليبيين ، فخرب هؤلاء محاربة شديدة نحو عشر سنوات من ٦٥٩ الى ٦٧٠ هـ ( ١٢٦١ - ١٢٧١ م ) : شنت فيها شمالهم وهدم « يافا » و « انطاكية » حتى صارتا اطلالاً بالية ( سنة ٦٦٧ هـ ١٢٦٨ م ) . ثم أخضع قبائل « الباطنية » من الاسماعيلية النازلين في الشام والمسمين عند الافرنج بالحشاشين بعد أن كانوا آفة على ملوك مصر منذ أيام صلاح الدين . وأغار على آسيا الصغرى ، وكان التتار قد استولوا على مملكة الروم السلجوقيين ، فقهرهم وجلس على عرش « قيسارية » \* ودان له أهلها ( سنة ٦٧٦ هـ ١٢٧٧ م )

ولم تلبه غزواته في الشمال عن الالتفات للأقاليم الجنوبية ، فأرسل جيشاً الى بلاد النوبة سنة ٦٧٤ هـ ( ١٢٧٥ م ) فأخضع أهلها وأعاد جزية العبيد بعد ان امتنعوا عنها

ومات « بيبرس » سنة ٦٧٦ هـ ( ١٢٧٧ م ) وقد بلغ أقصى درجات المجد وحل منزلة كبيرة بين جميع من جاوره من الملوك والأمراء وكان شجاعاً عاملاً عادلاً في الجملة حسن السيرة ، لا يشوب سياسته إلا شيء من القسوة والميل الى القدر ، ساد في أيامه الأمن وانتشرت العلوم والمعارف . ولم تشغله الحروب وتنظيم الجيوش وبناء الأساطيل وتحصين البلاد عن اصلاح الري والزراعة وانشاء المساجد والمدارس . ولم ينال في فرض الضرائب مع كثرة حروبه ، بل خفضها الى أصغر حد كاف للقيام بمشروعاته العظيمة . وما زال له الذكر الحسن عند المصريين . ومن المساجد

---

\* تسمى بهذا الاسم مدينتان احدهما بلسطين والثانية هي كرسى مملكة السلجوقيين بآسيا الصغرى . وبعض المتأخرين يكتب الأخيرة ( قيصرية )

التي شيدها مسجده الكبير بالحسينية المعروف بجامع الظاهر  
وبعد وفاة « بيبرس » حدثت منازعات بشأن تولى الملك  
(شأن المماليك عند وفاة أحد ملوكهم) ، خلفه ولدان أحدهما بعد الآخر ،  
ولم تطل مدتهما . وانتهى الأمر بتولى السلطان الملك المنصور سيف الدين  
« قلاوُن » الصالحى ( ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ : ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م ) ، فبقي الملك  
في بيته أكثر من مائة سنة . وبعد أن تم له الأمر عقد هدنة مع  
الصلبيين لمدة عشر سنوات على أن يُسمح للسفن المصرية بدخول الموانئ  
المسيحية بالشام ، وأن لا يقوم الصليبيون بأى تحصين جديد في مدينتهم .  
ومن ذلك يُعلم مقدار ما وصلوا إليه إذ ذاك من الضعف والهوان  
وقد كان عقد الهدنة مع الصليبيين من الحكمة إذ أن التار كانوا  
يتأهبون للإغارة على مصر مرة أخرى ، فخرج اليهم « قلاوُن » سنة ٦٨٠ هـ  
( ١٢٨٢ م ) في جيش عظيم وهزمهم في موقعة فاصلة في « حمص » أسكتهم  
عن مصر ١٧ سنة

وقضى « قلاوُن » باقى أيامه في محاربة الصليبيين بالرغم من مهادتهم  
فيما سبق ، واستولى على « طرابلس » عنوة سنة ٦٨٨ هـ ( ١٢٨٩ م ) . ومات  
سنة ٦٨٩ هـ ( ١٢٩٠ م ) وهو يتأهب لغزو « عكا »  
وساد في عهده العدل والسكينة . ومن مبراته الحسان انشاؤه  
البيمارستان الكبير بين القصرين (المسمى بمستشفى قلاوُن الآن بالنحاسين)  
وبجانبه المدرسة العظيمة والقبعة التي دُفن بها ( جامع قلاوُن ) ، ووقف  
عليهما الأوقاف الكثيرة وشرط في وقفه كثيراً من أنواع البر والخير مما لم  
يسبقه إليه أحد من الملوك



( داخل جامع قلاوٲ )

رسم لكجيان

ثم خلفه ابنه « الأشرف خليل » وكان شجاعاً مقداماً مظفرأ في  
الحروب عادلاً في الرعية قاسى القلب على من يتوهم مزاحمتهم له في الملك ،  
فتنك بكثير منهم ، فكان ذلك سبباً في اغتياله وقتله بعد ثلاث سنين . وقام  
باعداد الجيش الذى كان يعمده والده لفتح «عكا» آخر مدينة حصينة بقيت

الاشرف  
خليل

بأيدي الصليبيين، وهناك جمع الصليبيون فلول جيوشهم للدفاع عنها، إلا أنهم اختلفوا حسب عاداتهم، ففتح جند الأشرف المدينة سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) ودمروا حصونها وفتكوا بكثير من الصليبيين. ثم سقطت باقي مدن الصليبيين في أيديهم واقترضت دولهم بالشام

الناصر

ثم خلفه أخوه الملك «الناصر» محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١ هـ : ١٢٩٣ - ١٣٤١ م)، تولى وهو صغير وخُلع في هذه المدة مرتين: الأولى سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٣ م) مدة خمس سنوات والثانية سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م) مدة سنة واحدة. وفي مدته أغار التتار مرة أخرى على الدولة سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠ م) وهزموا المماليك واستولوا على «دمشق». إلا أن المسلمين هزموا في موقعة فاصلة بالقرب من دمشق سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) وأسروا منهم ١٠٠,٠٠٠ نفس، فكانت هذه رابع مرة صدّ التتار فيها عن الديار المصرية

وزادت في عهده ثروة البلاد كثيراً. ومما ساعد على ذلك أنه فرض ضريبة على جميع التجارة التي تمر من مصر بنسبة ١٠٪ من ثمنها، وكانت تجارة أوروبا مع الهند تمر من هذا الطريق وكان «الناصر» يُعنى بشؤون البلاد الداخلية، فضبط الموازين والمقاييس، وحدّ الأثمان في أوقات الشدة، وألغى كثيراً من الضرائب الضارة بالفقراء من الرعية واستعاض عنها بزيادة الضرائب على كبار الموسرين. ثم منع شرب الخمر، وتشدّد في حفظ الآداب، وعمل على معاضدة العلم ونشر المعارف. وفي مدته بلغ فن المبانى والنقوش العربية

أقصاه، إذ اتضح ان أكثر الآثار العربية الجميلة التي في دور تحف العالم هي من صنع هذا العصر

وقد شيّد هو وأمراء دولته من المباني الفخمة ما لا يدخل تحت حصر. وهو المنشئ لقناطر المياه الموصلة بين القلعة والنيل. وان كانت قد نُسبت خطأ الى صلاح الدين. ووصل بين النيل والاسكندرية بترعة، وأنشأ طريقاً عظيماً بجانب النيل أفاد فائدةً الجسور وقت الفيضان وكان «الناصر» صنّيل الجسم، أعرج، أعور، إلا أنه بالرغم من ذلك كان قوى البأس، شديد البطش، ذا رأى سديد، وعزيمة من حديد وكان عصره بفخامة ملكه وعظم مبانيه وجمال ذوقه أرقى عصور الحضارة المصرية

ومات سنة ٧٤١ هـ (١٣٤١ م) ولم يترك خلفاً يقدر على القيام بعبء الملك، ف وقعت البلاد في فوضى مدة ٤١ سنة تنازع الملك فيها ملك بعد ملك من أولاده

وأذوهم أثراً الى الآن ابنه السلطان حسن، وهو باني المدرسة السلطان حسن العظيمة التي لم يخلف السلاطين أعظم منها بناء ولا أتقن صناعة، وهي المشهورة الآن بجامع السلطان حسن (بجوار قلعة القاهرة) وانتهى الأمر بانقراض هذه الدولة واستيلاء المماليك الشراكسة على الملك

### ﴿ فشل الحروب الصليبية ونتائجها ﴾

استولت المماليك البحرية على آخر ما بقي بأيدي الصليبيين بالشام وبذا انتهت الحروب الصليبية بعد ان استمرت نحو قرنين، ولم يتم تاريخ (٢٠)



( جامع السلطان حسن )

رسم لكجيان

للسليبيين شيء من بغيتهم مع ما أريق فيها من الدماء وبُدد من الأموال  
ونفسلم هذا عدة أسباب منها :

أولا - اختلاف ملوكهم وأمرائهم فيما بينهم وتظاهر بعضهم على  
بعض ، مما أدى كثيرا الى وقوع القتال بينهم

أسباب فشل  
المحروب الصليبية

ثانياً - وجود عدد عظيم من اللصوص والمجرمين والمشردين بين جيوشهم، فجر ذلك الى الاختلال وقلة النظام  
ثالثاً - اتحاد المسلمين وائتلافهم في اكثر ازمان الحروب الصليبية وخاصة زمن صلاح الدين وما بعده

رابعاً حسن نظام الجيوش الإسلامية وشجاعتها  
ولا شك أن الحروب الصليبية أضرت كثيراً بالشرق والمغرب معاً لما أزهقت من أرواح وأفنت من أموال، ولما استفرقته من وقت ثمين لو صرف في الأعمال النافعة لعاد على العالم بالخير والبركات، غير أنها مع كل هذا كان لها في أوروبا بعض نتائج حسنة ربما كانت تتم بدونها مدى الأيام، ولكنها تنسب الى الحروب الصليبية لظهورها عقبها  
ومن أهم نتائج الحروب الصليبية للأوروبيين ما يأتي :

أولاً - وقوف الغربيين على أحوال الشرق بعد جهلهم به وادراكهم أن به حضارة تفوق حضارتهم، فالتسعت أذهانهم وتولدت فيهم روح الاستطلاع والاستكشاف

ثانياً - تأدية اختلاط الغربيين بالشرقيين نحو قرنين من الزمان الى اقتباسهم شيئاً كثيراً من الحضارة الشرقية، مما أدى الى ارتقاء العلوم والآداب والفنون والصنائع بأوروبا

ثالثاً - وأنها أوجدت شيئاً من الائتلاف بين الأمم الأوربية المختلفة وأزالت ما بينهم من النفور مدة من الزمن، وذلك لاشتراكهم في غرض واحد وقتاً طويلاً

رابعاً - وازالتها الفرق العظيم الذي كان بين طبقات الأشراف وغيرهم

نتائج الحروب  
الصليبية



باوربا، لعملهم جميعاً كتفاً لكتف في ميدان القتال، وبذلك قضت على النظام الذي كان يُعرف في أوربا بنظام « الإقطاعات »  
خامساً — وأن كانت سبباً في اتساع نطاق التجارة والملاحة بين المشرق والمغرب، وذلك ان السفن العديدة التي كانت تأتي بالصليبيين من أوربا كانت تعود اليها بالبضائع الشرقية، فقوت روح التجارة في الشرقين والغربيين معاً وساعدت في نمو بعض المدن التجارية العظيمة مثل « جنوة » و « البندقية »

سادساً ( وهذه في اعتبار الغربيين نتيجة سيئة ) — وزيادتها من نفوذ البابا باوربا . وذلك لأنه كان المحرك لماوك أوربا وأمرائها نحو قرنين من الزمان بسبب ذلك الغرض الديني، فقوى نفوذه حتى صار فيما بعد سبباً لمشاكل عظيمة باوربا

### ( ب ) — دولة الممالك الشراكية

أو « الممالك البرجية »

٧٨٤ — ٩٢٢ هـ ( ١٣٨٢ — ١٥١٧ م )

منشأ هؤلاء الممالك ان المنصور « قلاون » أكثر من شرائهم وجعلهم في أبراج القلعة فسُموا « البرجية » . وهم يختلفون في الجنس عن الممالك البحرية لأن معظمهم من الشراكية وأولئك من الترك . ولم يكن المالك فيهم وراثياً قط كما كان في بيت قلاون، بل كان استيلاء كل ملك من ملوكهم على الدولة متوقفاً على شهرته الحربية ومقدرته على استجلاب مودة زملائه من الأمراء . وعدد ملوكهم ثلاثة وعشرون، حكم تسعة منهم مدة

منشأ الممالك  
البرجية

١٢٥ سنة وحكم في تسع السنوات الأخرى أربعة عشر وقد كان لكثير من ملوك هذه الدولة وأمرائها ولع بالعلوم، واشتهروا بالتنافس في بناء القصور الفخمة والأربطة والجامع والمدارس والسُّبُل وغير ذلك من المعاهد الخيرية. وأكثر ما نراه اليوم في القاهرة من المباني العظيمة من آثارهم. إلا أنهم كانوا يميلون إلى الظلم والفساد، فأثقلوا كاهل الأمة بالضرائب، وتسرب الخلل في عهدهم إلى جميع فروع الحكومة فأصبح العدل فيها يُشترى ويباع. وكثرت الثورات والفتن في البلاد حتى ضجَّ الناس من شر الجنود وعبئهم بالأمن. على أنهم بالرغم من شقاقتهم فيما بينهم كانوا على الأجنبي يداً واحدة، فحفظوا البلاد من الغارات الأجنبية نحو قرن ونصف من الزمان

وأشهر ملوكهم وأولهم هو الملك الظاهر سيف الدين «برقوق»، خلع رقوق آخر المماليك البحرية وتولى الملك، ثم ثار عليه المماليك وخلصوه وأعادوا إلى الملك أحد حفدة الناصر بن قلاوون. فاشتغل باخماد فتنهم وجلس على كرسی الملك ثانية. ولم يفرغ من ذلك حتى تهدد البلاد خطر إغارة التتار يقودهم قائدهم العظيم «تيمورلنك». وكانوا قد استولوا على «بغداد» سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٣ م) وخضعت لهم «الجزيرة» بأسرها سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٤ م). فأرسلوا كتاباً إلى مصر يطلبون منها التسليم اليهم، فامتنع «برقوق» واتحد مع أمراء شمالي الشام وسلطان العثمانيين. ثم مات برقوق سنة ٨٠١هـ (١٣٩٩ م) قبل الشروع في الحرب، فترك ذلك لابنه الناصر «فرَج»

وابرقوق مبان عظيمة ومبرات جليلة، منها مدرسته العظيمة بين



(جامع برقوق بالصحراء)

القصرين بالنحاسين الشهيرة بجامع برقوق . أما المدفن ذو القبتين بالجبانة  
الشرقية خارج القاهرة المعروف أيضاً بجامع برقوق فمن انشاء ابنه فرج  
فرج وفي سنة ٥٨٠٣ هـ خرج السلطان فرج الى الشام لمحاربة تيمورلنك  
الذي خرب حلب وزحف على دمشق ، فوقع بين الجيشين بعض مناوشات  
بالقرب من دمشق كان الغلب فيها للمصريين ، فطلب تيمورلنك من  
السلطان الصلح فأجابه اليه . وبينما هما يتفاوضان أثار الماليك فتنة في  
المسكر وتسلاوا منه راجعين الى مصر ، فانزعج السلطان واضطر أن يعود  
مع بقيتهم مسرعاً اليها وترك دمشق يدافع عنها أهلها ، فدخلها تيمور وفعل  
الفظائع بأهلها كما فعل بحلب من قبل . ثم خلع الماليك «فرجاً» سنة ٥٨٠٨ هـ  
(١٤٠٥ م) وولوا أخاه . ثم عاد للملك فخرج في عدة غزوات الى الشام

لتوطيد السكينة بها واخضاع الثائرين من الأمراء

واستفحل أمر اثنين من هؤلاء الأمراء وهما « شيخ و نوروز »  
فتغلب « شيخ » على « فرج » في خرجته السابعة الى الشام ، ووافق الخليفة  
العباسي بمصر على قتله وانتهى الأمر باستيلاء « شيخ » على الملك ، فسمى  
« المؤيد شيخ » . وهو باني الجامع المعروف بجامع المؤيد بجوار باب زويلة  
ثم تتابع بعده عدة ملوك فلم يكن لهم أثر في حالة مصر سوى أن  
المماليك لم يعبتوا بهم ، فساءت حالة الناس ، واضطربت الحكومة ، وبقى  
الحال كذلك حتى ولى الملك « الأشرف برسباي » سنة ٨٢٥ هـ ( ١٤٢٢ م )

حکم « برسباي » نحو ١٦ سنة ( ٨٢٥ - ٨٤١ هـ : ١٤٢٢ - ١٤٣٨ م )  
فبالغ في إتقال كاهل الأمة بالضرائب الباهظة وأنواع الاحتكار في التجارة  
إلا أنه لقوته وشدة بأسه لم تحدث في البلاد فتن في عهده . وكان لصوص  
البحر قد اكثروا الإغارة على مصر من جزيرة « قبرس » ، فأرسل  
« برسباي » أسطولاً لغزوها ، فاستولى عليها وأتى بملكها « جيمس » أسيراً  
الى مصر ، وأتى كذلك بكثير من سكان الجزيرة فبيعوا في أسواق القاهرة  
وبقيت « قبرس » خاضعة لمصر الى أن انتهت دولة المماليك سنة ٩٢٢ هـ  
( ١٥١٧ م ) ، فكان الاستيلاء عليها من مميزات عصر « برسباي » على  
عهد غيره من المماليك الشراكسة . ومما امتاز به عصره أيضاً اهتمامه  
بالضرائب الخاصة بالتجارة وجعلها مورداً كبيراً لخزائنه . وعنى بامر تجارة  
الهند حتى صارت السفن الواردة منها تفرغ بضائعها في « جدّة »  
( وكانت تابعة لمصر ) بعد أن كانت تفرغها في « عدن » ، فازداد بذلك  
مورد الحكومة . ثم احتكر تجارة كثير من المواد مثل السكر والفلفل

والأخشاب وغيرها . وبالع في الكسب حتى ضجّ التجار الأجانب بمصر  
وهمت حكومة « البندقيّة » باستدعاء جميع تجارها من القطر ، تخاف على  
تجارة البلاد من الخسارة ونظر في مطالبهم ، وقد جمع من هذه الاحتكارات  
أموالاً طائلة . وحدث الطاعون بمصر في زمنه مرتين ، فهلك كثيرون .  
ومات برسباي سنة ٨٤١ هـ ( ١٤٣٨ م ) ، واختلط عقله قبل موته فأمر  
بقتل طبيبه

ثم ولي الملك بعده ابنه ثم عدة سلاطين لم يكن لهم كبير شأن ،  
حتى ولي الأشرف « قايتباي » ( ٨٧٣ - ٩٠٢ هـ : ١٤٦٨ - ١٤٩٦ م )  
وهو أطول ملوك هذه الدولة حكماً ، كان في أول أمره مملوكاً اشتراه  
« برسباي » بخمسين ديناراً ، فما زال يرقى بجدّه ومواهبه حتى بلغ هذا  
المبلغ . وكان شجاعاً قوى الجسم والروح يحبه قواده فثبتت بهم قدمه .  
إلا أن حروبه الكثيرة اضطرتّه الى زيادة الضرائب زيادة كبيرة وإلى  
ابتزاز الأموال من أثرياء اليهود والنصارى

قايتباي

وكان أكبر شاغل له هو ازدياد قوة آل عثمان الذين صاروا بعد  
استيلائهم على القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ( ١٤٥٣ م ) مصدر خطر لمن  
جاورهم من الأمم . وكثيراً ما تعدّوا على حقوق مصر بالشام ، وأهمها  
منهمم تجارة الرقيق من الممالك الشراكسة وغيرهم عن مصر ، فساءت  
العلاقة بينهم وبين المصريين ، وتفاقم الأمر بين الفريقين بعد ما أجاز  
قايتباي أخا « بايزيد الثاني » وخصمه ، واكم مشواه ، فخلق بايزيد على  
قايتباي ، ونشبت بين الفريقين عدة حروب لم تكن لها نتيجة تذكر ،  
وانتهى الأمر بمهادنة الاثنين سنة ٨٩٦ هـ ( ١٤٩١ م )



جامع فاینہی

(دسم لکھنؤ)



داخل جامع الثوری (دسم لکھنؤ)



وفي سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) أصاب البلاد وباء شديد أعقبه فحط،  
وقامت فتنة كبيرة بين طائفتين من المماليك، فحزن قايتباي ومرض مرض  
الموت، فخلفه أرباب الدولة وبايعوا ابنه الناصر، فمات قايتباي بعد ذلك  
يوم واحد (سنة ٩٠١ هـ : ١٤٩٦ م)

وكان قايتباي محباً للعمارة: بنى ورم كثيراً من المساجد والمدارس  
والحصون والطرق، ولا يضارع عصره في المباني وفرة وجمالاً سوى عصر  
«الناصر» بن فلاون. ومن أعجب بناه تربيته التي بناها في الصحراء  
وتعرف الآن بجامع قايتباي

ثم تولى بعده عدة سلاطين كان من أشهرهم السلطان الأشرف  
القائصوه «النوري» (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ : ١٥٠١ - ١٥١٦ م). وكان  
داهياً شجاعاً عالماً محباً للعمارة على عسف وتجربته. ومن بناه جامع  
النوري ومدرسته بالنورية

ولي النوري الملك وعمره ٦٠ سنة، فوجد خزائن الحكومة خالية  
بسبب الاضطراب الذي أعقب وفاة قايتباي، فعمل على ملئها، فشدّد  
على الرعية وجمع ضرائب عشرة شهور دفعة واحدة، حتى عظم بؤس  
الناس. وسادت بالرغم من ذلك السكينة بالبلاد في أوائل عهده

ولم يعكر صفوه سوى نزاع قام بينه وبين البرتغاليين، بشأن تجارة الهند  
وذلك أن «فاسكودي جاما» لما كشف الطريق إلى الهند عن طريق  
رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧ م تحولت معظم التجارة الهندية عن طريق  
مصر وتقص بذلك وارد الحكومة تقصاً كبيراً. ولم يكتف البرتغاليون بانتقال  
معظم هذه التجارة إلى أيديهم، بل شرعت سفنهم بالبحر الأحمر تقبض

البرتغاليون والتجارة  
المصرية



على كل سفينة مصرية تبني التجارة في تلك الجهات . ووقع بين الفريقين بعض مناوشات لم تكن لها نتيجة قاطعة ، اذ شغل المماليك بخطر آخر اكبر من ذلك وهو إغارة العثمانيين التي لم تذهب بما بقي من تجارتهم فقط بل اتهمت بالقضاء على ملكهم

الفتح العثماني

وذلك أنه في سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) ولي ملك آل عثمان السلطان «سليم خان الأول» ، وكان مولعاً بالحروب شديد الرغبة في توسيع نطاق الدولة العثمانية ، فعمل على محاربة المماليك لأقل سبب ، فاتهم «الغوري» بمالأة الفرس عليه ( وهم يومئذ أعداؤه الأشداء ) ، وبأن بلاد الغوري صارت مأوى للعصاة والفارين من وجهه سليم : فأدرك «الغوري» نيأته ، وجرّد جيشاً خرج به الى الشام بالرغم من تأكيد سليم أنه لا يقصد بمصر سوياً . والتقى الجيشان بميدان «مرج دابق» شمالي حلب سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) ، وكانت مدافع العثمانيين قوية ففتكت بجيش المماليك وانهزموا ، وقُلب «الغوري» لوقته فوق تحت سنابك الخيل ، فلم يوقف له على أثر وملك سليم الشام بلا مقاومة وزحف على مصر ، فولى المماليك عليهم السلطان «طومان باي» فجمع من قدر عليه من الجنود والتقى مع سليم خان بالريدانية (العباسية الآن) ، فانهزم طومان باي ودخل سليم خان القاهرة ، وفرّ طومان باي ثم قبض عليه سليم وصلبه على باب زويلة . وبموته انقرضت دولة الشراكسة سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وصارت مصر ولاية عثمانية وتنازل الخليفة العباسي بمصر عن الخلافة لسلاطين آل عثمان



ملخص أهم الحوادث التاريخية منذ تأسيس الدولة الإسلامية

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	م	هـ	
مولد النبي صلى الله عليه وسلم	٥٧١		
قوية هرقل امبراطوراً بالقسطنطينية	٦١٠		
تأثير البعثية في تأسيس مجد الدولة العربية	٦١٦		زحف الفرس على مصر
غزوة بدر	٦٢٤	٢	
« أحد »	٦٢٥	٣	
« الخندق »	٦٢٧	٥	
	٦٢٨	٦	خروج الفرس من مصر ورجوع الرومان اليها
أرسل النبي كتبه الى الملوك والامراء	٦٢٩	٧	
فتح مكة	٦٣٠	٨	
غزوة تبوك	٦٣١	٩	
حجة الوداع	٦٣٢	١٠	
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عصر الفتوح العربية	٦٣٢	١١	
خلافة أبي بكر — ابتداء فتح فارس والشام	٦٣٢ — ٦٣٤	١١ — ١٣	
خلافة عمر — اتساع عظيم في الدولة الإسلامية :	٦٣٤ — ٦٤٤	١٣ — ٢٣	
فتح فارس	٦٣٣ — ٦٤٢	١٢ — ٢١	
فتح الشام	٦٣٣ — ٦٣٨	١٢ — ١٧	وصول عمرو بن العاص الى الفرما : ١٨ هـ ( ٦٣٩ م )
فتح مصر	٦٣٩ — ٦٤١	١٨ — ٢١	دخول الاسكندرية ومصر في قبضة العرب . المحرم سنة ٢١ هـ ( ٦٤١ م )
	٦٤١ — ٨٦٨	٢١ — ٢٥٤	مصر وهي ولاية اسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وبنى امية وصدر بنى العباس . ( ٢٢٧ سنة )

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
	٦٤١ — ٦٦١	٢١ — ٤١	(١) في عهد الخلفاء الراشدين ولاية عمرو بن العاص — انشاء مدينة القسطنطينية — تنظيم الادارة ورسم الخطة في جباية الخراج — انشاء الاحواض والتناطر والجسور — كرى خليج أمير المؤمنين — اخضاع بلاد النوبة ولاية عبد الله ابن أبي السرح — صد غارة للروم عن الاسكندرية — فتح برقة وافريقية وغزو بلاد النوبة — كسر الروم بجرأ بالاسكندرية — تشدد في الخراج فكرهه الناس وطردوه
حلافة عثمان — مواصلة الفتوح العربية : فتح بلاد التركستان وبرقة وطرابلس الغرب والنوبة وجزيرة قبرس	٦٤٤ — ٦٥٥	٢٤ — ٢٥	
خلافة علي — وقوف الفتوح — اضطراب نارالفتن بسبب قتل عثمان والتزاع بين علي ومعاوية بشأن الخلافة	٦٥٥ — ٦٦٠	٣٥ — ٤٠	
دولة بني أمية ومقرها دمشق أهم خلفائها : معاوية ( محاولة الاستيلاء على القسطنطينية وفتح بعض بلاد التركستان واقفانستان وشمال الهند والجزائر ومراكش وروودس ) — عبد الملك بن مروان — الوليد بن عبد الملك ( وصول الفتوح الى سمرقند ونهر السند وتثبيت ملك العرب بلاد البربر الى المحيط — فتح الاندلس — كثرة العمارات ) — سليمان بن عبد الملك ( ابتداء التقهر — صد الجيوش الاسلامية في موقعة تور )	٦٦١ — ٧٥٠	٤١ — ١٣٢	(٢) في عهد الدولة الأموية
	٦٥٨ — ٦٦٣	٣٨ — ٤٤	عودة عمرو بن العاص الى ولاية مصر — مواصلة فتح افريقية والمغرب الأقصى
	٦٨٥ — ٧٠٥	٦٦ — ٨٦	ولاية عبد العزيز بن مروان ( ٢١ سنة ) —

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
	٧٠٩—٧٠٥	٩٠ ٨٦	حلوان قاعدة ثانية للديار المصرية ولاية عبد الله بن عبد الملك — نسخ دواوين مصر بالمرية بدل القبطية
الدولة العباسية أهم خلفائها: السفاح (مؤسس الدولة — اتخذ مدينة الانبار داراً للخلافة) — المنصور ( أعظم خلفاء العباسيين — بنى بغداد واتخذها مقراً للخلافة — أول عصور وضع العلوم الاسلامية العربية ) — الرشيد والمأمون ( أزمى عصور الحضارة الاسلامية بالشرق )	١٢٥١—٧٥٠	٦٥٦—١٣٢	
	٨٦٨—٧٥٠	٢٥٤—١٣٢	(٣) في عهد الدولة العباسية ولاية صالح وأبي عون من قبل السفاح — بناء مدينة المنكر — انتقال مصر الى يد العباسيين بدون صعوبة كبيرة كثرة الفتن والقتال في مصر في عهد العباسيين بقيام العرب تارة والقبط أخرى والاثنين أحياناً — أزل عبيد الله بن الحبحاب قبيلة من عرب قيس بالحوف الشرق ليساعدوا على انتشار الاسلام بمصر ابن ممدود أول وال من الاتراك نزول طائفة من الاندلس بالاسكندرية وانضمامهم الى العرب الحارثيين قدوم عبد الله بن طاهر واخراجهم من الاسكندرية خروج أهل الحوف والقبط خروجاً عاماً قدوم المأمون واتحاد الثورة وابتداء الطور الحقيقي لانتشار الاسلام بمصر عنبسة آخر وال عربي تنصيب احمد بن طولون والياً على الفسطاط الدولة الطولونية — عصر همدو وسكينة تنصيب احمد بن طولون والياً على جميع مصر — بناء مدينة
	٧٧٩	١٦٣	
	٨١٥	١٩٩	
	٨٢٦	٢١١	
	٨٣١	٢١٦	
	٨٣٢	٢١٧	
	٨٥٦—٨٥٢	٢٤٢—٢٢٨	
	٨٦٨	٢٥٤	
	٩٠٥—٨٦٨	٢٩٣—٢٥٤	
	٨٧٠	٢٥٧	

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
			القطائع وجامع ابن طولون
	٨٧٨	٢٦٤	منع ارسال الحجاج الى الموفق أخى الخليفة
	٨٧٨	٢٦٤	اخضاع معظم بلاد الشام
	٨٨٣	٢٦٩	حذف اسم الموفق من الخطبة
	٨٨٤	٢٧٠	وفاة ابن طولون
			تولية خمارويه (اكثر من الاتفاق في تشييد العمارات والبساتين)
	٨٨٥	٢٧١	اعارة اميرى الموصل والانيار على الشام
			تودى بخمارويه حاكماً على الموصل والجزيرة
وفاة الموفق وبعده الخليفة المتعمد ( ٢٧٩ هـ )	٨٩١	٢٧٨	
			تحسن العلاقات بين مصر وبغداد وتزوج خمارويه ابنته قطر الندى للخليفة المتعمد
	٨٩٦	٢٨٢	قتل خمارويه
			اضمحلال الدولة الطولونية
	٩٠٥	٢٩٣	انقراضها
	٩٣٥—٩٠٥	٢٩٣—٢٢٤	مصر ولاية عباسية مرة أخرى — عصر لوضى
	٩٦٦—٩٣٥	٣٥٨—٢٢٤	الدولة الاخشيدية ( ٣٤ سنة ) — ارجاع السكينة الى مصر
	٩٣٥	٢٢٣	تولى الاخشيد والياً على مصر
	٩٤٠	٢٢٨	استقلاله بالملك
	٩٤٣	٢٣٢	قلده الخليفة حكم الحرمين
	٩٤٦	٢٣٤	وفاة الاخشيد
			تولى ابنته انى القاسم أونوجور ملكا وجعل كافور قياً عليه
	٩٤٦	٢٣٥	اصغر سنه
			وفاة أونوجور
	٩٦٥	٢٥٥	تولى كافور وتقليد الخليفة له ولاية مصر والشام والحجاز
	٩٦٩	٢٥٨	قدوم جوهر الصقلي وانتزاعه مصر من الدولة الاخشيدية
ذهاب أبي عبد الله الشيعى الى بلاد البربر	٨٩٣	٢٨٠	
تودى بميد الله خليفة فاطمية بالغرب	٩١٠	٢٩٧	
تولية المزم الخلافة	٩٥٣	٢٤١	
استيلاء جوهر قائد المزم على مصر	٩٦٩	٢٥٨	

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	ب	هـ	
	١١٧١ - ٩٦٩	٣٥٨ - ٥٦٧	الدولة الفاطمية - مدة حكمها ٢٠٢ سنة ومقرها القاهرة (١) المزم - ٣٥٨ - ٣٦٥ هـ (٩٦٩ - ٩٧٥ م) بناء القاهرة - دانت له مكة والمدينة - تقدم البلاد على عهد - بناء الازهر (٣٦٠ هـ ٩٧٠ م) (٢) العزيز - ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م) البلاد في هدوء وتقدم - اقامة كثير من المباني وحفر الترع وانشاء الجسور - بدأ جامع الحاكم (٣) الحاكم - ٣٨٦ - ٤١١ هـ (٩٩٦ - ١٠٢١ م) عصر اضطراب بسبب طيش الحاكم وتناقض أفضاله (٤) الظاهر ٤١١ - ٤٢٧ هـ (١٠٢١ - ١٠٣٦ م) لم يقدر على اصلاح ما أفسده والده وأخذ خلفاء الفواطم في الاضمحلال - تحول السلطة الى الوزراء - أقصى ما بلغت اليه أملاك الفواطم في الشام (٥) المستنصر - ٤٢٧ من سنة ٦٠ - ٤٨٧ هـ (١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) - عهد تدهور سريع - كثرة المشاحنات بين الوزراء - خروج الولايات السورية وانقسامها الى عدة ولايات - وفرة الثروة بمصر
	١٠٥٨ - ١٠٥٠	٤٤٢ - ٤٥٠	عهد الوزير «اليازوري» - استقرت البلاد نحو ٨ سنوات
	١٠٧٢ - ١٠٦٥	٤٥٧ - ٤٦٥	استبداد الوزير ناصر الدولة - قحط عظيم مدة ٧ سنوات
	١٠٩٤ - ١٠٧٤	٤٦٧ - ٤٨٧	بدر الجمالي وبناء الثلاثة الأبواب العظام - رجوع الهدوء والسكينة
استيلاء الأتراك السلجوقيين على الشام	١٠٧٦	٤٦٩	(٦) المستعلي - ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ (١٠٩٤ - ١١٠١ م) وزارة الافضل
	١١٢١ - ١٠٩٤	٤٨٧ - ٥١٥	
خروج الصليبيين من أوروبا	١٠٩٦	٤٨٩	
استيلاؤهم على الرها وانطاكية	١٠٩٨ - ١٠٩٧	٤٩١ - ٤٩٠	
استيلاؤهم على بيت المقدس	١٠٩٩	٤٩١	
			(٧) الأمر - ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ (١١٠١ - ١١٣١ م)
تولى زنكي حاكماً للموصل	١١٢٧	٥٢١	(٨) الحافظ - ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ (١١٣١ - ١١٤٩ م)

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
			أول وزير لقب نفسه بـ «ملك»
مولد صلاح الدين الايوبي بمدينة تكريت	١١٣٧	٥٣٢	
استيلاء زنكي على بعلبك وتميئنه ايوباً حاكماً عليها	١١٣٩	٥٣٤	
استيلاء زنكي على الرها	١١٤٤	٥٣٩	
وفاة زنكي وتولى نور الدين حكم حلب	١١٤٦	٥٤١	
قتل الحرب الصليبية الثانية أمام دمشق	١١٤٨	٥٤٣	
			(٩) الظاهر - ٥٤٤ - ٥٤٩ (١١٤٩-١١٥٤ م)
سقوط عسقلان في يد الصليبيين	١١٥٣	٥٤٨	
استيلاء نور الدين على دمشق وتعيين شيركوه حاكماً على حصص	١١٥٤	٥٤٩	
			(١٠) الفائز - ٥٤٩ - ٥٥٥ (١١٥٤) -
			(١١٦٠ م) - وزارة الملك الصالح طلائع ابن رزيق
			(١١) العاضد - ٥٥٥ - ٥٦٧ (١١٦٠-١١٧١ م)
	١١٦٣	٥٥٨	النزاع بين ضرغام وشاور
	١١٦٣	٥٥٨	هزم «مرى» ضرغاماً ثم تحالفاً
	١١٦٤	٥٥٩	دخول شيركوه مصر لأول مرة - قتل ضرغام دخوله ثاني مرة ودخول مري أيضاً ثم جلاء الجيش السوري ومعظم جيوش مري
	١١٦٧	٥٦٣	رجوع مري لغزو البلاد - احراق شاور مدينة الفسطاط كي لا تؤوي الصليبيين
	١١٦٨	٥٦٤	وصول شيركوه الى مصر لثالث مرة ورجوع مري الى الشام - تعيين شيركوه وزيراً
	١١٦٩	٥٦٥	وفاة شيركوه وتعيين صلاح الدين وزيراً
	١١٦٩	٥٦٥	النداء للخليفة العباسي قبييل وفاة العاضد آخر خلفاء الفاطميين
	١١٧١	٥٦٧	
	١٢٥٠-١١٧١	٥٦٧-٦٤٨	الدولة الايوبية - مدة حكمها ٧٩ سنة ومقرها القاهرة (١) صلاح الدين مؤسس الدولة :
	١١٦٩	٥٦٥	تولى وزارة مصر

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
	١١٧١	٥٦٧	خلق الخليفة الفاطمي والنداء للخليفة العباسي (أ) تحصينه لمصر وتأييد ملكه فيها — بدء بناء سور حول القاهرة وضواحيها وإنشاء قلعة الجبل — إرسال جيوش إلى بلاد العرب وسواحل أفريقية والسودان وفاة نور الدين
	١١٧٤	٥٧٠	خلاص صلاح الدين الجور وعمل على بسط نفوذه على جميع الممالك الإسلامية (ب) توسيع نطاق دولته
	١١٧٦-١١٧٥	٥٧٢ — ٥٧١	اخضاع الشام الإسلامية
	١١٨٢-١١٧٧	٥٧٨ — ٥٧٣	تنظيم أملاكه ومواصلة تحصين القاهرة إنشاء المدارس لنشر مذهب الإمام الشافعي ومحو مذهب الشيعة من مصر ثم بسط نفوذه على معظم ممالك الإسلام ووجد كلتهم
	١١٨٦	٥٨٢	(ج) صلاح الدين والصليبيون
	١١٩٢-١١٨٧	٥٨٨ — ٥٨٣	حروبه العظيمة بالشام : ٥ سنوات موقعة حطين الفاصلة وفتح عسقلان وبيت المقدس
	١١٨٧	٥٨٣	فتح انطاكية ومدن الساحل شمالي صور سقوط عكا في يد الصليبيين ومعهم
	١١٨٨	٥٨٤	ريكارد قلب الأسد ملك الانجليز
	١١٩١	٥٨٧	عقد صلح بالرملة بين صلاح الدين وريكارد قلب الأسد وبه صار المسلمون يملكون جميع الشام ما عدا ساحل ضيق بين صور ويافا
	١١٩٢	٥٨٨	وفاة صلاح الدين بدمشق
	١١٩٣	٥٨٩	(٢) الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين — تقسيم الدولة العظيمة إلى عدة أقسام (أهمها مصر) — وقوع نزاع بين أولاد صلاح الدين العادل أخو صلاح الدين تولى على الملك بمهارته ودانت له معظم دولة صلاح الدين
	١٢٠٠	٥٩٦	



البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
جاءت للصليبيين أعداد جديدة وأرادوا انتهاز فرصة انقسام الدولة بعد وفاة صلاح الدين للاستيلاء على بيت المقدس ولكن العادل عقد معهم صلحا وتنازل لهم عن بعض الجهات	١١٩٧	٥٩٣	
نهضة جديدة للصليبيين	١٢٠١-١٢٠٢	٥٩٧-٥٩٩	وقوع قحط ووباء عظيمين أضعفا البلاد العادل لم يفت عن توحيد كلمة المسلمين
	١٢١٨	٦١٥	بدا للصليبيين تحويل رضى القتال الى مصر وملكوا دمياط الكامل (٦١٥ - ٦٣٥ هـ : ١٢١٨ - ١٢٣٨ م)
	١٢٢١	٦١٨	طرد الصليبيين من دمياط وأجلاهم عن مصر الملك الصالح (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ : ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م)
	١٢٤٤	٦٤٢	أكثر من شراء المماليك وأنزلهم بجزيرة الروضة رجوع بيت المقدس للمسلمين نهائياً رجوع دمشق وعسقلان
	١٢٤٩	٦٤٧	زول الصليبيين دمياط واستيلاؤهم عليها توران شاه : واصل قتالهم بعد وفاة والده - كسرهم
	١٢٥٠	٦٤٨	كسرة شنيعة بالمنصورة وأسر ملكهم لويس التاسع
	١٢٥٠	٦٤٨	قتل المماليك توران شاه وانقراض الدولة الابوية
	١٢٥٠-١٢٥١	٦٤٨-٩٢٢	المماليك بمصر - ٢٦٧ سنة
سقوط بغداد في يد التتار	١٢٥٨	٦٥٦	عصر كثير الفتن والثورات واشتد فيه الظلم في الغالب أنشئ فيه بالرغم من ذلك كثير من المساجد والآثار
	١٢٥٠-١٣٨٢	٦٤٨-٧٨٤	دولة المماليك البحرية - حكمها ١٣٢ سنة ومقرها بالقاهرة بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ : ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م)
	١٢٧١-١٢٦١	٦٥٩-٦٧٠	قهر التتار (وكان أحد قواد قطز) وطاردتهم حتى أخرجهم من دمشق - قتل قطز واختير مكانه - المؤسس الحقيقي لدولتي المماليك
	١٢٧١-١٢٦١	٦٥٩-٦٧٠	حارب الصليبيين محاربة شديدة مدة ١٠ سنوات شنت شمل الصليبيين وهدم يافا وانطاكية (٦٦٧ هـ : ١٢٦٨ م)
	١٢٧٧	٦٧٦	انزع مملكة الروم السلجوقية من يد التتار ودان له أهلها

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	م	هـ	
			من آثاره مسجد الظاهر بالحسينية قلاون (٦٧٨ — ٥٦٨٩ : ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) تولى الملك بعد نزاع فبقى في بيته أكثر من ١٠٠ سنة — هادن الصليبيين ١٠ سنوات هزم التتار في موقعة فاصلة بجمص وكانوا يتأهبون للاغارة على مصر
	١٢٨٢	٦٨٠	على مصر
	١٢٨٩	٦٨٨	حارب الصليبيين بالرغم من المهادنة استولى على طرابلس
انتهاء الحروب الصليبية وانقراض دولة الصليبيين بالشام	١٢٩٢	٦٩١	ومن آثاره مستشفى قلاون وبجانبه مدرسته بالنحاسين الاشرف خليل — كان قاسياً سيئ السيرة — استولى على عكا آخر مدينة حصينة بالشام بقيت بأيدي الصليبيين الناصر (٦٩٣ — ٥٧٤٢ : ١٢٩٣ — ١٣٤١ م)
	١٣٠٠	٦٩٦	أزهى عصور الحضارة الاسلامية بمصر هزم التتار المماليك واستولوا على دمشق
	١٣٠٣	٧٠٢	لكنهم هزموا هزيمة شنيعة وصدوا لرابع مرة عن مصر زادت في عهد الناصر ثروة البلاد — اهتم بالشؤون الداخلية مثل الموازين والمقاييس الخ — وفي عهده بلغ فن المباني والنقوش العربية أقصاه — أكثر الآثار العربية التي بدور تحف العالم من صنع هذا العصر — من آثاره قناطر المياه الموصلة بين النيل والقلمة السلطان حسن — من أولاد الناصر — شيد جامع السلطان حسن بجوار القلمة
	١٥١٧-١٣٨٢	٧٨٤-٩٢٢	دولة المماليك الشراكسة أو البرجية — مدة حكمها ١٣٥ سنة ومقرها القاهرة — زادت الفتن عن عهد الدولة السالفة برقوق : مؤسس دولة المماليك الشراكسة
	١٣٩٩-١٣٨٢	٧٨٤-٨٠١	
استيلاء تيورلنك على بغداد	١٣٩٣	٧٩٥	
خضوع الجزيرة بأسرها له	١٣٩٤	٧٩٦	
	١٣٩٩	٨٠١	أرسل التتار كتاباً يطلبون من مصر التسليم فأبى برقوق وشرع في اعداد جيش لمحاربتهم — وفاته
	١٣٩٩	٨٠١	ومن آثاره مدرسته بالنحاسين
	١٤٠١	٨٠٣	فرج : خرج لمحاربة التتار

البلاد الأجنبية	التاريخ		مصر
	٢	١	
استيلاء الترك العثمانيين على القسطنطينية	١٤٥٣	٨٥٧	ومن آثاره المدفن ذو القبتين بالجبانة الشرقية المعروف بجامع برفوق برسباي : ٨٢٥ — ٨٨٤١ (١٤٢٢ — ١٤٣٨ م) تشدد في سن الضرائب واحتكار التجارة استولى على جزيرة قبرس وأتى بملكها أسيراً إلى مصر اهتمامه بضرائب التجارة الهندية
	١٤٩١ ١٤٩٢	٨٩٦ ٨٩٧	قايتباي (٨٧٣ — ٩٠٢ هـ : ١٤٦٨ — ١٤٩٦ م) أطول حكم في ملوك هذه الدولة — زاد الضرائب لكثرة حروبه — أكبر شاغل له ازدياد قوة آل عثمان — نشبت حروب بينه وبين بايزيد انتهت بمهادنة الاثنين وإياه شديد أعقبه قحط ومن آثاره تربيته في الصحراء وتعرف بجامع قايتباي
كشف فاسكو دي جاما طريق الهند	١٤٩٧	٩٠٣	
تولى السلطان سليم الأول عرش آل عثمان	١٥١٢	٩١٨	الفوري : ٩٠٦ — ٩٢٢ هـ (١٥٠١ — ١٥١٦ م) وجد خزائن الحكومة خالية فتشدد في جمع الخراج — قل وارد الحكومة من تجارة الهند — مشاحنات مع البرتقال
	١٥١٦ ١٥١٧	٩٢٢ ٩٢٢	اتهم السلطان سليم الفوري بمالأة أعدائه ونوى الاستيلاء على مصر — خرج الفوري لمحاربه فالتقى الجيشان بمرج دابق شمالي حلب فقتل الفوري وهزم جيشه ملك السلطان سليم الشام بلا مقاومة وزحف على مصر انهزام طومان باي بالريدانية واستيلاء سليم على مصر



تاريخ مصر